الفهرس

الموضوع		الصفحة
تقديم بقلم صاحِب النِيافة الأنبا بنيامين	.....	٤
مُقدمة	.....	٦
كلِمة شُكر واجِبة	.....	١٠
الفصل الأوَّل	.....	١١
بِدايات	.....	١٢
مراجِع الفصل	.....	١٩
الفصل الثَّاني	.....	٢١
الآباء المُدافِعون	.....	٢٢
مراجِع الفصل	.....	٣١
الفصل الثَّالِث	.....	٣٣
هيبوليتس الرُّوماني	.....	٣٤
مراجِع الفصل	.....	٣٨
الفصل الرَّابِع	.....	٣٩
القديس إكليمنضُس السكندري	.....	٤٠
مراجِع الفصل	.....	٤٨
الفصل الخامِس	.....	٤٩
العلاَّمة أوريجانوس	.....	٥٠
مراجِع الفصل	.....	٦٧
الفصل السَّادِس	.....	٧٠
البابا أثناسيوس	.....	٧١
مراجِع الفصل	.....	٨٨
الفصل السَّابِع	.....	٩٠
القديس ديديموس الضَّرير	.....	٩١

مراجِع الفصل	.....	٩٨
الفصل الثَّامِن	.....	٩٩
يوسابيوس القيصري	.....	١٠٠
النوع الأول : لاهوت الفلسفة	.....	١٠٠
النوع الثَّاني : اللاهوت العبراني	.....	١٠٢
النوع الثَّالِث : اللاهوت الكنسي	.....	١٠٧
مراجِع الفصل	.....	١١٦
الفصل التَّاسِع	.....	١١٩
آباء الغرب في القرن الرَّابِع	.....	١٢٠
مراجِع الفصل	.....	١٢٦
الفصل العاشِر	.....	١٢٧
القديس يوحنا فم الذَّهب	.....	١٢٨
مراجِع الفصل	.....	١٣٢
الفصل الحادي عشر	.....	١٣٣
آباء أورشليم وسوريا	.....	١٣٤
مراجِع الفصل	.....	١٣٨
الفصل الثاني عشر	.....	١٣٩
إقاجريُوس البُنطي	.....	١٤٠
مراجِع الفصل	.....	١٤٥
الفصل الثَّالِث عشر	.....	١٤٦
الآباء الكبَّادوك	.....	١٤٧
مراجِع الفصل	.....	١٦٦
المُصطلحات	.....	١٦٩
المراجِع	.....	١٧٣

اللاهوت في فِكْر الآباء

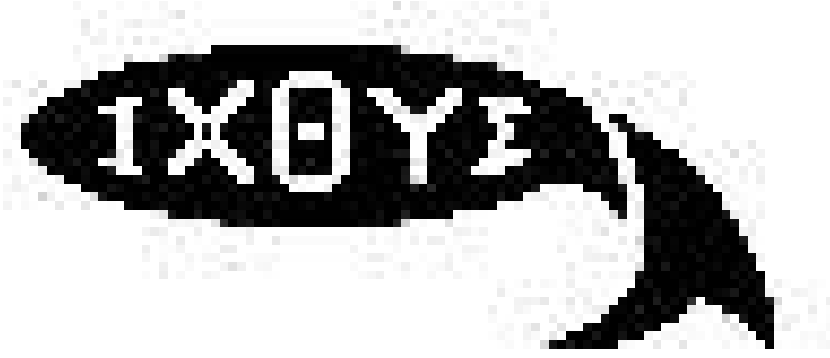

ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ θΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ

مُراجعة

تقديم

نِيافة الأنبا بيشوي
مُطران كرسي دمياط والبراري
وكفر الشيخ
وسكرتير المجمع المُقدس

نِيافة الأنبا بنيامين
أسقف كرسي المنوفية
والنائِب البابوي

اللاهوت في فِكْر الآباء

عِلْم اللاهوت الآبائي

PATRISTIC THEOLOGY

بسم الله القدوس

تقديم بقلم صاحِب النيافة

الأنبا بنيامين

كثيراً ما نشتاق إلى معرِفة فِكْر الآباء القديسين آباء كنيسة الأسكندرية ومُعلِّمي مدرسة الأسكندرية العظيمة في اللاهوت النقي الذي يُقدِّم الله للنَّفْس البشرية فادِياً ومُخلِّصاً يُقدِّم حُبُّه لكل أحد ... هؤلاء العمالِقة الذينَ أعطوا للعالم فكرة حقيقية عن الله المُحِب المُثلث الأقانيم في وِحدانية في الطبيعة الإلهية ... الله الذي لم يُوافِق على موت الإنسان وهلاكه بل تجسَّد ليُخلِّصه ومات ليفديه وقَامَ ليُحييه إلى الأبد وصَعَدَ ليُجلِسه في السماويات ...

حقاً ما أعجب هذا الإله الذي منحنا روحه القدوس ليسكُن فينا ويمنحنا مواهِبه الإلهية غير المُنتقِلة ... وبهذا كشفوا عن مفهوم القداسة الحقيقي وهو الالتصاق بالله القدوس في كل سيرة ... هذا اللاهوت الآبائي السكندري يُقدِّمه هذا الكتاب الذي بين يديك في سهولة لفظيَّة وفِكْر عميق تعب فيه الابن المُبارك أنطون فهمي واشترك معه مجموعة من الخُدَّام المُباركين في الترجمة والترتيب والاعداد ليفرحوا معك أيها القارِئ العزيز بنشر وانتشار نور المعرِفة اللاهوتية التي يحتاجها كل مَنْ يخدِم في الكنيسة المُقدسة ...

ويسُرُّني أن أُنوِّه عن تعب **نيافِة الأنبا بيشوي** سكرتير المجمع المُقدس ومُطران كرسي دمياط وكفر الشيخ والبراري في مُراجعة مادِّة هذا الكتاب وإضافِة كثير من العبارات اللاهوتية الرَّائِعة في معانيها مِمَّا زاد الكتاب عُمقاً وقُوَّة في فِكره اللاهوتي المُستنير إذ يقوم نيافته بتدريس اللاهوت العقيدي والنظري في إكليريكيات الأسكندرية

وطنطا وشبين الكوم ... ويُثري المكتبة القبطية بمُذكراته التي تُدرَّس في هذه الإكليريكيات ...

حقاً إنَّ هذا الجيل لمحظوظ بالمعرفة اللاهوتية التي بدأها في هذا الجيل البابا المُعلِّم واللاهوتي العِملاق خليفة القديس مارمرقُس والقديسين أثناسيوس وكيرلُس وديسقورس أعمِدة الإيمان الأُرثوذُكسي في العالم كله

قداسِة البابا

العظيم في البطارِكة حبيب المسيح

الأنبا شنوده الثالِث

حَفَظَهُ الرب مُعلِّماً للأَّهوت وحامِياً للأُرثوذُكسية في العالم أجمع في هذا القرن وببركِة صلواته ينتشِر نور المعرفة اللاهوتية على مستوى الفِكر ومستوى الحياة أيضاً ...

صلُّوا عني

بنيامين

أسقف المنوفية ونائِب قداسِة البابا حَفِظَهُ الرب

١٩٩٠/١٠/١٠م

مُقدِمة

دراسِة اللاهوت المسيحي اليوم من الدراسات التي تحتاج إلى صلاة ومعرِفة وتأمُّل ، فلا إيمان من غير معرِفة ولا معرِفة من غير إيمان ، وقد تبدو الثيولوچيا (اللاهوت) في دراسِتها شائِكة وتَحِفُّها بعض الصعوبات ، إلاَّ أنَّ الآباء علَّمونا أنَّ " اللاهوتي حقاً هو الذي يُصلي " ، لذلك نحتاج أن ندرِس ونُصلي ، ونُصلي وندرِس (صلي وأنتَ تعمل واعمل وأنتَ تُصلي) .

والاجابات على سؤال : " ما هو اللاهوت – الثيولوچيا ؟ " ، لاتزال في طريق النمو، إلاَّ أنَّ معنى اللاهوت أو الثيولوچيا كثيراً ما يبدو تقنياً ، مليئاً بالمُصطلحات الدقيقة التي تحتاج إلى شروحات وتبسيط !!!

ولأنَّ المكتبة العربية فقيرة ، إلى حدٍ ما ، في الكِتابات التي تبحث في هذا المجال ، لذا أُقدِّم هذا الكتاب " **معنى الثيولوچيا - اللاهوت** " وهي مُحاولة لفحص معنى لفظِة " ثيولوچيا " في فِكْر آباء الكنيسة الأولى ، والغاية منه أن يكون مُقدمة لكتابات أخرى نحتاجها ونتطلع إليها وسط التحديات الإيمانية والأيديولوچيات المُعاصِرة ... حقيقة أنَّ تيارات فِكرية كثيرة ، تُلزِمنا لنرجِع إلى الينابيع الآبائية الأولى غير الغاشة ، وإلى عذوبِة الخبرة المسيحية الأولى ، تلك الخبرة التي تنبني على محبِّة الصَّلاح ، وروح الصَّلاة والحُب والذبائِح والنُّسك وجمال العِشق الإلهي .

لقد تناولت في هذا البحث فحص مبدئي يغوص في المعنى والمفهوم الآبائي لِلَفظِة " ثيولوچيا " ، وهو لا يُشكِّل فحصاً شامِلاً وكامِلاً ، لأنه يتناول فقط بعض الآباء كنماذِج مُختارة ، ونأمل أن يُقدِم العمل فكرة واضحة وكافية عن اسلوب الكنيسة الأولى الواحِدة الوحيدة ، وحواراتِها عن " الثيولوچيا " .

إنَّنا لا نُؤمِن بإله جامِد إستاتيكي فرد صمد ، ولكننا نُؤمِن بالثَّالوث القدوس المُمجد ، وليس هناك معرِفة من غير علاقة صميمية وشَرِكَة عميقة مع الثَّالوث المُحيي ، لذلك لن يستفاد من هذه الدراسة البحثية المنهجية ما لم تكن سبب بركة لحياتنا جميعاً ، فالرب نور للذينَ يعرِفونه يُهدي الوُدعاء في الطريق .

ومادّة هذا الكتاب تُخاطِب طالِب الدراسات اللاهوتية والكُليات الإكليريكية والخُدَّام وكل العاملين في حقل التربية الكنسية والتعليم ، وعلى الأخص دارسي عِلْم الباترولوچي (الآبائِيات) ، والباحِثين في دراسِة التاريخ اللاهوتي للآباء .

إنَّ دراسِة اللاهوت تحتاج إلى توبة مُستمرة دِينامِيكية تُوجِّه الفِكر ليعود من الحلُولي والأرضي والمادّي إلى ما هو طبيعي وسامي وسماوي ، لذلك نحتاج إلى تقديس الحواس والسلوك بلا عثرة ، وما الأُرثوذُكسية إلاَّ استقامة التعليم واستقامِة الحياة أيضاً .

وثِمة أمر هام أُحب أن أُشير إليه ، أنه بالرغم من الاتجاه الدراسي البحثي والأكاديمي لهذا الكتاب إلاَّ أنه ، أولاً وقبل كل شئ وفوقَ كل شئ ، دعوة حياتية لخبرِة حياة نعيش فيها إيماننا الأقدس وعقيدتنا في شخص المسيح ، فنرى النور اللامخلوق ، وعندئذٍ نُعطي المجد لله الذي أحبَّنا وبذل ذاته من أجلِنا ، فنُواظِب على التَّسبيح والتَّمجيد (**الذُّكصولوجيا**) الذي لا يشيخ بل يتجدَّد في أعماقنا ، مُسبِحين الرب الذي يليق به التَّسبيح ، الذي كلَّلنا بفرحِة الطِيب الغامِر وعمله الخلاصي العجيب الذي اقتنى به الكنيسة بالدم الكريم الذي لمسيحه .

وليست دِراسة منهجية اللاهوت بالدراسة الجافة أو العقيمة ، نحدو فيها إلى العقلانية ، بل هي اتحاد بالله وتجاوُب بين إرادتنا الشخصية وعمل النعمة الإلهي (السينرچي) ، كقاعدة وأساس إيمان الكنيسة ، لأنَّ اللاهوت نعمة .... (نعمة الثَّالوث) ، وهو تلمذة غالية ونفيسة ، نتلامس فيها مع لاهوت الله وقُوَّته ومجده وعمله الخلاصي وغُفرانه العجيب .

ولن تُعرف " الثيولوچيا " بالدراسة بل " بالعِبادة " ، والمُواظبة على ترديد الاسم الحَسَنْ اسم المسيح الاسم الحُلو المملوء بركة والمملوء مجداً وخلاصاً ، الذي كل من يدعو به ينجو ، ليتَ الله يكشِف عن عُيوننا لِنُدقِق في حياتنا ونتسربل بِثِياب اللاهوت أي المسيح أحشاء الرَّحمة والصَّلاح والاتضاع ، الرَّاعي والفادي والرب المُخلِّص الذي ليس بأحد غيرِهِ الخلاص .

إنَّ اللاهوت أساس الكِرازة ، وجوهر خدمِة التعليم الكنسي ، وسِر التَّسبيح وركيزِة التربية الليتورچية ودُعامِة الحياة النُّسكية ، ومن خلال الفِكر التقي المُستقيم الغير مغشوش

نُؤمن ونعرِف ونحيا ونتأمل لاهوتياً ونعبُد بكل طاقاتنا واشتياقاتنا ، التي هي هِبة الله للإنسان في المسيح يسوع ، ومن ثمَّ في الكنيسة التي هي جسده مُستودع النعمة ، التي لا خلاص لأحد خارِجها .

وعِلْم اللاهوت الآبائي Partristic Theology لا يبحث عن إثبات وجود الله وطبيعته وسِماته وأعماله بطريقة مجردة وإنما كحياة بها ومعها وفيها نعيش ، لهذا يتسع عِلْم اللاهوت ليحمِل بين طياته كل ما يمِس الحياة الداخلية والخارجية ، كشف لنا عنها الآباء كمفهومات وصيَغ تعليمية ، بل كخِبرة مسيحية حيَّة وعامِلة في حياة الكنيسة ، وكحقائِق خلاصية واقعية ومُعاشة يُعلِنها الروح القدس الرب المُحيي .

لقد فرَّق الآباء بين معرِفة العقل ومعرِفة الذهن الروحي ، الأولى تستخدِم المنطِق والجَدَل والتحليل العقلاني ، والثانية رؤية روحية صافية استنارة واستعلان ، فالذهن مقره القلب ، أمَّا الفِكر فمكانه العقل (الدِماغ) ، وفي هذا لا ياغي الآباء مَلَكِة التفكير المنطقي للذهن ، ولكنه يعني معرِفة حدود العقل ، لذلك حرص الآباء على أن لا يتركوا العنان للعقل والآراء الذَّاتية ، لأنَّ معرِفة الله هِبَة روحيَّة ومعرِفة حيَّة ، معرِفة محبَّة وشَرِكَة وتقديس ، فلا فرق بين طريق المحبَّة وطريق المعرِفة ، لأنَّ المعرِفة الحقيقية تُقترن بالمحبَّة والإفراز الواعي والصلاة القلبية الدائِمة وترديد اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح .

إنَّ القلب هو الذي يصنع اللاهوتي Pectus Thologum Faci ، فمعرِفتنا لله لا تجعل منا فلاسِفة وعُلماء بل تجعلنا قديسين نظير القدوس الذي دعانا سالكين في طريق الكمال كما أنَّ أبانا السماوي هو كامِل ، والمعرِفة اللاهوتية السِّرِّية على النقيض من كل معرِفة بشرية تأتي من عقل الإنسان ، لذلك اللاهوتي الحقيقي هو من له شَرِكَة مع الله ، وكما أنَّ دراسِة اللاهوت تُحسب معرِفة ، هي أيضاً إيمان وحياة وتقديس وبذل وانسكاب ونُسك وتسبيح وشهادة وشَرِكَة وخدمة دياكونية ، فيا لِغِنَى معرِفة الله تلك الهِبَة الروحية هِبَة الشَرِكَة مع الثالوث القدوس ، ومع السمائيين ، ومع المؤمنين .

والآن – عزيزي القارِئ – أحب أن أجذِب انتباهك إلى المدينة العُظمى المحبَّة للمسيح ، أصل الكرازة وبيت العِلْم ومركز الحياة الفِكرية المُتألِقة الحيَّة ، حيث واجه آباء

مدرسِة الأسكندرية اللاهوتية خليطاً من الفلسفات كان عليهم أن يُجابِهوه بذات الأُسلوب ، فصارت الأسكندرية عقل المسيحية وأوّل كرسي للتعليم المسيحي ، بل قُل أنها قلب المسيحية النابِض ، تحمِل سِمة الحياة والمعرِفة ، حيث التعدُّد والتنوُّع ، الذي جعلها تقِف أمام العالم كله كنيسة مُشرِقة حكيمة غنية قوية مُرهبة كجيش بألوية ، إذ وقفت أمام العالم كابنة الملِك المُلتحِفة بثياب مزركشة ، لتصير الكنيسة كل شئ مع كل أحد ، تلمس أوتار كثيرة لقلوب كثيرة ، كنيسة إكليمنضُس السكندري والعلاَّمة أوريجانوس والقديس ديديموس الضَّرير المُبصِر ، والعظيم البابا أثناسيوس الرسولي حامي الإيمان ، والبابا كيرلُس عمود الدين وسِرَاج الأُرثوذُكسية ، والبابا ديسقورس بطل وفخر الأُرثوذُكسية .

وشُكراً لله لأنه كما كان هكذا يكون من جيل وإلى جيل ، تبقى كنيستنا دوماً مُعلِّمة للمسكونة وخزانة للتقليد الرسولي وأداة لحِفْظ التعليم الصحيح ، كنيسِة عِلْم ولاهوت ، حيث كرسي الأسكندرية مهد اللاهوت المسيحي ، وقد جلس عليه البابا المُعلِّم والعلاَّمة اللاهوتي **قداسِة البابا المُعظَّم الأنبا شنوده الثَّالِث** بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقُسية ، ولنُصلِّي جميعاً من أجل الكرازة بالإنجيل ومن أجل سلامِة الكنيسة وحياة مُمتدة هادِئة لقداسِة البابا أبو النهضة التعليمية .

وإلهنا الذي دعانا لمجده الأبدي يُبارِكنا بكل بركة روحية

له المجد مع أبيه الصَّالِح والروح القدس

إلى الأبد آمين

المُعرِّب

كلمة شُكر واجِبة

مجداً وإكراماً ، إكراماً ومجداً للثَّالوث القدوس المُمجد ، الذي سمح لنا نحن الضُعفاء أن نتكلَّم عنه ، وأعطانا الشَركَة معه .

وشُكراً خالِصاً لصاحِب النيافة الحبر الجليل **الأنبا بيشوي** مطران دمياط والبراري وسكرتير المجمع المُقدس ، الذي تفضَّل مشكوراً بمراجعة هذا البحث ، ووضع بعض الشروحات والاضافات القَيِّمة بيد محبته الرَّسولية التي أثرت البحث وميَّزته بروح كنيستنا القبطية ، التي نفتخِر دوماً بتمثيل نيافته لها في المحافِل المسكونية مُقدِماً لكنائِس العالم إيمانها ومُدافِعاً عن تعليمها الصحيح ، وأنه لِمَا يُبهِج قلوبنا أن تأتي مراجعة نيافته لهذا البحث في أوِّل فجر من عام جديد في سِنِي حياته ، فليُعطِهِ الرب زماناً هادِئاً بهيجاً .

وكلمة شُكر ومحبة لجزيل الاحترام أبينا الأسقف المُكرَّم **الأنبا بنيامين** أسقف المنوفية والنائِب البابوي ، من أجل صلواته ورعايته وروحه الأبوية التي يشملنا بها ، وها رائِحته المُباركة قد عطَّرت الأرجاء فامتد بالعمل الرعوي والخدمة إلى ما هو قُدَّام ، فهو أيقونة لقداسِة البابا المُعظَّم الذي هو أيقونِة المسيح ربنا ورب الجميع .

وإنني لمدين للأب المُوقر القِس **أثناسيوس ميخائيل** مُدرِس التاريخ الكنسي بإكليريكِية الأسكندرية ، ذاكِراً محبته وتشجيعه وتعبه في مُراجعة النُّسَخ الطِباعية الأولى ، وإبدائه لبعض المُلاحظات اللازمة للبحث .

كما ولا يفوتني أن أشكر إخوتي الخُدَّام الأحباء الذينَ أعطوني الدفعة الأولى في هذا العمل ، محبَّة منهم للكنيسة ولتُراث الآباء ، الله الذي يرى في الخفاء يُكافِأهُم بالبركات السمائيى .

أخيراً نطلُب صلوات الجميع عن ضعفِنا ، والله يجعل هذا العمل سبب بركة وخلاص لكثيرين بصلوات أبينا الحبيب والمحبوب أبو الآباء قداسِة **البابا شنوده الثَّالِث** ، ولربنا المجد أبدياً أمين .

الفصل الأول

بِدايات

(حُقبِة الآباء الرَّسوليين)

ربما يستصعب البعض الفصلين الأولين لكونِهما دراسيين تماماً ، لكن لم يُمكننا تجاوزهُما من أجل أمانِة وشُمولِية البحث ، لذا يمكن للقارِئ العادي – إن أراد ذلك – أن يبدأ من الفصل الثَّالِث .

بِدايات

(١) ترجع لفظِة " ثيولوچيا " (Θεολογία) إلى قُدماء اليونان وخصوصاً ، الفلاسِفة اليونانيين .

كان أفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق . م) أوّل من استخدمها في كتابه المشهور " الجمهورية - Republic " عن الخلق الفائِق ، وتحدَّث عن ثلاثة أنماط للثيولوچيا :

١. العقيدة .

٢. الأغذية .

٣. التراچيديا .

وقد استخدم الشُّعراء هذه الأنماط الثَّلاثة ، وهم أوائِل اللاهوتيين ، في أساطيرهم عن الآلهة ، ومع هذا التعريف التقليدي للثيولوچيا ، كان لأفلاطون رأيه الفلسفي ، فكانت الثيولوچيا ، وِفقاً لرأيه ، لا ينبغي أن تُقترن بالميثولوچيا (الأساطير) بل بالفحص العقلاني في المسألة الخاصة بالله ، فالتصنيف الصحيح واللائِق للثيولوچيا ليس الأُسطورة، بل اللوغوس (العِلَّة أو العقل) (Λόγοσ) .

وأنماط الثيولوچيا فكرية وليست أدبية ، فهي مفاهيم فلسفية خالِصة حيث نعرِف الحق عن الله بطريقة عقلانية (فِكرية) [١] .

ولم تَرِد لفظِة " ثيولوچيا " في أعمال أفلاطون كما هي بل كمفهوم فلسفي ضِمني ، تطرَّق إليه كثيراً لتوضيح تعليمه ، ومن الجدير بالذِكر أنَّ أفلاطون عرَّف مفهومه عن الله بفكرِته عن الخير (The Good) وعلى أي حال ، منذ كتابات أفلاطون ، بدأت لفظِة " ثيولوچيا " تتضمن شيئاً آخر مختلِفاً تماماً عن مجرد سرد حكايات تافهة [٢] .

لذلك لم يكن من المُدهِش أنَّ اللاهوتيين المسيحيين قد أشاروا فيما بعد إلى أفلاطون باعتباره " حكيم اليونان الذي فكَّر في الله " .

(٢) أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق . م) : وقد أمعن كثيراً في استخدام لفظِة " ثيولوچيا " [٣] ، ومثلما فَعَلْ أفلاطون كان أرسطو يُوظِّف اللفظة بمفهومين ، ففي

المفهوم الأوَّل : الثيولوچيا هي الميثولوچيا [٤] ، واللاهوتيون هم شُعراء الأساطير ، مثل هومر (القرن التاسع ق . م) وهسيود (٧٥٠ – ٧٠٠ ق . م) [٥] .

وهم الذينَ دعاهم " اللاهوتيين القُدامى " οί λαμπάλαιοι Θεολόγοι .

وهذا المفهوم عن " الثيولوچيا " يختلِف اختلافاً جذرياً عن الفلسفة ، وفي الحقيقة وكما يقول چيجر " تبدأ الثيولوچيا حيث تنتهي الفلسفة " [٦] ..

وفي المفهوم الثاني : يُوظَّف أرسطو مفهوماً آخر عن " الثيولوچيا " يقترِب من مفهومه عن الفلسفة ومن ثمَّ يمكن أن يُسمَّى " الفلسفة الثيولوچية " ، وهذه الثيولوچيا تُشكِّل مع الفيزياء والرياضيات الثُّلاثي الأساسي للعلوم النظرية : [٧]

ويتناول العِلْم الأوَّل (الفيزياء) الأشياء التي تتحرَّك .

والعِلْم الثاني (الرياضيات) الأشياء السَّاكِنة .

أمَّا العِلْم الثَّالِث (الثيولوچيا) الكيان المُنفصِل عن السَّاكِن والمُتحرِك فالثيولوچيا هي اللا مُتحرِك المُحرِك للجميع !! وهذا الكيان الأوَّل هو المبدأ الربوبي الفائِق .

ويعتبِر أرسطو الثيولوچيا أنها الأعظم (Βελτίων) بين العِلمين الآخرين ويُسمِّيها " الفلسفة الأولى " ، بخلاف الثيولوچيا الأسطورية للشُعراء ، فهذه الثيولوچيا أسمى وأعلى [٨] كيفاً من الفلسفة ، فكما وجدنا في فِكْر أفلاطون هكذا نجِد في أرسطو ذلك النموذج الفلسفي العقلاني العِلمي للثيولوچيا والتي تُعتبر بحق **مَلِكَة العلوم** .

(٣) زينو (٣٤٢ – ٢٧٠ ق . م) وكريسيبوس (٢٨٠ – ٢٠٦ ق . م) وهما فيلسوفان رواقيان (Stoic Philosophers) ، وقد ميَّزا تصنيفهُما الخاص للعلوم النظرية :

المنطِــق	Λογίκά
والأخلاقيات	ήθικά
والفيزيـــاء	Φνσικά

وأعلى نقطة في الفيزياء هي المفهوم الإلهي [٩] .

وقد قَامَ كلينانثيس (٣٣١ – ٢٣٢ ق . م) بتقسيم تصنيفات زينو كما يلي :

ينقسِم عِلْم المنطِق إلى جدلي (ديالكتيكي) وبَلاَغي (ريتوريكي) ، وقسَّم الأخلاقيات إلى : الأخلاقيات الخالِصة والسياسات ، وقسَّم الفيزياء إلى : الفيزياء الصِرف والثيولوچيا [١٠] .

ويبدو أنَّ الرواقيون اللاحقون فقد طوَّروا مفهوماً آخر عن " الثيولوچيا " ، فقد ميَّز بانيتوس الرودسي (١٨٠ – ١١٠ ق . م) ثلاثة أنواع " للثيولوچيا " :

- المستيكي (السِّري) .
- والطبيعي .
- والسياسي .

أمَّا تلميذه قارو (١١٦ – ٢٧ ق . م) فقد خالف هذا الرأي ومن خلاله وجد هذا المفهوم طريقه :

إلى كِتاب العلاَّمة ترتليان Ad. Nationes " إلى الأمم " [١١] .

وكِتاب الكاتِب الكنسي يوسابيوس Preparatio Evangetica " أوَلِيات إنجيلية " [١٢] .

وكتاب القديس أُغسطينوس De Civitate Dei " مدينة الله " [١٣] .

(٤) واكتسبت " الثيولوچيا " الفلسفية اليونانية فروقاً طفيفة في عمل أصحاب المدرسة الأفلاطونية المُحدثة في العصر الوسيط والذينَ يبدو من المُحتمل أنهم تأثَّروا قليلاً أو كثيراً بالمُفكرين المسيحيين (؟) .

فمثلاً بلوثارخ (٤٧ – ١٢٧م) وهو أفلاطوني وسيط يتحدَّث عن " اللاهوتيين القُدماء " بأنهم " أنبل وأعظم الفلاسِفة " [١٤] ، وميَّز لاهوتهُم بأنه " الخير الأوَّل " ، وتكلَّم أيضاً عن لاهوت جامعي الأساطير وقِصصها المُتواتِرة في التأمُّل اللاهوتي .

وأخيراً يتحدَّث بلوثارخ عن " لاهوتيي دلفي " ، وهم طبقة من اللاهوتيين الذينَ خدموا في مهابِط الوحي Oracle والمعابِد الكبيرة ، وقد توثَّق ذلك من عدِّة مخطوطات أو

كِتابات من آسيا الصغرى حيث نقرأ عن اللاهوتيين الذُكور والإناث في معابِد برغامُس وسِميرنا وأفسس .

أمَّا بلوتينوس (٢٠٥ – ٢٧٠م) فيتحدَّث عن " كهنة ولاهوتيين " [١٥] ، ويتحدَّث يامبليخوس (٢٥٠ – ٣٣٠م) عن " المباحِث اللاهوتية " [١٦] ، " والأجاجي الثيولوچية " [١٧] ، " ومعلومات عن الأمور الإلهية " [١٨] ، " والمعرِفة الكامِنة في البشر عن الآلهة " [١٩] ، " والثيولوچيا العِلمية " [٢٠] ، " والثيولوچيا الحقيقية " [٢١] .

وعبارِة " الثيولوچيا العِلمية " ترجع إلى فِكْر أرسطو ، أمَّا عبارِة " الثيولوچيا الحقيقية " فترجِع إلى الكُتّاب المسيحيين الذينَ عاشوا قبل يامبليخوس ، مثل أثيناغوراس (القرن الثاني الميلادي) ، ذلك المُدافِع " الذي تحدَّث عن الأُسلوب الأحق للاهوته " [٢٢] ، والقديس إكليمنضُس السكندري (١٥٠ – ٢١٥م) [٢٣] .

وكتب يامبليخوس عملاً كامِلاً عن " لاهوت الرياضيات !! " ، وبروكلوس (٤١٠ – ٤٨٥م) كتب مبحثاً عن " لاهوت أفلاطون " وآخر عن " العناصِر الثيولوچية " .

وهذه المراجِع تُشير إلى أهم المُميزات للثيولوچيا اليونانية القديمة ، و الثيولوچيا الإغريقية ذات الطابِع الكوزمولوچي (الكوني) والأنثروبولوچي (الإنساني) ، فهي تأخذ انطلاقاتِها من هذا الكون وتُمثِّل محاولة لبلوغ تفسير لطبيعة الأشياء ، خصوصاً طبيعة الوجود واللا وجود للخير والشر .

ومُحتواها الطبيعي هو الوجود الطبيعي وأداته هي قُدرِة الإنسان العقلانية وافتراضيتها هي عقلانية أو فِكْر العالم الكامِن فيه ، واتجاهها هو حركة من التَّعدُدية إلى الوحدانية ، من الكثير إلى الواحِد [٢٤] .

والمُفكِر الإغريقي (اللاهوتي) ينشأ من الطبيعة (Φύσισ) إلى اللوغوس (العقل) (Λόγοσ) ، ويكون الانتقال من الفهم الطبيعي إلى الفهم الفلسفي ، والفلسفة دائِماً في نظرهم هي أُم الثيولوچيا !! .

(٥) أمَّا الترجمة اليونانية للعهد القديم والمعروفة باسم النسخة السبعينية ، فلم تستخدِم

لفظِة " ثيولوچيا " أو حتى مُرادفاتِها على الإطلاق ومع هذا فإنَّ تعليمها عن الله هو أكثر وُضوحاً بل وهو المُضاد المُباشِر لمفاهيم اليونانيين – **فالله فيها هو البِدء لا النهاية** ، **فالحركة هنا من الوحدانية إلى التَّعدُدية** ، فالتَّعدُدية هي فِعْل خلق قبل أن تُصبِح فِعْل تحلُّل وذَوَبَان ، وحل مُعضِلة التَّحلُّل ليس في العودة إلى الوحدانية بل في إعادِة تكوين وصياغِة الكثيرين بالواحِد ، وهنا أيضاً تأكيد على العقلانية ، ولكنها عقلانية إلهية تلك التي تخلِق وتُثبِت وتسنِد عقلانية هي في واقِعها كونية وبَشَرِية ، وهذه العقلانية عبَّر عنها في النُّبوة المُعطاه أو المُوحى بها من الله ، والتي صارت هي فِعلاً أُم الثيولوچيا ، فالنُّبوة أُم الثيولوچيا .

وقد حاول فيلو (٢٠ ق . م – ٥٠م) أن يُترجِم اللاهوت اليهودي للعهد القديم إلى مقولة يونانية جعلت هذا الأمر في غاية الوضوح ، فوظَّف فِعْل " يلهوت (أي يتأمل لاهوتياً To Theologize " ، مرَّة واحدة فقط ، لكنه كان يستخدِم الاسم " لاهوتي " ليُشير إلى **موسى كنبي** .

وهناك حالة واحدة فقط ، أشار فيها باستخدام لفظِة " لاهوتي " إلى الفلاسِفة الإغريق القُدماء ، والفحص الدقيق لنصوص فيلو يكشِف عن أنَّ تمييزه لشخص موسى النبي بأنه " لاهوتي " يختلِف تماماً عن اللاهوتي الفيلسوف عند الإغريق ، فموسى هو لاهوتي نبي أي مُفسِر لله (Ερμηνευτήσ) ، الذي ينقِل ما يُريد الله أن يقوله (Τά Λεκτέα) .

وفي كِتابه " حياة موسى النبي " يُميِّز فيلو بين أربعة نواحي لتعليم موسى :

التاريخية والشرعية والليتورچية والنَّبوية

ويُكرِّر القديس إكليمنضُس السكندري هذا التقسيم لكنه يُعيد تسمية " الناحية النَّبوية " بلفظِة " الثيولوچية " ، وكان هذا إشارة إلى تقدير مفهوم فيلو المُميِّز عن ثيولوچية موسى المُرتبِطة بالنُّبوة ، ويُوجِز هـ . أ . وولفصن هذا الأمر بشكل تام حين يقول : " إنَّ النبي بالنسبة لفيلو هو مُفسِر الله الذي يحِث على التعريف عن الله بما يجب أن يقوله من عُمق الأمر ، وكما يُوصِف موسى على الدوام كنبي في الكتاب المُقدس ، يصِفه فيلو كلاهوتي أيضاً " .

والثيولوچيا **النَّبوية** تنقِل كلمة الله عن الإنسان والكون ، والثيولوچيا **الفلسفية** تنقِل تعقُّل الإنسان عن الله والكون ، فالأولى هي **الاستعلان** Revelation والأخيرة هي **الإكتشاف** ، وليس تميزهُما مُطلقاً بل يُشيران إلى الإتجاه والتأكيد .

وعندما نأتي إلى القديس أغناطيوس الأنطاكي (٣٠ – ١٠٧م) نجده يتكلَّم عن الثيولوچيا على اعتبار أنها تدبير Oikonomia الكائِنات بحكمة المُدبِر ، فيقول لأهل مغنيسية : " أنَّ يسوع المسيح هو مُعلِّمنا الأوحد ، وكيف يمكننا أن نحيا بدونه " .

وقال في المسيح يسوع لأهل أفسس : " وليس لنا سِوَى طبيب واحِد ، جسدي وروحي ، مولود gennetos ، وغير مولود " .

وفي ذروِة تعليمه اللاهوتي دعا أهل فلادلفيا " اقتدوا أنتم بالمسيح كما اقتدى هو بأبيه " . وأوضح أنَّ الرب يسوع المسيح هو الطريق المُؤدي إلى الآب الذي منه دخل إبراهيم وإسحق وموسى وكل جماعِة الأنبياء .

وكتب القديس إيريناوس (١٤٠ – ١٦٠م) أبو التقليد الكنسي ، كِتابه " ضد الهرطقات " الذي يُعتبر أحد معالِم اللاهوت المسيحي المُدونة باليونانية ، فصار بذلك مرجعاً للاهوتيين في العصور الأولى وحتى عصرنا الحاضِر ، حيث اتجه بالبراهين المُتقنة ضد الهرطقات ، ثم وضع تعليماً لاهوتياً في كِتابه " بُرهان الكرازة الرسولية " ، وتُعتبر كِتاباته الدليل العقائِدي الأوَّل في تاريخ اللاهوت المسيحي ، (تحديد للإيمان وبُرهان له) .

أكَّد على أنَّ الرب يسوع المسيح هو الحق الذي يتمتع بمعرفته الذينَ يعملون الصَّلاح: " لذلك يُعطي الله خيرات للذينَ يعملون الصَّلاح ، فينالون المجد والكرامة لأنهم يُمارِسون العمل الصَّالِح " [٢٥] .

لجأ القديس إيريناوس إلى التقليد ليستمِد فِكره اللاهوتي دونَ أن يلجأ إلى الحِجَج الفلسفية ، فقد قال في ردُّه على الهراطِقة :

" أُفضِّل كثيراً أن لا يعلم المرء شيئاً عن سبب واحد لخلق واحد ، وأن يُؤمِن بالله ويستمِر في محبته ، من أن ينتفِخ بالمعرفة فيبتعِد عن المحبَّة التي هي حياة الإنسان ،

ينبغي أن لا نطلُب إلاَّ يسوع المسيح ابن الله الذي صُلِبَ لأجلِنا " .

ربط القديس بين ثيولوچيا العبرانيين في العهد القديم و الثيولوچيا الحقيقية في العهد الجديد ، فقال أنَّ الخلاص قد أُعلِن ونُودِيَ به ، وإذا كان الله يُرِي نفسه لأبرار الشريعة القديمة بواسطة كلمته وروحه ، فإنَّ هذا الأمر لم يكن إلاَّ بصورة مستورة (ناقِصة) ، فموسى وإيليا وحزقيال لم يروا سِوَى تشابيه مجد الله ونُبوات عن الأشياء الآتية .

ويرتكِز فِكْر القديس إيريناوس اللاهوتي على نظرية **الانجماع الكلي** :

" ثِمَة إله واحد هو الآب ومسيح واحد هو سيّدنا الذي أتى بمشيئته ليُعيد جميع الأمور بنفسه ..... " .

ويُؤكِد إيريناوس على أنَّ تعليم الرُّسُل استمر صحيحاً ، ورَبَطْ بين الثيولوچيا التريادولوچية وتدبير الخلاص :

" فالكنيسة تُؤمِن بإله واحد ، أب فائِق القُدرة ، صانِع السماء والأرض والبحار وكل ما فيها ، وبمسيح واحد هو يسوع ابن الله الذي تجسَّد لأجل خلاصنا ، وبالروح القدس الذي نطق بالأنبياء ، فأعلن التدبير والمجئ والولادة من العذراء والآلام والقيامة والصعود والمجئ الثاني " .

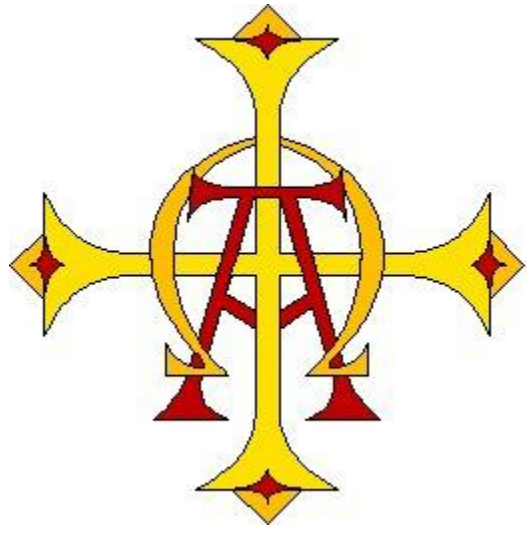

مراجِع الفصل

1) Republic, 378 Bcd. CF. also W. Jaeger's The Theology of the Early Greek philosophers, Oxford, 1967, p. 4, and H. Fries' Theologie, Handbuch Theologischer Grundbegriffe, II, Munich, 1963, p. 641.
2) CF.W.H.V. Reade. The Christian challenge to Philosophy, London, SPCK, 1951 Particularly ch. 3. The invention of Theology. pp. 26 FF, which deals with Plato's Theology.
3) CF. H. Bonitz, Index Aristotelicus, 324 b 53 – 325 a 2.
4) Metaphysics, XXX, 107461.
5) Metaphysics, A, 983 B 29, B 1000 a .٩
6) Ibid, p. 5.
7) Metaphysics K, 1064 a 30 – 66, 1026 a 10 – 19.
8) Ibid, 1062 a 24, 30, 1064 a 37 – 61.
9) Disgenes Laertius, vii, 40 in I. A. Arnim, II, 43 p. 17, 3 – 5 .
10) Sttoicorum Veterum Fragmenta in I.A.Arnim I, p. 108; 10 – 12.
11) P.L. 1,CI. 587 B.
12) I V I, 1 – 12.
13) P.L. 41, 180 FF.
14) About The Cosmogony Of Timoeus, 1030 b.
15) Ennead III, 5, 8, 21 – 22; CF. 8, 1 – 23.
16) De Mysteriis I, 1, 3, P.2.
17) Ibid., I, 1,3, P. 4.
18) Ibid. I, 1,2 - 3, 12, PP. 4 - 5.
19) Ibid. 3, IC, P. 7.
20) Ibid. I, 4,6, P. 14.
21) Ibid.10, 2,6 - 9, P 287.

22)Embassy, 18.

23)Exhortatio, VI, 72, I.

24)See A.W.H.Adbins, from the Many to the one, London, 1970.

25)Adv. Haer. 4 : 37 : I.

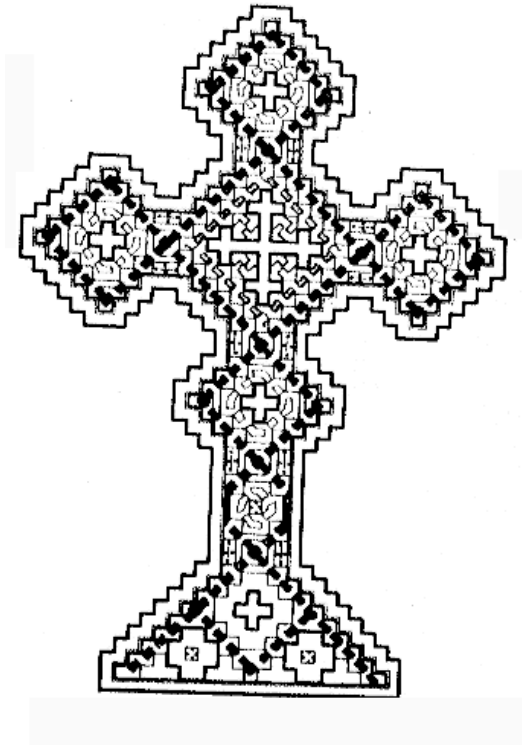

الفصل الثَّانـي

الآبـاء المُدافِعُون

(القرن الثَّانـي الميلادي)

Apologists

كان الآباء المسيحيون المُدافِعُون هم أوَّل من وظَّف اللفظة اليونانية " ثيولوچيا " في المضمون المسيحي ، أمَّا الرُّسُل والآباء الرسوليين ، فلم يستخدِموا هذا المُصطلح إلاَّ بقدر ضئيل للغاية . ربما بسبب ارتباطه بالمفاهيم اليونانية وغيابه من العهد القديم ، بالإضافة إلى أنَّ المُدافعين أنفُسهم لم يسهبوا في استخدامه .

فظهر اللفظ مرَّة في أعمال تاتيان (١٦٠م) ومرتين في كِتابات القديس والفيلسوف يوستين الشهيد (١٠٠ – ١٦٥م) ، وسبع مرَّات في كِتابات أثيناغُوراس الأثيني (القرن الثاني الميلادي) ، ويُرى هذا التنوع كدليل على محدودية استخدام الآباء المُدافعين لهذا المُصطلح لأوَّل مرَّة استخداماً شامِلاً وإلى أقصى حد ، بسبب دلالاته في الميثولوچيات الوثنية (قِصَص الأساطير الوثنية) ، ويربُط **أثيناغُوراس** اللفظ " ثيولوچيا " ربطاً واضِحاً وصريحاً **بالميثولوچيا** عند الشُّعراء القُدامى ، ويذكُر أسماء هومر (القرن التَّاسِع ق . م) وأورفيوس (القرن الثَّاني عشر ق . م) وهيسيود (٧٥٠ – ٧٠٠ ق . م) كأكثر من يُمثِّل هذا التقليد .

ويُركِّز بوجه خاص على اسهامات أورفيوس الذي يقول عنه إنه كان مسئولاً عن أسماء الآلهة الإغريق وعن أصلِهِم وعن تطوير علاقِة الثيولوچيا بالثيوچونيا * .

وينتقِد أثيناغُوراس بشدَّة ثيولوچيا الشُّعراء الإغريق ويُحاجِج إنها لا يمكن أن تكون حقيقية لأنها ذات منشأ وليست أبدية [١] .

ولكي يُعزِّز من مُحاججته ، يُورِد أثيناغُوراس تمييز أفلاطون بين العقلاني Noetic والحِسِّي Sensible [٢] Νοητόν / Φαινόμενον والمُرتبِط بتطابُق كبير بذلك التمييز بين " ذي المنشأ - المخلوق " " واللامخلوق " [٣] (ἀγενητόν / γενητόν) و" الكيان الأبدي " و" اللا كيان " [٤] (ἀεί ὁύ / οὐκ ὁύ) ، ولمَّا كان الآلهة بالنسبة للشُّعراء الإغريق مخلوقين (ذَوِي منشأ) فلا يمكن أن يكونوا آلهة أبدية ، لأنه ما كان مخلوق هو أيضاً قابِل للفناء [٥] !!

إذن الثيولوچيا التي ترتبِط بالضرورة بالكيانات والثيوچونيا (تزاوُج وعائِلات الآلهة)

* الثيوچونيا : مبحث أصل وسُلالات الآلهة وعائِلاَتِهِم ونشأتِهِم (في الفِكْر الأُسطوري) .

هي ثيولوچيا عقيمة وسخيفة فهي تفشل في إدراك المبدأ المركزي للميتافزيقا الأفلاطونية ، والتمييز الأونطولوچي " الوجودي " المُطلق بين الأبدي والزمني ، العقلي والحِسّي ، وبالنسبة للفِكْر الأفلاطوني فإنَّ الثيولوچيا ترتبِط فقط بالمجموعة الأولى (الأبدي والعقلي) ومن ثمَّ لا تظهر عليها ملامِح المجموعة الثانية (الزمني والحِسّي) .

واللاهوت الميثولوچي لا يمكنه إدراك أو استيعاب ذلك التمييز المُطلق ، ومن ثمَّ يخلِط بين الأبدي والزمني ، وبين الثيولوچيا والكوزمولوچيا ، وتكون النتيجة كوزموچونيا ميثولوچية (أصل الكون من الوجهة الأُسطورية) ، وهنا يصير من المهم للغاية ، لا أن نُشير إلى " أفلاطونِية " أثيناغُوراس بل أن نُقَيّمها تقييماً حقاً ، وفي التحليل الأخير لم يكن أثيناغُوراس يُفلسِف المسيحية فلسفة أفلاطونية بقدر ما كان راغِباً في قبول صحة التقليد " الثيولوچي " الأفلاطوني في مضمون دِفاعياته واستخدامها ضد الثيولوچيا الأُسطورية المشكوك في صِحتِها للديانة الإغريقية القديمة .

والدليل القاطِع على أنَّ أثيناغُوراس لم يكن لاهوتياً مُتأثِراً بالفلسفة الأفلاطونية نراه في تعليمه عن اللوغوس ، وخصوصاً دِفاعه وجهاً لوجه ضد ميتافيزيقية أفلاطون الثيولوچية عن الميلاد والاستعلان التجسُّدي لهذا اللوغوس وِفقاً لإيمان الكنيسة .

وكان على أثيناغُوراس أن يقهر الثيولوچيا الأفلاطونية حينما كان مُضطراً أن يدافِع عن تعليم الكنيسة عن ابن الله ، وميَّزها تماماً عن ميثولوچيا الإغريق وعقلانية الفلسفة الإغريقية ، كما يُعبِّر عنها بقوله :

أثيناغوراس

" نُؤمن بإله واحد ، غير مخلوق ، أبدي غير منظور ، لا يتألَّم غير مُدرك ، ولا محدود ، يُدرك فقط بالفَهْم والعقل ، مُوشَّح بالنور والجمال والروح والقُوَّة الغير محدودة ولا المُدركة ، خُلِق الكون بكلمته اللوغوس ، ورتَّبه في نظام ونسَّق وحَفَظُه في كيان وحركة ، هكذا قد عرضت الأمر في وضوح كافٍ . "

مسيحي

وأقول كلِمته (لوغوسه) لأننا أيضاً نُؤمِن ونعترِف بابن الله . لئلاَّ يعتقِد أحد أنه من السخف أن يكون لله ولد (ابن) ، فإن كان الشُّعراء في خيالاتِهم الشِعرية يُمثِّلون الآلهة وكأنهم بَشَرْ ، فإنَّ طريقتنا في التفكير ليست مِثلهُم ، لا بخصوص الله الآب أو الابن لكن ابن الله هو اللوغوس (الكلمة) ، كلمة الآب

في الفِكْر والعمل لأنه بحسبه وبه كل الأشياء قد خُلِقَت ، والآب والابن واحد ، والابن في الآب والآب في الابن ، في وِحدانية القُدرة أي فِكْر وكلمة الآب هو ابن الله [٦] .

ويتحدَّث الآباء المُدافِعُون الآخرون بنفس الأُسلوب ، فنرى تاتيان مثلاً يتعرَّض لنفس المبدأ في دِفاعياته إلى الإغريق :

" نحن لا نسلُك مسلك الأغبياء ، أيها الإغريق ، ولا ننطِق بروايات سخيفة تافهة حينما نُعلِن أنَّ الله وُلِد في هيئة إنسان ، وإني أدعوكم يا من تسخرون منَّا أن تُقارِنوا رواياتِكُم الأُسطورية مع روايَاتِنا ... " [٧] .

ويعرِض **القديس يوستين** الفيلسوف المسيحي والشهيد نفس الفِكرة :

" ونحن نقول إنَّ " الكلمة " وحيد الله قد وُلِدَ دون زرع بشر وإنَّ يسوع المسيح مُعلِّمنا قد صُلِب ومات وقام وصعد إلى السموات ، ونحن لا ننطِق بشئ يختلِف عمَّا تعتقِدون فيه بخصوص أُولئِك الذينَ يُكرِمون أبناء چوبيتر لأنكم تعلمون كم ابناً ينسِبهُ كُتَّابكُم لچوبيتر : مركوري ، إسكلابيوس ، باكوس ، هرقلس ، ديسقوري ، يرسوس وبيلليروفون !! [٨] " .

وأخيراً نجد **ثيوفيلُوس الأنطاكي** (القرن الثَّاني الميلادي) وقد عَرَض نفس التعليم :

" كلِمة الله الذي هو أيضاً ابنه ، ليس كما يتحدَّث كُتَّاب الأحاديث الأُسطورية والشُّعراء عن أبناء الآلهة الذينَ يُولدون بزرع بَشَرْ (مع نِساء) لكن كما يُقرِّر الحق الإلهي فإنَّ الله الكلِمة هو الأزلي الموجود والكائِن دوماً في حِضْن (قلب) الله الآب .... " [٩] .

وسبق ثيوفيلُوس الأنطاكي غيره في استعمال اللفظ اللاهوتي Trias للتعبير عن الثَّالوث القدوس ، وجعل الأيام الثَّلاثة الأولى التي سبقت صُنع الشمس والقمر تُمثِّل الثَّالوث . وتركزت رُؤيته للثيولوچيا في أنَّ الله أباً للكل لا يسعه مكان .

وكل هذه المقولات للآباء المُدافعين تُوضِح تماماً أنَّ لا شئ بينها يتفِق مع مبدأ الأنثروبومورفيزم (اطلاق الصِفات البشرية على الله) . ولا الميتامورفيزم (تحوُّلات الصِفات البشرية بالنسبة لله) . والذي ساد كل الثيولوچيا الأُسطورية لقُدماء الإغريق ،

والفارِق بينهما (الثيولوچيا الأُسطورية والمسيحية) واضِح في إيجاز دقيق من نص آخر لأثيناغُوراس الذي يُؤكِد على أنَّ اللاهوتيين الإغريق يُؤلِّهون الأساطير .

وقد فشلوا في السمو لمِلء الله عن طريق ما يُسمونه عندهم بالعقل (لوغوس) (Λόγοσ) ، لأنه لوغوس مادِّي ذو عِلاقة بجنس أو نوعية المادَّة ، ومن ثمَّ فهم يُؤلِّهون " تحوُّرات وتغيُّرات " العناصِر !! [١٠] . وانحصرت مُشكلتهُم في اخفاقِهِم فيما يختص بمِلء الله !

وهذا يعني أنَّ في لاهوت أثيناغُوراس يُظهِر الله مُختلِفاً بالكلية عن الأشياء المادية ، كما يقول هو في موضعٍ آخر أنَّ الإغريق فشلوا في إدراك " اللوغوس الطبيعي والثيولوچي " ، ومن ثمَّ يقيسون التقوى بنواميس وشرائِع الذَّبائِح [١١] ، والتي يُلاحِظونها في كل مكان ، وأثيناغُوراس يرفُض فكرِة أنَّ الله في حاجة إلى الذَّبائِح ، كما يقول : " خالِق وأب الجميع لا يحتاج إلى الدم أو رائِحة الذَّبيحة المُحترِقة أو روائِح الزهور والبخور ، لأنه هو العِطر والطِيب الخالِص الكامِل الذي لا يُعوِزه شئ " [١٢] ، فما هو إذن ذلك اللاهوت الذي يُدافِع عنه أثيناغُوراس ؟

يُخبِرنا أنه ذلك اللاهوت الذي يتمركز حول الله الواحِد الغير مخلوق الأزلي الغير منظور اللا مُتحوِل والغير مُدرك ولا مُحتوى . الذي لا علاقة له بآلهة الوثنيين [١٣] .

فإن كانَ هذا هو كل ما شدَّد عليه أثيناغُوراس في مُحاججته عن الثيولوچيا لقُلنا أنه لا يختلِف كثيراً عن تعريف أفلاطون للأَّهوت !! لكن أثيناغُوراس يتحدَّث عن تميُّز اللاهوت المسيحي في إسهاماته : والذي يختص مباشرةً وأساساً بالثَّالوث [١٤] .

ويُكمِل الفيلسوف أثيناغُوراس قائِلاً " من لا يدهش حين يسمع أنَّ الناس الذينَ يتحدَّثون عن الله الآب وعن الله الابن وعن الله الروح القدس ويُعلِنون وِحدانِيتهُم في القُوَّه وتميُّزهُم في الحالة Order (النِظام) يُدعون مُلحدين !! " [١٥] .

ثم يستمِر أثيناغُوراس في إيضاحاته عن تعريف اللاهوت ، فاللاهوت لا يختص فقط بالله الواحِد الأزلي ، وإيمان الكنيسة بثالوث الآب والابن والروح القدس ، بل يختص أيضاً بجموع الملائِكة والقُّوات السماوية التي يُرسِلها خالِق العالم بكلِمته اللوغوس لتسود

على العناصِر والسموات ونِظام الكون كله [١٦] .

وفي ضوء هذه الاقتباسات يُصبِح من الجلي أنَّ أثيناغُوراس قد استعار لفظِة " ثيولوچيا " وتعريفها الأوَّل من الفلسفة الأفلاطونية اليونانية ، لكنه عمَّق من معناها بوضعها في التقليد الثيولوچي الثَّالوثي للكنيسة المسيحية .

وحقاً يمكننا أن نقول عن أثيناغُوراس ، وعن الآباء المُدافعين الآخرين ، أنه قد عمَّد (مسحن) الثيولوچيا الفلسفية اليونانية في مياه الاستعلان المسيحي .

أمَّا العلاَّمة **لكتانتيوس** (٢٦٠ – ٣٣٠م) فقد شدَّد على أنَّ رجاء الإنسان الوحيد هو اتباع العقيدة الحقة والحكمة التي في المسيح وكل من هو جاهِل به فهو دائِماً مُتغرِب عن الحق وعن الله " فلندع اليهود أو الفلاسِفة يتملقون أنفُسهُم ويخدعونها بظنِهِم أنهم يُوقِرون الله الأعظم . فكل من لم يعرِف الابن لا يستطيع أن يعرِف الآب " .

ولم يتفِق الآباء المُدافِعُون في اتقان مسحنِة اللاهوت الأفلاطوني لكنهم مهَّدوا الطريق أمام تطوير ثيولوچيا مسيحية ذات طابِع إغريقي – وكان إدماج الأنجيلولوچيا (عِلْم الملائِكة) في الثيولوچيا تقليد مسيحي مأخوذ عن اليهودية ، وكان المُدافِعُون يُقرونه لكنهم لم يُتقِنوا التعمُق فيه .

والشهيد **يوستين المُدافِع** المسيحي (١١٠ – ١٦٥م) وظَّف لفظِة " ثيولوچيا " في حواره مع Trypho تريڤو اليهودي ، أو بالحري فِعْل (يلهوت) (يتأمَّل لاهوتياً) (Θεολογείν) بمفهوم كِتابي تفسيري ، وجد أصوله في التقاليد الرابينية للتلمود ، ةهو يُخبِرنا أنَّ تريڤو يتحدَّث بلغة لاهوتية في تفسيره للحرفين الزائِدين (a) ، (r) في اسمي Abraam وسارة Sarrah [١٧] .

وكان رد يوستين نوعاً مُشابِهاً " للحديث بالإلهيات " ، فهو يُفسِر المغزى اللاهوتي الكريستولوچي بتغيير اسم Auses إلى Jesus بواسطة موسى النبي [١٨] .

وهناك آيات أخرى في العهد القديم ، يُعمِّقها يوستين بنفس الأُسلوب في (تك ١٩ : ٢٤ ؛ مز ١٠٩ : ١ ؛ ٤٤ : ٧ – ٨) [١٩] .

والنمط التلمودي اليهودي للاهوته قد استُخدِم بشكل أعمق وأشمل على أيدي

المسيحيين الأوائِل في حواراتِهِم وجَدَلِهِم مع اليهود ، فمثلاً حالة يشوع أو يسوع ابن نون نجدها أيضاً في برنابا ، والقديس إكليمنضُس السكندري [٢٠] ، ويوسابيوس القيصري الكاتِب الكَنَسِي الشهير [٢١] ، وكانت الغاية هي توضيح وإبراز اللاهوت الثَّالوثي المسيحي [٢٢] .

ولأنَّ أثيناغُوراس كان مُعاصِراً للمُدافِع تاتيان تلميذ يوستين الشهيد ، لذا نُحِب أن نُشير إلى أنَّ دِفاعياته تختلِف عن دِفاعيات الاثنين ، فقد فرَّق بين الفلاسِفة باعتبار أنهم يستنبطون حِججهم بالبحث بذواتِهِم ، وبين الأنبياء الذينَ إذ يدفعهم روح الله يستطيعون أن يُقدِّموا شهادة جماعية غير مُتضارِبة للحق الإلهي .

تحدَّث أثيناغُوراس عن المسيحية وكأنها على قدم المُساواة مع الفلسفة ، ولكنه يرى أنَّ المسيحية ليست عقلانية كما أراد يوستين ، إنما هي اعلان إلهي فريد من نوعه .

وكان للفيلسوف أثيناغُوراس منهجه عندما احتج على الاتهامات الموجهة ضد المسيحيين ، فقد علَّق قائِلاً :

" المسيحيون لا يعبدون آلهة كثيرة ، ولا يعبدون العالم بل خالِق العالم ، يُؤمِنون بالله السَّرمدي الذي هو الآب والابن والروح القدس " .

ويُعتبر أثيناغُوراس أوَّل مُفكِر مسيحي حاول أن يُبرهِن على وِحدانية الله بطريقة فلسفية عِلمية مسيحية [٢٣] ، فتحدَّث عن الله كخالِق للعالم يُديره ، ووصف الله أنه سرمدي وكامِل في كل شئ وقادِر على كل شئ .

وفي بُرهان آخر تحدَّث أثيناغُوراس عن الله الواحِد وعن الثَّالوث القدوس كجوهر واحِد ، الآب هو العقل والابن هو اللوغوس (الكلمة غير المخلوق) ، واحِد مع الآب منذ الأزل والروح القدس ... واستفاض في إدراك كامِل لوحدة الثَّالوث وتمايُزه [٢٤] .

حذَّر أثيناغُوراس من فهم الآب والابن ، بطريقة عقلانية فلسفية مُؤكِداً أنَّ كلمة " الابن " لا تعني خروجه عن الآب في وقتٍ ما . وإنما هو كائِن معه أزلياً . الله الواحِد الحقيقي المصدر الوحيد لكل جمال [٢٥] .

وهكذا فإنَّ الآباء المُدافعين هم اللاهوتيون الأوَّلون لأنهم سبقوا غيرهم إلى البحث في

عِلْم الله " الثيولوچيا " . ويوستينوس المُدافِع ، كما سبق وذكرنا ، كرَّس جهوده ليُؤكِد أنَّ النُّبوات تُثبِت أنَّ يسوع المسيح هو ابن الله ... ووجَّه أنظارنا إلى أنَّ الفلاسِفة كأفلاطون قد استعاروا من العهد القديم ، ولهذا السبب فإننا لا نستغرب من وروُد أفكار مسيحية في الفلسفة الأفلاطونية .

ونظرة مُدقِقَة للاهوت يوستينوس تُرينا أنه وُضِع لاقناع أوساط غير مسيحية فجاء مبنياً على العقل مُستنِداً إلى الفلسفة اليونانية مُوضِحاً التشابُه بين المسيحية والفلسفة ليُثبِت أنَّ المسيحية هي وحدها الفلسفة الحقيقية وهذا لا يعني أنه بنى لاهوته على الفلسفة ، لكنه صرَّح في محاورة مع تريفو ، أنَّ الفلسفة هي أثمن الهِبات الإلهية التي رسم الله بها أن يقود الإنسان إليه .

ويُشبِّه يوستينوس انبثاق الكلمة بامتداد لهيب النار ويرى أنَّ المسيح كلمة الله يُنير العقول البشرية منذ البدء فأخصبت بذوراً Sperma منه واهتدت إلى الحقيقة .

ويُركِز القديس يوستين على أنَّ المسيح هو الكلمة أو هو العقل فهو المُتكلِم بالحق على أفواه جميع السابقين من فلاسِفة وأنبياء عبرانيين ابتداءً من آدم إلى موسى وبقية الأنبياء ، فالأمور التي كانت تبدو غير معقولة ومُستحيلة ، أعلن الله عنها بروح النُّبوة .

ولم يُفرِّق يوستين تفرِقة قاطِعة بين الثيولوچيا وبين الفلسفة بالمعنى الدقيق ، لكنه يقول أنَّ هناك حكمة واحدة وفلسفة واحدة ، وهي التي أُعلِنت في المسيح وبالمسيح ...

حاول القديس يوستين أن يُبرهِن على أنَّ الفلاسِفة الإغريق استطاعوا أن يروا الحقيقة ولكن في غُموض من خلال بذور العقل (النابِعة من الكلمة الإلهي) المُنغرِزة فيهم بزيادة [٢٦] .

وتميَّز منهج أثيناغُوراس اللاهوتي بكونِهِ عقلي ، أمَّ منهج المُدافِع يوستين بكونِهِ نقلي، الأوَّل يُكلِّم الوثنيين بلغِة الشُّعراء والفلاسِفة والثَّاني يستخدِم أقوال الأنبياء العبرانيين ..

ويكتفي أثيناغُوراس بالحديث عن التثليث المسيحي بنوع من التفصيل لكنه لا يتكلَّم عن المسيح بوصفِهِ الابن الأزلي ، أمَّا القديس يوستين فيتكلَّم عن وجودين للمسيح وجود زمني بميلاده من العذراء ، ووجود حقيقي سابِق على الزمان ويتحدَّث عن ظُهوراته قبل التجسُّد

في العُلِّيقة وأشخاص الملائِكة .

وبينما يُورِد أثيناغُوراس شواهِد من أقوال الفلاسِفة والشُّعراء ليُبين التوافُق بين المسيحية والفلسفة اليونانية ، يرى يوستين أنَّ أفلاطون اقتبس من موسى النبي الكثير ..

وعن وجود الله " الثيولوچيا " يقول أثيناغُوراس : " أنَّ الله هو الصَّانِع والخزَّاف بالنسبة للكون والخليقة " . ويرى أنه هو الذي يُنظِم العالم كله ويحكمه ، فلكل معلول عِلَّة.

وطبيعِة الله في لاهوت أثيناغُوراس يصِفها " الله روح بسيط ، أزلي ، أبدي سرمدي ، كامِل في كل شئ ، قادِر على كل شئ ، هو الخير والنور والقُوَّة والجمال والحق والعقل ، صانِع الكون ، ضابِط الكل ، مُعتني بالكائِنات ، غير المخلوق ، الثابِت العادِل الرحيم الذي لا ينفعِل ولا يشتهي ولا يحتد ولا يحزن " .

ويُعتبر أثيناغُوراس أوّل لاهوتي مسيحي يُحاوِل أن يُبرهِن على وحدانية الله برهنة عقلية ، ولم يعتبِر أنَّ وحدانية الله تطعن في الثَّالوث القدوس . لذلك يقول :

الله الآب	العقل
الله الابن	الكلمة = اللوغوس
الله الروح	

ودافع لاهوت أثيناغُوراس عن إيمان المسيحيين بإله واحِد ، وأنهم ليسوا ملاحِدة ، واستخدِم شهادِة الشُّعراء والفلاسِفة ليُبرهِن على وحدانِية الله ، مُؤكِداً على سمو التعليم المسيحي فيما يختص بالثيولوچيا .

تكلَّم أثيناغُوراس عن الثيولوچيا التريادلوچية (الثَّالوثية) ببراهين كافية داحِضاً تُهمِة عبادِة المسيحيين للكون ، مُستفيضاً في اللاهوت العملي المسيحي في زواياه الإيمانية والأخلاقية والروحية .

ومن بين المُدافعين في القرن الثَّاني الميلادي ، **العلاَّمة الأفريقي ترتليان** (١٦٠م) ، الذي يُقرِّر أنَّنا نعرِف الله معرِفة يقينية من مصنوعاته ، وأنه يمكن أن نستدِل على كمال الله من عدم مخلوقيته ، وهو بهذا قد مزج بين الثيولوچيا والكوزمولوچيا .

قدَّم العلاَّمة ترتليان مُصطلحات لاهوتية جديدة ، فنشهد مثلاً أوّل استخدام فني للكلمة persona (أُقنُوم) : فالأقانيم الثَّلاثة تتميَّز فيما بينها من حيث أنها أقانيم personae ولكنها ليست " جواهِر " substantiae مُختلِفة أو مُنقسِمة ، أمَّا تعليمه عن اللوغُوس أو الكلمة فيستعين فيه بالرواقيين وبالأخص زينون وكليانتيس .

ولم يرى ترتليان أيَّة علاقة بين الفلسفة والإيمان ، مُتبرأ من الذينَ ابتدعوا مسيحية رواقية أفلاطونية أو جَدَلِيَّة ، مُعتبِراً أنَّ اللاهوتي تلميذ السماء ، والفيلسوف تلميذ أثينا .

سبق ترتليان غيره من الآباء الغربيين في استعمال اللفظ " الثَّالوث " باللاتينية (Trinitas) ، ذاكِراً أنَّ الله كان يتكلَّم بصيغِة الجمع فقال : لنصنع الإنسان على صورتنا ومِثالنا ! ، وقوله هوذا آدم قد صارَ كواحِد منَّا .

إلاَّ أنَّ ترتليان وقع في أخطاء لاهوتية جسيمة جعلته لا يرقى إلى درجِة الآباء ، لكنه يُمثِّل امتداداً لإيريناوس في الدِفاع عن : وحدانية الله ، أو بالتعبير اللاهوتي المسيحي " وحدِة الجوهر الإلهي في الله " تلك الحقيقة التي كانت غائِبة عن الوثنية ..

لقد استفاد اللاهوت الغربي من مواجهة ترتليان لبراكسياس ومُروِجي الهرطقات في الغرب ، إلى أن أتت الهرطقة الآريوسية في القرن الرَّابِع (أي بعد حوالي ١٠٠ سنة من نِياحِة ترتليان) .

مراجِع الفصل

1) Embassy, 20 P G 6, 929 C.

2) Ibid, 18, P.G 6, 925 C 928 A. Ibid 17, P.G. 6, 921 C.
3) On His See. W.K.C Guthrie, Orpheus and Greek Religion (1935) or the Greeks and Their Gods, (Baston, Mass. 1951).
4) Ibid., 19, P.G. 6, 928 B – 929 A.
5) Ibid., 19, P.G. 6, 929 A.
6) Embassy, 10, P.G. 6, 908 B.
7) Ad. Graecos, ch. XXI: Doctrines of the Christians and Greeks respecting God compared; 10, P.G. 6, 852 C.
8) Apology 1, 21, P.G. 6, 1360 A.
9) Ad. Autolycum, II, 22, P.G. 6, 1088 A.
10) Embassy, 22, P.G. 6, 940 BC.
11) Ibid., 13, P.G. 6, 916 A.
12) Ibid.
13) Ibid.
14) Ibid., 10, P.G. 6, 909 B.

يتفِق اللاهوت المسيحي مع الأفلاطوني في مبدأ التنزيه Transcendence ، لكنه لا يتفِق معه في أنٍ واحِد بخصوص مبدأ الحلول Emanenc ، وبهذا فإنَّ اللاهوت المسيحي يقترِب أكثر من الأرسطوطالية ، ومع هذا ليست الأفلاطونية والأرسطوطالية من الفلسفات التي تشغِل بال المُفكرين والعُلماء من آباء الكنيسة في قليل أو كثير !!

15) Ibid., 945 AB.
16) Embassy, 10, P.G. 6, 012 A.
17) Dialogue, 113, 2, P.G. 6, 736 BC.
18) Ibid.
19) Ibid.
20) Paedagogue I, VII, 60, 3.
21) Historia Ecclesiastica I, 3, 3 – 4.
22) Dialogue 56, 15, P.G. 6, 601 B .
23) Quasten : patrology, Vol 1, p. 232. Oxford Dict. Of the Christian Church, p. 103.

24)J.F. Bethune – Baker: An Introduction to the Early History of Christian Doctrine, p. 128 – 9.

25)Hans von Campenhausen, p. 30 & Stromata 1: 28.

26)A.N.F. vol. 1, p. 193, Apology 1: 33.

الفصل الثَّالِث

هيبوليتس الرُّوماني

(١٧٠ – ٢٣٦م)

هيبوليتس الرُّوماني

من المُحتمل أنَّ هيبوليتس الرُّوماني كانَ يُونانِياً تحوَّل إلى المسيحية في روما ، وقد

وظَّف ألفاظ " ثيولوچيا " و" ثيولوچي " و" المُناظرة عن الله " بطريقة اختلفت بعض الشئ عن أُسلُوب المُدافِعين .

فاللاهوت بالنسبة له يتعلَّق إمَّا بالفسلفة التي تختص بالله أو الآراء المختلفة عن الآلهة، وهذه المفاهيم الفلسفية والدينية عن الثيولوچيا تُشتق من معرفة هيبوليتس العميقة بالفلسفة والدين القديمين والواضِحة في كِتاباته ، وعلى وجه العموم فإنَّ هيبوليتس أحجم عن استخدام لفظِة " ثيولوچي " في مضمون تعليمه المسيحي .

ويبدو أنه كان يألف تعاليم الآباء المُدافِعين الذينَ استخدموا اللفظة لكنه كان أكثر تحفُّظاً في استخدام اليونانية والمفاهيم في عرض التعليم المسيحي ، ويُخبِرنا هيبوليتس أنَّ:

" الفلاسِفة واللاهوتيون الذينَ سعوا لاكتشاف من هو الله ، وما هي طبيعته ، لم يتفِقوا في اكتشافاتِهم " [١] .

وحُكماء العالم هؤلاء ، إذ فشلوا في تعميق فِكرهم عن عظمِة الله الحقيقي ، قد ألَّهوا عناصِر الطبيعة [٢] .

وهم قد ألَّهوا ذلك العنصر الخاص الذي ظهر لهم أنه العِلَّة (Tó αίτον) لكل الكائِنات الموجودة في الكون [٣] .

وقد سَلَك الفارِسيون والبابِليون والمصريون هذا المسلك ، فالفارِسيون ألَّهوا النور ، والبابِليون ألَّهوا الظَّلام ، والمصريون تحدَّثوا عن الله بأنه الواحِد غير المُنقسِم Monad الذي وُلِدَ ذاتِياً والذي خلق كل الأشياء من ذاته [٤] .

فاللاهوت إذن الخاص بالفلاسِفة هو بالنسبة لهيبوليتس قضية المبدأ الأوَّل اللامخلوق [٥] (ήπρωτη άρχή ή άγέννητοσ) .

وقُدماء اللاهوتيين في هذا التقليد هم موسايوس (القرن السَّادِس الميلادي) ولينوس (الشخصية الأُسطورية) ، وأورفيوس (الشخصية الأُسطورية) ، وسولون (٦٤٠ – ٥٦٠ ق . م) ، وفيثاغورث (٥٣٠ ق . م) ، وأفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق . م) ، وأرِسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق . م) ، ويُؤكِد هيبوليتس بوجه خاص على سولون وفيثاغورث الذي استعار من المصريين فكرِة أنَّ " الواحِد " هو لمبدأ

اللامخلوق ، أصل كل شئ [٦] .

لكن اللاهوت الذي ناقشه هيبوليتس بشكل أعمق كان لاهوت أرِسطو ، وهو يرى أنَّ أرِسطو يُقسِّم العالم إلى أماكِن عديدة ومُتنوِعة [٧] .

فهناك المسافة من الأرض إلى القمر والتي لا يُهيمِن عليها أي سُلطان خاص أو قُوَّة عُليا بل متروكة تتطور وِفقاً لطبيعتها الذَّاتِية [٨] .

وفيما وراء القمر هناك جزء آخر تحكمه قُوَّة مُعيَّنة ، ثم هناك سطح السماء وهو غير مادِّي ، هو نوع من " المادَّة الخامِسة " (Πεμπτουσία) .

وهذه المادَّة فائِقة للطبيعة ، لا تخضع لنواميس الطبيعة ، وهذا التقسيم الكوني هو تقسيم فلسفي .

ويُميز أرِسطو بين الفلسفة الطبيعية (الفيزيقا) التي تشمل القمر ، وبين الفلسفة التي ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) ، والتي تمتد إلى السماء ، ثم يُميِّز بينهما وبين الفلسفة الفائِقة للطبيعة " الثيولوچيا " [٩] التي تتصِل بالأماكِن الأعلى أي الأثير [١٠] .

وهناك صِلة في أصل التسمية (أتيمولوچية) فيما بين كلِمة (أثير αιθήρ) ، والفِعْل (ثين θείν) والصِفة (ثايوس θείοσ) والاسم (ثيوس θεόσ) [١١] .

وفي مواضِع أخرى من كتابات أرِسطو نجد أنه (كِتابه Meleorologies) [١٢] يتحدَّث عن المكان الأثيري كجسم أكثر إلهية من العناصِر الكونية الأخرى .

وفي مبحثه عن " السماويات " يتحدَّث أرِسطو بألفاظ مُشابِهة [١٣] عن " المادَّة الخامِسة " التي تختلِف عن تراكيب هذا العالم هنا ، لأنها أكثر إلهية من كل المواد الأخرى (θειοτερα) [١٤] .

وهيبوليتس يُسمِّي هذا المكان الخامِس أو الجسم الخامِس (إلهياً بنوعٍ ما) (Θεολογού μενον) وهذه المادَّة الأثيرية يجب تمييزها عن أربع مواد أخرى أساسية في هذا العالم أي النار والأرض والماء والهواء لأنها أكثر شفافية ونقاوة (Λεπτότερον) وهي حقاً نوع من الروح (Πνεύμα) [١٥] .

وما يُستنبط من تحليل هيبوليتس لثيولوچيا الفلاسِفة يمكن ايجازه في عبارتين ،

فالثيولوچيا مُؤسسة على الفحص العقلاني للعالم بغرض اكتشاف هذه العِلَّة التي تمنح حالة ثيولوچية .

ويُضاد هيبوليتس الثيولوچيا الكوزمولوچية الكونية لليونان مع ثيولوچيا اليهود ، التي يُسميها " توقير الله " (Θεοσέβεια) والتي ليست نتيجة انجازات أو اجتهادات الإنسان بل هل معلومة datum مصدرها الله نفسه وموسى هو " المُعلِّم الذي أعطاه الله (لنا) " [١٦] ، " والناموس هو ناموس الله " (Τού θεού νόμοσ) [١٧] .

ويُقسِّم هيبوليتس " توقير الله " عند اليهود إلى أربع حالات :

الثيولوچيا (اللاهوت) ، والفيزياء ، والأخلاقيات ، والليتورچيات [١٨] .

ويُشير اللاهوت إلى الإيمان والتعليم عن الله الحقيقي الواحِد ، الخالِق ورب الجميع الذي خلق كل الأشياء من العدم وليس من مادَّة سابِقة الوجود [١٩] .

لكننا نجِد أنَّ هيبوليتس قد هاجم " ثيئودوتس " و" أرتامون " الهرطوقيين لأنهما هجرا الأسفار الإلهية المُقدسة ، ووهبا نفسهما لدراسِة " إقليدس وأرِسطو " .

إتهم هيبوليتس اليونانيين ، بأنهم مجَّدوا أجزاء من الخليقة بعبارات أنيقة جميلة ، ولكنهم جهلوا خالِق الأشياء جميعها الذي خلقها من العدم بحسب حِكمته ومعرِفته السابِقة .

إلاَّ أنَّ لاهوت هيبوليتس الرُّوماني ، شابه شئ من التدرُج في الثَّالوث ، لكنه أكَّد على الخلاص بقوله : " أنَّ الكلمة اتخذ جسد آدم ليُجدِّد الإنسان ويُعيد له خلوده " .

أكَّد هيبوليتس الرُّوماني على لاهوت الثَّالوث :

" أنه يستحيل أن نُمجِّد الله دون أن نتجه مباشرةً إلى الاعتراف بكل اُقنوم في الثَّالوث القدوس " .

وعن دعوِة الله للأُمم يقول :

" من هو هذا الذي أُعلِنَ عنه (ووجدته الأُمم) إلاَّ كلِمة الآب ، عندما أرسلهُ الآب ، وفيه للناس القُوَّة الصادِرة عنه !! " [٢٠] .

تكلَّم هيبوليتس عن لاهوت المسيح ربنا الذي سبق وأشار عنه الأنبياء في العتيقة بقوله

" كان كل الملوك والكهنة يُدعون مُسحاء ، إذ مُسِحوا بالدُّهن المُقدس الذي أعدَّهُ موسى قديماً ، هؤلاء حملوا اسم الرب في أشخاصِهِم مُظهرين مُقدماً الرمز ، ومُقدمين صورة حتى يأتي الملِك الكامِل والكاهِن الذي في السماء الذي وحده يعمل إرادِة الآب " [٢١] .

مراجِع الفصل

1) Against the Heresies, IV, 43, 1.
2) Ibid.
3) Ibid.

4) Ibid, 43, 3 – 4.

وعن كيفية ولادِة كل الأشياء من الواحِد (المونـاد) (أُنظُر ٤٣ ، ٥ – ٦) .

5) Ibid. VI, 23, 1.

6) Ibid, 23, 1.

7) VII, 19, 2.

8) Ibid.

9) Ibid. VII, 19, 3.

10)CF. On Heaven, 270, B. 22 – 24.

11)CF. Platois Cratylus 410 B.

12)Ibid. 339 B, 25 – 27.

13)Ibid. 376 B, 29.

14)Ibid. 269 a 30.

15)Ibid. 1, 20, 4.

16)Elegchos, IX, 18, 1.

17)Ibid.

18)Ibid. IX, 30, 1.

19)Ibid. 30, 2 ff.

20)Against the Heresy of one Noetus 12.

21)Frag. From Common. On Daniel 2 : 14.

الفصل الرَّابِع

القديس إكليمنضُس السكندري

(١٥٠ – ٢١٥م)

القديس إكليمنضُس السكندري

وُجِدت نظرِة القديس إكليمنضُس الأسكندري بوجه خاص في الكتاب الخامِس من " المُتفرقات أو ما يُسمَّى بالبديعيات " (Stromata) ، حيث أعطى إيماناً ورجاءاً في إدراك الذهن للأمور غير المنظورة ، والتي لا تستطيع الحواس أن تُدرِكها .

تحدَّث إكليمنضُس بدقة عن الله الذي لا يمكن الحديث عنه ، فهو بلا شكل ولا اسم وكل ما لُقِبَ به من أسماء مثل الواحِد ، الصَّالِح ، العقل ، الابن ، الله الخالِق ، أو الرب ... كلها أسماء فقيرة لا يمكنها أن تصِف الأبدي ، لأنَّ أي اسم ينزل إلى عالم الأمور المحدودة العادية ، وهذه الأسماء أُعطِيَت لنا من أجل قصورنا حتى نقدِر أن نُدرِك سُلطان قُدرته .

الله فوق كل لغة ، لهذا إنما نتحدَّث عنه من خلال الرموز ، ولا يمكن معرفة الله بدون عمل نِعمتِه ، فالمعرفة هِبة إلهية فوق حدود الفِكر المنطقي .. والله الغير معروف يصير معروفاً خلال اللوغوس ، فمن يرفُض نعمة الله ويتجاهل اللوغوس يبقى الله بالنسبة له غير معروف ..

فاللوغوس هو سِر المعرفة الإلهية ، هو معرِفتنا وفِردوسنا الروحي ، هو مُخلِّصنا الذي فيه نُزرع بعد أن نُقِلنا من الحياة العتيقة إلى التربة الصَّالِحة ، الرب نفسه هو معرِفتنا لنتأصَّل فيه ونتحرَّر لندخل الحياة الجديدة .

ويتحدَّث القديس إكليمنضُس السكندري عن نوعين من الثيولوچيا : " ثيولوچيا الأوثان " و " اللاهوت الحقيقي أو الصحيح " ، ويقع لاهوت الأوثان بين نقيضين ، الالحاد والخُرافة ، فالالحاد هو الجهل بالله الحقيقي ، والخُرافة هي توقير الآلهة الزائِفة بدلاً من الله الواحد [١] .

فالمُلحِد يُؤمِن بعدم وجود إله ، والشخص الذي يتبع الخُرافات السخيفة يخشى الشياطين ويعتبِر كثير من الأشياء آلهة : الخشب ، الشمس ، الحجارة ، والروح [٢] .

وثيولوچيا الأوثان [٣] هي في الواقِع انتقال من الحق يسحب الإنسان ليهبِط به من السماء إلى الهاوية [٤] .

لذلك يُميِّز القديس إكليمنضُس الأسكندري سبعة أنواع للاهوت الصنميات :

(١) ثيولوچيا النجوم أي الشمس (الهنود) ، والقمر (الفرجيون) .

(٢) ثيولوچيا ثِمار الأرض ، الأثينيون يُؤلِّهون الحِنطة ويدعونها (ديو Deo) (Δηω) ، وأهل طِيبة المصريون يُؤلِّهون الخمر ويُسمونه (ديونيسوس

. (Dionysos

(٣) ثيولوچيا أُجرةِ الشر أو ثيولوچيا القَدَر والمصير (مثل إرينيس Erinyes وإيومنيدس Eumanides وألاستورس Alastores) .

(٤) ثيولوچيا العاطِفة البشرية (الخوف ، الفرح ، الفشل ، الرجاء) .

(٥) هذه اللاهوتيات تقود إلى الثيولوچيا البشرية . (دايك Dike وكلوتو Clotho ولاخيسيس Lachesis وأثروبوس Athropos وإيمارمين Emiarmene وإكسو Auxo وثالو Thalo أو الأثينيون Atticists) .

(٦) أُسطورةِ الاثنى عشر إلهاً : أُسطورةِ هيسود Hesiod وهومر Homer و..... إلخ .

(٧) ثيولوچيا صانِع الخير (ديوسقوري وهيراقلس وإسكلابيوس) ، ويُميِّز إكليمنضُس بعضاً من هذه الثيولوچيات بأنها " ثيولوچيات الغطرسة " [٥] (هبريس Hybris) .

أمَّا اللاهوتيون المسئولون عن هذه اللاهوتيات فهم قُدامى الشُّعراء الإغريق ، ويذكُر إكليمنضُس العلاَّمة من بينهم :

أورفيوس Orpheus	(أُسطوري)
وبيندار	(٥١٨ – ٤٣٨ ق . م)
وهومير	(القرن الثَّامِن ق . م)
وهسيود	(الثَّامِن ق . م)
ولينوس Linos	(أُسطوري)
وموسايوس	(السَّادِس ق . م)
وفرسيدس	(تقريباً ٤٥٦ ق . م)

وإن كان إكليمنضُس يعتبِر عمل هؤلاء اللاهوتيين تمهيداً للاَّهوت المسيحي إلاَّ أنه

ينتقده على وجه الاجمال بل ويعتبره خُرافة لا تُوقِر الله . ويُحاجِج إكليمنضُس مُؤكِداً أنَّ اللاهوتيات الوثنية تحوي عناصِر الحق ويُدلِّل على ذلك بالإشارة إلى كِتابات كليانثس وفيثاغورث وهسيود وكِتابات أوريبوس (٤٨٤ – ٤٠٦ ق . م) وسوفوكليس (٤٩٦ – ٤٠٦ ق . م) وأورفيوس ، ويُشير إلى أنَّ الحق دائِماً مستور وراء الرموز والاستعارات وعلى الإنسان أن يتعمق فيما وراءها ليكتشفه ، أمَّا عن أصل هذه الحقائِق في اللاهوتيات الوثنية ، فإنَّ إكليمنضُس لا يشُك في أنه الكتاب المُقدس ! (بمعنى أنَّ الحق فقط في هذه اللاهوتيات هو المُستمد من الكتاب المُقدس) وأنَّ اللاهوتيين الإغريق قد سرقوا فِعلاً الكثير من الحقائِق من اليهود .

وهذا الرأي من المُحتمل أن يكون إكليمنضُس قد استقاه من دوائِر اليهود وأعمالِهِم الدِفاعية ضد اليونانيين ، وقد كان هناك فيلسوف فيثاغورثي هو نوينيوس (القرن الثَّاني الميلادي) يعرِف الكثير عن هذه الدفاعيات اليهودية ، ويُؤكِد أنَّ أفلاطون ليس إلاَّ موسى يكتب باليونانية القديمة !! واعتبر أنَّ **المسيح هو نهاية كل فلسفة ونُبوة** ، وقد جاء ليسترجِع الحكمة الحقيقية ، لأنَّ الإيمان يفوق المعرِفة وهو مقياسها .

ويُؤكِد القديس إكليمنضُس على مصدرين كِتابِيين للحق أو اللاهوت الحقيقي :

- **لاهوت الأنبياء** .
- **ولاهوت موسى** ، الذي هو أساسها كلها .

ويُقسِّم القديس إكليمنضُس الثيولوچيا الموسوية إلى أربعة أجزاء :

(١) التاريخية .

(٢) والشرعية (الأخلاقية) .

(٣) والليتورچية الكهنوتية .

(٤) وأخيراً اللاهوتية .

والتي تُسمَّى (Έποπτεια) (بحسب أفلاطون) و(Θεολογική Φιλοσοφία) (أرِسطو) ، ومن الواضِح تماماً أنَّ إكليمنضُس قد استعار هذه التصنيفة الرُباعية من فيلو جوداوس أحد المصادِر الأولية على ما يبدو ، ويربُط إكليمنضُس تصنيفِة فيلو اليهودي

بتقسيمِة أفلاطون الثُّلاثية التي ذَكَرَها ديوجينيس ليرتيوس (أي الفيزيائيات والأخلاقيات والجَدَليات) في القرن الثَّالِث الميلادي ، ويربُط إكليمنضُس النوعين الأولين لثيولوچيا ڤيلو بالنوع الأوَّل لأفلاطون والنوعين الأخريين بالترتيب .

ومن الواضِح أنَّ أهمها جميعاً أو الجزء الأخير الذي يرتبِط بالرؤية الموسوية لله ، والمُشابِه للجدلية الأفلاطونية الحقيقية والميتافيزيقا الأرسطوطالية ، لكن إكليمنضُس يتعمق أكثر من هذه التعريفات الثَّلاثة ويُعيد تعريفها بربطها كلها **باستعلان السرِ في المسيح** .

إذن فاللاهوت الحقيقي والنهائي هو اللاهوت الذي أعطاه وكشفه لنا المُخلِّص .

أمَّا الجزء اللاهوتي للتقليد الموسوي فهو ليس مجرد التعليم النَّبوي لموسى بل الاستعلان الكامِل لهذه النُّبوة المُعطى في المسيح يسوع ، وبالنسبة للأكليمنضُس فإنَّ اللاهوت هو الذي علَّمه لنا ابن الله . وهذا التأكيد على تمركُز اللاهوت حول شخص المسيح سِمة تُميِّز القديس إكليمنضُس ، ومن الناحية التاريخية (أي بالمفهوم الإصطلاحي التقني) فإنَّ إكليمنضُس السكندري هو أوِّل من أدخل هذا الفارِق المُميَز الذي يُميِّز اللاهوت المسيحي عن غيره تماماً ، فقد ربط **الثيولوچيا بالكريستولوچيا** (طبيعِة المسيح) دون أن ينبِذ تماماً اتصالات الثيولوچيا بالكوزمولوچيا والكوزموچونيا وتدبير الخليقة ، والعنصر الجديد هنا هو الطبيعة المِعطاءة الانعامية للحق اللاهوتي وارتباطه الوثيق والصميمي وتحقيقه وكماله النهائي في شخص المسيح .

ونستطيع أن نقول أنَّ الكلمة اللوغوس هو قطب الدائِرة في لاهوت القديس إكليمنضُس النظري ، فالكلمة خالِق العالم كاشِف سِر الله في العهد القديم وفي فلسفة اليونان هو ليس جِنساً ولا نوعاً ولا عدداً ولا عرضاً ، إنه أبو عموم الأشياء ، الذي لا يبحث فيه عن تركيب ، العقل الإلهي مُعلِّم العالم ومُعطي الشرائِع مُخلِّص البشر ... وهذه الرؤى اللاهوتية للقديس إكليمنضُس قد أخذها وطوَّرها لاحِقه العلاَّمة أوريجانوس ، الذي يُعتبر منهجه نقطة البدء للأبعاد والركائِز الثيولوچية الواضِحة والدقيقة للآباء النيقاويين بدءاً بالبابا أثناسيوس الرسولي وانتهاءً بالآباء الكبادوك .

دعا القديس إكليمنضُس في كِتابه " نُصح الوثنيين Protrepticus " ، البشرية كلها لقبول السيِّد المسيح قائِلاً :

" اسمعوا أيها البعيدين ، ويا أيها القريبين ، فإنَّ اللوغوس ليس مخفياً عن أحد ، إنه النور العامالذي يُضيئ للكل ، لم يعُد في العالم ظُلمة ، لنُسرِع إلى خلاصنا ولنُسرِع إلى تجديدنا " [٦] .

ميَّز القديس إكليمنضُس بين اللوغوس الإلهي كهادي Protrepticus ، وكمُربِّي وكمُعلِّم ، فهو الهادي الذي يدعو الناس للخلاص ، وهو اللوغوس المُربِّي Paedagogus الذي يحِث المؤمنين على الحياة الأفضل ويشفيهم من آلامهم مُمارِساً عمله الروحي فيهم ، وهو اللوغوس المُعلِّم [٧] الذي يُعلِّم الأُسُس العامة ويشرحها مُفسِراً الرمزية لأنه المرموز إليه مُشتهى الأجيال .

وبحسب كلمات القديس نفسه فاللوغوس " المُرشِد السماوي " يُدعى **الهادي** عندما يدعو البشرية للخلاص .. لكنه إذ يعمل كطبيب أو مُربِّي يصير اسمه **المُربِّي** . فإنَّ النَّفْس المريضة تحتاج إلى مُربِّي يشفي آلامها . ثم تحتاج إلى **المُعلِّم** الذي يُعطيها الإدراك (إعلان اللوغوس) . هكذا إذ يُريد اللوغوس خلاصنا خطوة فخطوة يستخدِم وسيلة مُمتازة ، إنه في البِداية يُهدي ، ثم يُصلِح ، وأخيراً يُعلِّم [٨] .

وبالرغم من أنَّ البعض يرى أنَّ إكليمنضُس كان مُتأثِراً بالأفلاطونية الحديثة (new – Platonism) ، إلاَّ أنه وجَّه دعوة للوثنيين أن يتحوَّلوا ويهتدوا خلال انصاتهم إلى اللوغوس الذي يُدعى (Protrepticus) السيِّد الوحيد الذي لا يدعونا فقط لنبذ الوثنية ، وإنما لنأخذ أيضاً استنارة روحية فعَّالة .

تركَّز لاهوت إكليمنضُس حول التعليم المسيحي ، فيرى في الله الكلمة (اللوغوس) مُعلِّماً أوَّلاً وقبل كل شئ ، مُعتبِراً أنَّ الله يعمل معنا كما نفعل نحن بأولادنا ، إنه كلمة الحق ، كلمة عدم الفساد ، طارِد الموت ، يبني هيكل الله في الناس ، فيأخذهم الله مسكناً له ، فالمريض يحتاج إلى مُخلِّص ، والضَّال إلى مُرشِد ، والأعمى يحتاج إلى من يقوده إلى النور ، والعِطَاش إلى الينبوع الحي الذي من يشرب منه لا يعطش أبداً ، والموتى إلى الحياة ، والخِراف إلى راعي ، والأبناء إلى مُعلِّم ، تحتاج البشرية كلها إلى المسيح [٩] .

وعلى هذا الأساس دُعِيَ اللوغوس **المُخلِّص** ، ابن الله الذي بلا خطية ولا عيب .

رأى إكليمنضُس أبو الفلسفة المسيحية الإسكندرانية أنَّ اليونانيين قد استعادوا الكثير من العهد القديم ، مُشيراً إلى أنَّ أفلاطون انتحل آراء موسى والأنبياء ، لذلك علَّمنا أنَّ الغنوسية الحقيقية وحياة الكمال ليست مجرد معرفة نظرية لكنها دخول إلى كمال المسيح ، دخول من الناموس إلى السيّد المسيح مُكمِّل الناموس .

حقاً لقد كان إكليمنضُس مُهتماً بشغف بكل الفلسفات والديانات السِّرِّية والغوامِض القديمة ، حتى وهو يُفنِّدها ، وكان يرى في المسيحية ليس أنها فلسفة ، بل حقيقة وقُوَّة سِرية تُغيّر وتُعلّي كل كيان الإنسان ، وبحماس بالِغ كان إكليمنضُس يُخاطِب قارئه البعيد عن الإيمان ، ليُصغِ السمع للأنشودة الجديدة التي ألَّفها وأنشدها " أوفيوس الجديد " ، أي " الكلمة " المُشرِق من صهيون ، إنَّ الحقي النسبي الذي تحتويه مقالات الفلاسِفة أمر معروف ، أمَّا المعرِفة الكامِلة غير المشكوك فيها فهي موجودة فقط في الأنبياء ، وفوق الكل في اللوغوس (الكلمة) الذي يقود إلى الحق كل الحق .

قال إكليمنضُس إنَّ اليونانيين مديونون للعبرانيين في قصة " طيماوس " ، وجماعِة الفلاسِفة مُدانون لأنهم ألَّهوا الكون بدلاً من البحث عن خالِق الكون ، وقد كانوا مُحتاجين إلى من يُخبِرهم أنَّ :

" المشيئة الخاصة لله كانت أن يخلِق الكون ، لأنَّ الله وحده صنعه ، فهو الإله الواجِب الوجود بذاته ، وبِفِعْل مشيئته خلق الكون ، إذ شاء فأتت الأشياء للوجود " .

ورأى إكليمنضُس أنَّ " الفلسفة كانت ضرورية لليونانيين لإدراك البِّر ، كإعداد لأولئِك الذينَ سوف يجدون الإيمان الحقيقي " ، وقد فسَّر ذلك على أنه من عناية الله الذي هو " كنز الصَّالِحات " ، قائِلاً : " إنَّ الفلسفة كانت هي المُربِّي الذي أعد الفِكْر اليوناني لقبول المسيح مثلما أعد الناموس اليهود للإيمان بالمسيح " [١٠] .

حذَّر القديس إكليمنضُس من التفكير في الله بطريقة مادِّية جِسدانية ، لأنه فوق المكان والزمان ، فوق كل المفهومات الزمنية ، لذلك نجده يرسِم طريق معرِفة الله ، تلك التي يبدأها بالتطهير من الخطية والأهواء ثم الابتعاد عن حرفية التفكير في الله لتأتي مرحلِة الرؤيوية بالنعمة الإلهية وحدها فوق حدود القياسات والصِيَغ ، حيث الاتحاد مع اللوغوس المولود من الآب ، الذي هو سِر المعرفة اللاهوتية ، الذي كل من يتجاهله يبقى الله

بالنسبة له غير معروف .

ونُجمِل نظام القديس إكليمنضُس اللاهوتي الذي يقوم على شخص اللوغوس ، فما يُريده اللوغوس يصير حقيقة اسمها العالم ، إنه خالِقه وأساس وجوده المُطلق ، مصدر النور والحياة بلا بِداية ولا نِهاية ، لا يخضع للزمن ، ولا يمكن البرهنة عليه ، ولا يمكن أن يكون موضوع معرِفة ، لأنه هو الحكمة والمعرِفة والحق ، الاعلان العقلي للآب وخِتم مجده الذي يُعلِّمنا الحق ، صورِة الله وفِكره ووجهه ونوره الذي به نُعاين النور ، شمس البِّر الذي يقود مركبته ويُشرِق على كل البشر لينتزِع الهالِك رافِعاً إياه إلى السماويات ، غارِساً المائِت في الخلود ، مُحوِّلاً الأرض إلى سماء ، الزَّارِع الإلهي الذي أعطانا ميراث الآب ..

ويعتبِر العلماء أنَّ إكليمنضُس هو أوِّل لاهوتي مسيحي يُثبِت وجود الله وقُدرته من خلال العقل ، وعن وحدانية الله يقول : " من يُؤمِن بآلهة كثيرة وليس بالله الواحِد الحقيقي يُشبِه اللقيط الذي لا يعرِف أباه الواحِد الحقيقي " ، ومن أبرز سِمات القديس هو حديثه عن الله كصالِح ومُحِب البشر لا عن اللاهوت النظري ، فنجده يتحدَّث عن الله كُلي الصَّلاح ، الذي في حُبُّه احتضن كل البشرية بلا تمييز ، كشافي للمرضى ومُرشِد للتائهين وقائِد للعُميان وينبوع للعِطاش ومُقيم للأموات وراعي للخراف .

ربط القديس إكليمنضُس بين **الثيولوچيا والإكلسيولوچي** ، عندما قال :

وكما أنه لا يوجد إلاَّ إله أب واحِد وكلمة واحِد وروح واحِد ، فإنه لا يوجد سِوَى كنيسة واحدة التي تُعرِّفنا وتُغذِّينا بلبن الكلمة الإلهي (الثيولوچيا) ...

اعتبر القديس أنَّ الكنيسة عروس المُعلِّم وأُمُّه هي المدرسة التي يُعلِّم فيها المسيح ، وهنا تتضِح صِلة الثيولوچيا بالأكلسيولوچي (اللاهوت بالكنيسة) .

مراجِع الفصل

1) Protreptikos, II, 25, 2.
2) Stromateis, VII, 1, 4, 3.
3) Protreptikos, VII, 74, 3.
4) Ibid. II, 27, 1.
5) Ibid. IV, 60, 1 – 61.
6) Protrepticus 9.

7) Obsorn, p. 5.

8) Paedagogus 1: 1.

9) Paed. 2: 9.

10)A.N.F. vol, II, P. 305.

الفصل الخامِس

العلاَّمة أوريجانوس *

(١٨٥ – ٢٥٤م)

العلاَّمة أوريجانوس

استخدِم العلاَّمة أوريجانوس لفظِة " ثيولوچيا " بشكل واسِع جداً وبمعانٍ عديدة ، إلاَّ أنه أبقى على المعنى القديم (أي الثيولوچيا = ثيوچونيا) في معرض حديثه عن اللاهوتيين بين الإغريق [١] ، أو لاهوتي الإغريق القُدامى [٢] .

وقد ذُكِر من بينهم سقراط وأفلاطون وفيثاغورث وفريسيدس [٣] مُعتبِراً أنَّ أفلاطون أعظمهم [٤] .

---

* **تعقيب لنِيافِة الأنبا بيشوي مُطران دمياط وسكرتير المجمع المُقدس** :

العلاَّمة أوريجانوس بالرغم من علمِهِ الغزير وتفاسيره الهائِلة للكُتب المُقدسة إلاَّ أنَّ الكنيسة المُقدسة قد حرمته لتأثُّره بالفلسفة الأفلاطونية وتعليمه بالوجود السابِق للأرواح وبخلاص الشيطان ، وعلى العموم هذا لا يمنع من الإستفادة بالصحيح مِمَّا قدمه من تفاسير وتأمُّلات .

وبالنسبة للثيولوچيا الإغريقية نجد أنَّ أوريجانوس يذكُر ثيولوچيا الفُرس المُتمركِزة حول ميثراس [٥] ، وكذا ثيولوچيا المصريين التي تُشير إلى الأُلوهية [٦] مُستخدِمة الكثير من الأساطير والصور الحيوانية والتشبيهات .

ويُشدِّد على الصور الحيوانية عند قُدامى المصريين في دِفاعه ضد كلسس في كِتابه " الكلِمة الحقيقي " ، لأنَّ كلسس كان ينظُر إلى الحيوانات على أنها أكثر أُلوهية ومُقدسة عن الإنسان !! [٧] .

ومع أنَّ العلاَّمة أوريجانوس وافق مِثلما فَعَلْ إكليمنضُس على أنَّ اللاهوتيات [٨] الإغريقية والفارِسية والمصرية ضمَّت أموراً حَسَنَة مستوحاة أو مُستقاة من الله * ، إلاَّ أنه انتقدها ، وقام بعمل أوّل محاولة لايجاد منهج للاَّهوت المسيحي .

وكان الأمر الذي ركّز عليه أوريجانوس هو أنَّ تلك اللاهوتيات كلها لم تُثبِت أنها مُساوية للحق المُستعلن عن الله [٩] بل انخدعت كلها وبدّلت هذا الحق إلى أُكذوبة [١٠] ، وحتى أفلاطون الذي كان مُتحدِثاً مُقتدِراً في الفضيلة والخير بطريقة حقيقية وصحيحة لم يقُد قُرَّائه لتوقير الله [١١] ، وفي رد أوريجانوس على كلسس أوضح الفارِق بين كلِمات السيّد المسيح والفلسفات اليونانية ، فالأولى تحمِل سُلطاناً إلهياً وتُغيّر الحياة والقلوب ، الأمر الذي ينقُص الثَّانية [١٢] .

وبالاستشهاد ببعض الآيات الوارِدة في رسائِل لِسان العِطر بولس الرسول يُوضِح العلاَّمة أوريجانوس [١٣] أنَّ اللاهوت الصحيح يصِلنا عن طريق **الله وحده** ، وأنَّ أعظم وأسمى وسيلة لهذا هي الكِتاب المُقدس ، فقد اختار الله هؤلاء الذينَ تُعوزِهُم نِعمِة الحِكمة

---

* **تعقيب لنِيافِة الأنبا بيشوي مُطران دمياط** :

ينبغي هنا الحذر من الانسياق وراء العِبادات الوثنية كأنها مصدر من مصادِر الوحي أو الالهام فالكتاب يقول **" لأنَّ كل آلهة الأُمم شياطين "** ، ولكن أحياناً يختلِط الحق الإلهي بالعبادة الغريبة عن الله ، وذلك بسبب أنَّ أصل الديانات واحِد من البِداية ، أو لأنَّ النور الإلهي يُحاوِل أن يجتذِب الإنسان بعيداً عن العبادة الشيطانية ، ولكن لم يتجاوب الإنسان في كل الحالات تجاوباً حقاً ، وإنما تجاوب في بعضها كما حدث مع أهل السفينة وأهل نينوى في قصة يونان النبي .

والمنشأ النبيل والقُوَّة ليُبطِل بهم من يعتقِدون في أنفُسهم أنهم عُظماء في الحكمة واللاهوت [١٤] ، البُسطاء وجُهلاء هذا العالم خصَّصهم ليُخزي بهم الحُكماء والفُهماء .

ويُميّز العلاَّمة أوريجانوس أنواع ثلاثة للحكمة أو المعرفة :

- **الأخلاقية** .
- **والفيزيائية (الطبيعية)** .
- **والثيولوچية (اللاهوتية)** .

وثلاثتهم معاً نوع من المعرِفة الروحانية السامية ، والتي تضُم معاً الفِكْر المنطقي عن الله والكائِنات اللا جِسدانية والدنيوية وتدبير الكون ، وهي – بحسب قوله – معرِفة الجسدانيات واللا جِسدانيات وتتضمن التدبير الإلهي المُتعلِق بها [١٥] .

ويبدو أنَّ العلاَّمة أوريجانوس قد استقى هذا التصنيف من سابِقه القديس إكليمنضُس الأسكندراني الذي تحدَّث في كِتاب (المُتفرِقات Stromateis) عن :٠

- **الأخلاقيات** .
- **والفيزيائيات** .
- **واللاهوتيات** .

ويرى البعض أنَّ هذا التقسيم مأخوذ أساساً من أفلاطون ، لكن الذي يعنينا في هذا الأمر هو تمسُّك أوريجانوس بروحانية هذه المعرِفة ، ففي مواضِع مُتنوعة يُضيف خصائِص أخرى ، فهي معرِفة :٠

إلهية	Θεία [١٦]
لاهوتية	Ένθεοσ [١٧]
ومُقدسة	Άγία [١٨]
ورُؤيوية	Θεωρητική [١٩]
وحقيقية	Άληθήσ [٢٠]

وليست كاذِبة أبداً	Ἀψενδής [٢١]

وكما تكلَّم أوريجانوس عن المعرِفة التي تنتهي باللاهوت الصحيح ، تكلَّم عن معرِفة زائِفة (ψευδής γνώσις) [٢٢] ، أو معرِفة بحسب الجسد (جِسدانية) (Κατά σάρκα γνώσις) [٢٣] .

لذلك لابد أن نُحدِّد طبيعِة ومعنى الصِفات " روحاني " و" حقيقي " ، " غير كاذِب " إلخ ... التي تُميِّز المعرِفة التي حدَّثنا عنها العلاَّمة أوريجانوس ، هل هي المعرِفة الموضوعية العِلمية العقلانية لفلاسِفة الإغريق وتقليدهم المِثالي ؟ أم هي شئ مُختلِف عن ذلك ؟

ويُخبِرنا أوريجانوس أنَّ معرِفة الله هي حِضنه ، الذي يضع فيه كل المُنشغلين به كما لو كانوا جواهِره وذهبه الذي يحفظه في حِضنه [٢٤] ، وهذا نوع من الإدراك والفهم الشخصي السِرّي الوجودي للمعرِفة التي تُؤلِه .

وهي أيضاً معرِفة ديناميكية ديالوچية ، بمعنى أنها تتجه من الله نحو الإنسان ، ومن الإنسان نحو الله .

وهي في الحالة الأولى تُعرف بأنها حِضن الله أي قِنية الله ، ولكن الصِفة التي يُوصف بها البشر هي أنهم " مُنشغِلون بالله " (Θεόφρονας) ، فهُم يسعون نحوه مُتجهين إليه، وهذا المعنى نجِده في مفهوم التصوف عند الرسول بولس :

" وأمَّا الآن إذ عرفتُم الله بل بالحري عُرِفتُم من الله " (غل ٤ : ٩)

وتتطابق مقولِة أوريجانوس مع مفهوم مُعلِّمنا بولس الرسول ، فمعرِفة الإنسان لله هي نتيجة لمعرِفة الله للإنسان ، ومعرِفة الله للإنسان أساسية وركيزة أولية لكنها لا تقِف وحدها بعيداً عن الموضوعية Subjectivity ، لأنَّ معرِفة الله الموضوعية عن الإنسان تجِد نظيرها في معرِفة الإنسان الموضوعية عن الله ، لذلك معرِفة أوريجانوس الحقيقية الروحانية هي معرِفة إلهية إنسانية (ثيانثروبيك) ، تتضمن السينرچي والاتحاد الموضوعي والتألُّف بين الله والإنسان ، ذلك الارتباط المعرفي الحياتي الوجودي (الأنطولوچي) .

ومن الخطأ الاعتقاد بأنَّ هناك موضوعية إلهية فقط في هذه المعرِفة الروحانية ، وكذلك الظن بأنَّ العنصر البشري مُجرد شئ لعمل الله !!

فبالرغم من أنَّ العلاَّمة أوريجانوس يقول أنه ليس من عملنا أو جِهادنا نحن أن نصير مُستحقين للمعرِفة الروحانية الإلهية [٢٥] ، إلاَّ أنه في هذا لم يلغِ الموضوعية البشرية ، فالمقصود بالموضوعية البشرية اشتراك الإنسان بشخصه وكيانه وحواسه في العلاقة مع الله .

وفي حسم ووضوح رفض العلاَّمة أوريجانوس تلكَ الموضوعية البشرية الساقِطة التي تنظُر إلى الله كما لو كان مادَّة للتعريف والتقييم ، دونَ أي حوار قائِم أو دونَ أيَّة إرادة !!

فالله ليس شيئاً يُثير الفُضول والتساؤلات ، بل هو كيان حر يُعطي للكائِن المخلوق أن يعرِفه ، ذلك الكائِن الذي يُحبه بنفس القدر لتكامُله الموضوعي الذاتي والمُتوقع فيه أن ينشغِل ويتحِد مع الله بمِلء حريته وإرادته ، ذلك العمل الإنساني الحُر السينرچي الذي فيه تتقابل النعمة مع إرادِة الإنسان الشخصية في تجاوُب وانسجام ، هو في الحقيقة جوهر الإيمان الذي يُعتبر دُعامة أساسية في فِكْر أوريجانوس والتي عبَّر عنها بقوله :

" إنَّ الذي يجمع الناس معاً من الشرق والغرب والشمال والجنوب إلى معرِفة الله هو الإيمان " [٢٦] .

ويُقدِّم أوريجانوس هذا الإيمان بصورة أعمق عندما يربطه بشخص السيّد المسيح له المجد :

إنه الإيمان في المسيح الذي يُعطي الحياة من السماء ، النابِع من مصدر الحياة [٢٧] .

رأى أوريجانوس أنَّ غاية الإيمان الوحيدة هي الدخول إلى معرِفة الآب خلال الاتحاد بالابن الذي وحده يعرِف الآب .

ويرى أنَّ كل حكمة هي من الله [٢٨] ، سواء كانت معرِفة خاصة بالفلسفة أو الرياضيات أو الطِب أو الموسيقى [٢٩] ، بل وأشار إلى الأخطاء المُتعلِقة بالفلسفات في مقولته :

" لا محبة الحروف الدنيوية ولا سفسطِة الفلاسِفة ولا خُزعبلات المُنجمين ولا كبرياء

الشياطين الكاذِبين ولا أي عِلْم آخر خاص بالمستقبل يستخدِم خِداعات شريرة وسراب يقدِر أن يفصِلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا " [٣٠] .

ونجِده يُحذِّرنا من الثِقة في الفلسفات التي تعجز عن اصلاح حياة من يتبعها ، قائِلاً : " لا تقتات بطعام الفلسفة الكاذِب ، فإنه قد يبعِدك عن الحق " [٣١] .

ورَبَطْ العلاَّمة أوريجانوس بين اللاهوت والحياة ، فميَّز بين الحياة العامة التي يشترِك فيها الإنسان مع الحيوانات ، والحياة الحقيقية التي لنا في المسيح يسوع ربنا ، تلكَ الحياة المُرتبطة باللوغوس من خلال الشَرِكَة معه ، إنها الحياة الحقيقية المُشتهاة [٣٢] ، والذينَ هم خارِج الإيمان بالمسيح ليسوا أحياء ، فهم أموات لا يعيشون لله ، بل حياتهم هي حياة الخطية ، والذينَ لهم شَرِكَة مع المسيح يعيشون الحياة التي هي بحق حياة حقيقية [٣٣] .

وكما ركِّز القديس إكليمنضُس السكندري في تعليمه على محورية الإيمان واللاهوت حول شخص المسيح ، كذلك اتسم التعليم الأوريجاني بهذه السِمة ، فنجدها واضِحة في النص التالي من دِفاعيات أوريجانوس " ضد كلسس " :

" لقد أخبرنا المسيح عن ذاك الذي أرسله بقوله : " **لا أحد يعرِف الآب إلاَّ الابن** " و " **الله لم يرهُ أحد قط الابن الوحيد الذي في حِضن الآب هو خبَّر** " ، فأعطى الرب اللاهوت الحقيقي لتلاميذه ، ذلك اللاهوت الواضِحة آثاره في أعمالِهِم وكِتاباتِهِم ، وهكذا تعلَّمنا نحن أيضاً كيف نتأمَّل في الإلهيات " [٣٤] .

ولا يعني تمركُز اللاهوت عند أوريجانوس حول شخص المسيح أنه يُؤدي إلى وِحدانية المسيح Christ – monism ، لكنه يُؤكِد على أنَّ هذه المعرِفة عن الله هي عمل **الثَّالوث القدوس** كله المُستعلن في مِلء الزمان في شخص يسوع المسيح وفي التاريخ من خلال الروح القدس العامِل في الكنيسة ، والابن يستعلِن الآب والآب يستعلِن الابن [٣٥] .

ويُؤكِد العلاَّمة أوريجانوس مُوضِحاً أنه لا يقدِر أحد أن يكون في الآب ومع الآب ما لم يصعد أولاً خلال لاهوت الابن ، الذي يقودنا بيده الطُوباوية إلى الآب نفسه [٣٦] ، ومادام الآب غير مُنفصِل عن الابن فإنَّ الآب يأتي إلى الذينَ يتقبلون الابن [٣٧] .

أفاض العلاَّمة أوريجانوس في الحديث عن اللاهوت وإنارِة البصيرة الداخلية لإدراك

الحق ، فَوَرَدْ في تعليمه الآتي :

" لاهوت الكلِمة فيه قُوَّة لا لِتُعين المرضى وتشفيهم فحسب ... وإنما لتُظهِر أيضاً إعلان السِّر للأنقياء في الجسد والذهن (رو ١٦ : ٢٥) ... وهذا الإعلان يُضِئ لكل إنسان كامِل ويُنير ذِهنه لمعرفة الحق المُطلق !! " .

" أتى الكلِمة الإلهي كطبيب للخُطاة ، وكمُعلِّم للأسرار الإلهية للذينَ هم أنقياء بلا خطية " [٣٨] .

" يسوع المسيح هو الذي يُبدِّد الشُّرور التي في داخِلنا ، ويُحطِم مملكِة الخطية الكثيرة الشر " [٣٩] .

وتحدَّث أوريجانوس عن ضرورة اقتران الأعمال الصَّالِحة والجِهاد الروحي بالإيمان، ذاكِراً أنَّ نعمة الله لا تُوهب للذينَ تنقُصهم الغيرة في عمل الصَّلاح ، كما لا تقدِر الطبيعة البشرية أن تنعم بالفضيلة دون عون من فوق [٤٠] ، وأنَّ نِعَم الله تُوهب للذينَ بالإيمان والفضيلة يتهيأون لقبولِها [٤١] .

وحدَّد أوريجانوس طبيعِة علاقِتنا بالله عندما قال : " يكون المسيح حاضِراً في كل إنسان قدر ما يستحِق " ، مُؤكِداً على عطية الله وحتمية الجِهاد إذ يقول " مع أنَّ الله واحِد في جوهره إلاَّ أنه يأخذ أشكالاً كثيرة في حياة الناس الذينَ يعمل فيهم حسب احتياجِهِم " [٤٢] .

ومرة أخرى يتحدَّث عن التجلِّي فيقول : " يظهر الكلِمة بأشكال مُتنوعة حسب قُدرِة الإنسان فيظهر للبعض بلا شكل أو جمال ولآخرين باهِر الجمال " [٤٣] .

وفي منظور العلاَّمة أوريجانوس معرفة الله الكامِلة (الثيولوچيا الكامِلة) ليست معروفة لنا نحن البشر بل لله وحده فقط الإله الكامِل ، فمعرِفتنا بالله إنما هي معرِفة بسيطة ، كحد قول أوريجانوس ، لأننا ننظُر كما في مرآة ، في حين أنَّ الله لا يحتاج إلى وَسَطْ للادراك ، فهو بالحقيقة الادراك وما يُدرك [٤٤] ، وهذا يعني أنَّ الثيولوچيا التي يجب علينا أن نعرِفها إنما هي نتيجة لعمل الله فهي شُعاع وبهاء مجد الله الذي يُشرِق علينا فيُعطينا استنارة وبصيرة بها نصِل إليه ونعرِفه .

ويرتبِط عمل الله بمحبة وحكمة المسيح ابن الله ارتباطاً لا ينفصِم عراه ، فبهذا العِلم الإلهي نعرِف أنَّ الابن يخرج من الله نفسه .

فمعرِفة الابن ليست معرفة شئ خارجي بل نتيجة لعلاقة شَرِكَة كيانية صميمية بين الله والإنسان التي في يسوع المسيح استُعلِنت استعلاناً كامِلاً ، لذا يقول العلاَّمة أوريجانوس :

" نوراً هو الرب للذينَ يعرِفونه .... فإن كان نور الرب هو " معرِفة الرب " ونور الرب هو نفس البشر أي نسمة حياتهم * ، إذن معرِفة الرب هي نسمة حياة البشر " (٤٥) .

ويرى أنَّ النَّفْس تدخل إلى الكمال بتنقيتها من كل ما هو مادِّي ، إذ يدخلها التأمُّل في الإلهيات إلى الكمال اللائِق ، فتتأله بما تتأمل فيه .

ومن الجلي أنَّ أوريجانوس يسعى هنا ليُؤكِد أنَّ الله لا يُعرف بالقياسات المنطقية بل بالشَرِكَة والعلاقة الحيَّة الصميمية السينرچية بين الإنسان وأعمال الله فيه ، فليس اللاهوت مجرد نتيجة لجهد العقل بل هو مُرتبِط بحياة الإنسان بكليتها ، وهذا يعني أنَّ الإنسان ليس طرفاً سلبياً يتلقى اللاهوت ** بل هو شريك في الموهِبة السماوية الموهوبة له مجاناً التي لا تُدرك ولا يُعبَّر عنها ..

وفي تفسيره لإنجيل القديس يوحنا (٤٦) ، أعلن أنَّ معنى المعرِفة هو الدخول في عِلاقة شَرِكَة واتحاد ، ويرتكِز هذا الفِكر على قول مُعلِّمنا بولس الرسول :

" الآن نحن نعرِف الله بل بالحري عُرِفنا من الله "

بل ويتأسس على تلك المفاهيم الآبائية التي تُوضِح أنَّ الله يعرِف خاصته وأنَّ المعرِفة شَرِكَة . لأنَّ كل من يريد أن يعرِف الله لابد أن يُشارِكه ويعيش معه وفيه وله .

فاللاهوت والإيمان ليسا مجرد فكرة نظرية في الأذهان ولا مجرد مُعتقدات وجِدَالات وعقلانيات ، إنما هما قبول عملي لعمل الله فينا وتجاوُبنا معه ، فالإيمان الحي إيمان عامِل

---

* تعقيب لِنيافِة الأنبا بيشوي :

بالمعنى الروحي للكلِمة مثلما قال السيِّد المسيح " أنا هو خُبز الحياة " ، فالنَّفْس البشرية بدون المسيح تفقِد حياتها الحقيقية .

** المقصود هنا عطايا اللاهوت للإنسان أي مواهِب الروح القدس وعطاياه الفائِقة .

لذلك نجِد العلاَّمة أوريجانوس يقول " من الواضِح أنَّ من يموت وهو في خطيته لا يُؤمِن بالمسيح حقيقة حتى وإن كان مُؤمِناً به !! ومن لا يُؤمِن بالمسيح يموت في خطاياه مادام يسلُك بطريقة تُضاد ما يراه في المسيح " (٤٧) .

ميَّز العلاَّمة أوريجانوس بين المسيحيين الذينَ لهم الإيمان وحده ، والذينَ مع الإيمان دخلوا إلى المعرِفة ونجده يقول :

" إنَّ الكلِمة يُقدم ذاته كلبن للمسيحيين الذينَ هم أطفال وكخضروات للضُعفاء وكغِذاء قوي للمُصارعين الذينَ انشغلوا في معركِة حُبُّه فمُنِحوا نوعاً من الحياة الإلهية " (٤٨) .

ويربُط بين معرِفتنا لله وبين الحب الذي هو سِر اتحادنا مع الله في اللوغوس ، مُؤكِداً على أنَّ المعرِفة تُزيد الحب وتُلهِبه أكثر فأكثر (٤٩) ، ليُدرِك الحقائِق اللاهوتية بالاشراق النوراني في النَّفْس وبالحواس المُتجلِية (٥٠) .

تحدَّث العلاَّمة أوريجانوس باستفاضة عن عناية ورعاية الآب بنا وأنه يهتم بنا يومياً ، علَناً وخِفية ، حتى وإن كنا لا نُدرِك ذلك (٥١) ، فليس شئ مِمَّا في السماء أو على الأرض ليس تحت عنايته (٥٢) ، فالعناية الإلهية تحتضِن كل شئ حتى أنَّ شُعُور رُؤوسنا مُحصاة لدى الله (٥٣) (بحسب تعبير العلاَّمة أوريجانوس) .

كثيراً ما يتحدَّث العلاَّمة أوريجانوس عن الابن الوحيد قائِلاً " يسوعي " ، " ربي " ، " مُخلِّصي " .. فرسم لنا هذا التلامُس والعِشرة والعِشق منهجه عندما تأكَّد أنَّ المُؤمِن يلتقي بالسيِّد المسيح خلال الصمت القلبي والوِحدة والسكينة الداخلية لسماع صوت الله ، عندما يسكُت اللِسان يتكلَّم القلب ، وعندما يسكُت القلب ، يتكلَّم الله .

ونجده في حديثه عن سدوم وعمورة يصِف الله بأنه شافِ وأب وسيِّد طيِّب غير قاسٍ (٥٤) .

أمَّا عن العِلاقة الشخصية الحيَّة التي ينبغي أن نعيشها مع الله فيقول : " لنبحث عنه بتعب كثير ، وبتنهُدات الروح ، عندئذٍ نستطيع أن نجد ذاك الذي نشتاق إليه ، فإنه ليس باطِلاً كتب " هُوذا أبوك وأنا كُنا نطلُبك مُعذبين " " (٥٥) .

وكشفت لنا كِتابات أوريجانوس عن اعتزازه باسم يسوع ، مُوضِحاً أنَّ المُخلِّص أظهر

ذاته بألقاب كثيرة تُعلِن عن أعماله التي يُقدِّمها لنا ، فيقول :

" بالرغم من أنَّ المسيح واحِد في جوهره لكن له ألقاب كثيرة تُشير إلى سُلطانه وأعماله ، يُفهم أنه النِعمة والبِر والسَّلام والحياة والحق والكلِمة " [٥٦] ، " ومن يطلُب يسوع يطلُب كلِمة الله وحِكمته وبِرُّه وحقه وقُوَّته ، لأنَّ المسيح هو كل هذه " [٥٧] ، " إننا نطلُب فهم الله في المسيح يسوع وحده ... لأنه هو المُعلن عن الله ، إنه حِكمة الله وقُوَّته وبِرُّه وتقديسه وخلاصه " . " مادام المُخلِّص هو البِّر والحق والقداسة .. فهو أيضاً الاحتمال ، لهذا يستحيل أن يصير أحد باراً أو قديساً بدونه ، ولا يقدِر أحد أن يحتمِل الأتعاب بغير المسيح " [٥٨] .

أكَّد العلاَّمة أوريجانوس على أنَّ **المسيح هو النور** الذي أضاء بنوره لخلاصنا وهو بعينه الذي أنار الأنبياء قديماً بالحكمة الإلهية إذ جاء إليهم وهو كائِن مع الله على الدوام لأنه هو الله [٥٩] ، حياة الناس ونورهم الذي لا يكُف عن أن يُضِئ طبيعتنا التي في ذاتها ظُلمة [٦٠] .

برهن على أنَّ لاهوت المسيح ظاهِر من العجائِب التي صنعها ومن النُّبوات التي أتمها ومن قُوِّة الروح القدس التي وهبها لنا ولاتزال تعمل في الكنيسة المُقدسة .

وفي حديثه عن مكانِة الإيمان (Πίστισ) ، يُؤكِد العلاَّمة أوريجانوس على أنَّ الإيمان ضروري للاَّهوت لكنه ليس هو اللاهوت ، فقد يُؤمِن الإنسان بالله لكن دون أن يعرِفه ! لذلك تربُط الفضيلة بين الإيمان والمعرِفة [٦١] .

ويترتب اللاهوت كالآتي :

الإرادة ، العمل ، الكلِمة التي لا تنفصِل عن الحياة أبداً ، لذا يتحدَّث العلاَّمة أوريجانوس عن ضرورة الطهارة من الشهوات (Κάθαρσισ) لكي يعرِف الإنسان أو بالحري يكون مُستحِقاً لنوال المعرِفة الإلهية ، ونِعمة معرِفة الله (الثيولوچيا) تُعطَى فقط للإنسان الطاهِر ، أمَّا ذاك غير الطاهِر فيبقى في جهالة من جهة الله (άγνοια θεού).

ويقول أوريجانوس في تفسيره للأمثال أنه لا يمكن لأي أحد أن يُدرِك ويستوعِب

الكلام الإلهي والمعرِفة اللاهوتية [٦٢] (أي التي تُؤلّه) * إلاَّ الإنسان الذي يسعى ويُنقي قلبه بالطهارة والنقاوة (كاثارسيس) ، في تواتُر ومواظبة على النُسك (أسقيسيس ἄσκησις) ، كعمل له ديمومته واستمراريته الديناميكية الذي يُعرِّفه أوريجانوس بأنه التوبة (ميطانيا) ، إنه العمل الذي يسمو بالفِكر فوق الأرضي والمادِّي إلى ما هو سماوي وسامي ، إنه جِهاد قانوني مُتواصِل يُرى فيه الإنسان كبطل رياضي يسعى بتدريب مُستمِر لكي يبلُغ غايته .

اعتُبِر أوريجانوس مُؤسِس اللاهوت النُسكي السِرّي في المسيحية ، مُشابِهاً في ذلك فيلون اليهودي والقديس إكليمنضُس الأسكندري ، ويُذكر له أنه تحدَّث بتفصيل أكثر ومنهجية عن التأمُّل في الكلِمة الإلهية ، من خلال الإتجاه التأمُلي Theoretikon ورؤية الله ومعرِفته ، ومن خلال الإتجاه النُسكي Praktikon بالسلُوك ..

وبخصوص التأمُّل في الإلهيات ، يُذكِّرنا العلاَّمة أوريجانوس بأنَّ اللاهوت مُحاط بسِر خفي لا يمكن إدراكه والتعرُّف عليه ، لأنه مُحاط بسحابة عدم المعرِفة ، والنَّفْس لكي تنعم بالرؤيا والتأمُّل في الإلهيات غير المُدركة يلزمها أن تتخلَّى عن رَغَبَاتها الفاسِدة .

وفي الحقيقة كان إكليمنضُس هو الذي أفاض في استخدام نموذج المُجاهِد الرياضي في " بديعياته Stromaties " حيث عُمق مبدأ النُسك المسيحي كاستعداد وضرورة مُسبقة لمعرِفة الله [٦٣] ، لكن لا يقِف العلاَّمة أوريجانوس عند حد الكاثارسيس (الطهارة) فيعتبِرها جِهاد سلبي ينبغي أن يتم تجاوزه بعمل الوصايا كجهاد ايجابي وضرورة تسبِق الثيولوچيا ، لذلك يقول في تفسيره لسِفر الأمثال [٦٤] :

" أنَّ من يُحِب الله يُحِب ناموسه (شريعته) ويفعل ما يُقره الناموس ، والذي يحفظ الناموس يحظى باللاهوى (الأباثيا Ἀπάθεια " ومعرِفة الله [٦٥] .

والذي يُطهِّر نفسه (يغسِلها) من الشهوات ويحفظ وصايا الله يمتلِئ في نفسه بالحكمة

---

* تعقيب لِنيافِة الأنبا بيشوي :

المقصود بهذا التعبير أن يأخذ الإنسان صورِة الله في أعماق كيانه وهذه هي القداسة الحقة في مفهومنا المسيحي .

ومعرِفة الله ، أمَّا الذي يمتنع عن تنفيذ وصايا الله يكتنِفه العَوَز والفقر ، ويقول في مواضِع أخرى :

أنَّ الفضائِل (Aretai) هي المنابِع التي تنبُع من الماء الحي للكلام الإلهي الذي هو معرِفة ربنا يسوع [٦٦] .

وهناك نصوص كثيرة يُؤكِد فيها على حياة التدقيق والنُّسك المسيحي وحِفْظ الوصايا الذي يُشبِه التسربُل " بثِياب اللاهوت " أي المسيح الرَّاعي الرحيم والصَّالِح .

ويقول أنَّ الفضيلة (آريتي) تمنح أجنِحة للذينَ يرغبون في أن يصيروا حُكماء ، فالفضيلة هي الماء الذي يُحيي النبات ، ونِعمة الروح القدس نهر الحكمة الدائِمة المُتدفِقة التي للثَّالوث المُثلث الاشعاعات في اللاهوت الواحِد [٦٧] .

وفي إنجيل لوقا ، يجِد أوريجانوس معنى سري لثياب المسيح التي صارت بيضاء كالثلج من بهاء نوره وضِياء مجده ، وهو ما يحدث للذينَ يتسربلون بفضائِل المسيح ، حينما يصعدون معه إلى جبل التجلِّي ليتجلُّوا بعد أن لبسوا الأبيض النَّاصِع اللمعان ، واللوغوس يظهر بعدّة أشكال للتلاميذ لكن بالنسبة للذينَ صعدوا الجبل ، جبل الطهارة ، قد ظهر نور أبيض باهِر وساطِع .

وهنا نجِد الشكل النهائي للأَّهوت والذي نجده في المسيح فقط ، إنه **لاهوت النور** ، لذلك يرى أوريجانوس أنَّ من يتكلَّم بالحق عن لاهوت المسيح ... سوف يتحتم عليه أن يتكلَّم عن ثِياب يسوع التي صارت لامعة بيضاء مثل النور المُشرِق ، وعلى هذا الجبل ، وبالطهارة ، نظروه إلهاً .

ركّز العلاَّمة أوريجانوس على أنَّ طلب الإنسان الاتحاد مع الله يتم من خلال حِفْظ البتولية ، وعِيش الزهد ، واحتقار الأباطيل [٦٨] ، حتى أنه جذب كثيرين بأعماله التي فعلها أكثر من كتاباته ..

لذلك الثيولوچيا التي في المسيح لا يمكن بلوغها أو تحقيقها إلاَّ على جبل التجلِّي حيث نصعد من خلال الطهارة وحياة التدقيق ، وعلى هذا الجبل يظهر المسيح في هيئته الإلهية، وفقط لأولئك الذينَ يصعدون هذا الجبل يُستعلن هذا السِّر الإلهي ، سِر اللاهوت ، لاهوت

رؤية النور ، اللاهوت السِّرّي [٦٩] .

إنَّ اللاهوت في المنظور الأُوريجاني هو تلك الحقيقة الواقِعة والحدث والتلامُس والمُشاركة والايجابية الفاعِلة ، التي نلمسها ونتذوقها باستنارة سِرية ونِعمة خاصة تُميّز سِر الله ، إنه استعلان الله في المسيح ، الذي هو مِلء استعلان اللاهوت ، أي استعلان الآب والابن والروح القدس ورؤية النور الإلهي الغير مادّي واللامخلوق ، تلك الحالة التي يبلُغها الإنسان بطهارته وتدقيقه الذي لن يتحقق إلاَّ في الكنيسة حيث نِعمِة الروح القدس وعمل الإنسان معه ، ونجِده يقول :

" الكنيسة أُمِّنا التي ربطها الآب بالمسيح بالروح القدس تلِد على الدوام أولاداً وبنات وتفرح بالذينَ يتقدمون في المعرِفة وحكمِة الله " .

لقد أكَّد العلاَّمة أوريجانوس على أنَّ المسيح يوجد فقط في الكنيسة المملوءة من بهائه ويسكُن فيها بكماله ، ومن ثمَّ فإنَّ معرِفة الله حقيقة تتحقق في الكنيسة بحياة الطهارة والطاعة التي تُهيئِنا للنمو في الإدراك اللاهوتي ومن ثمَّ تُعِدّنا لرؤية نور الله اللامخلوق .

ولمفهوم أوريجانوس عن اللاهوت خاصيتان يمكن من خلالهُما بلورة منهجه اللاهوتي الأُوريجاني ، الخاصية الأولى **الذُّكصولوجيا (التسبيح)** ، والخاصية الثَّانية **الثَّالوثية** .

فمعرِفة الله ينتُج عنها التسبيح والتمجيد ، لذلك نجده يقول " أنَّ الكِتاب المُقدس يتكلَّم لاهوتياً عن الله ويُعلِن دائِماً عن طبيعته ، أي أنه لا حدود له وأنه مرهوب بين الآلهة ! ، لذلك يدعو الخليقة كلها من ملائِكة ونجوم ونور مخلوق إلى أن تُسبّح الله وترفعه " [٧٠] .

ونجِد العلاَّمة أوريجانوس حريص على الذُّكصولوجيا كعمل شَرِكَة تجتمِع فيه الملائِكة معنا لنُصلي ونُسبّح ونعمل معاً فنبلُغ ما نبغى ، فبالنِعمة ينفتِح القلب للتسبيح الحقيقي : " إن لم يكُن الذِهن مملوء من نِعمِة الله ، لا يقدِر أن يُشير إلى تسبيحات مجده " [٧١] .

والثيولوچيا والتمجيد ينشأ عنهُما تمجيد داخلي وحالة من السكينة (الهيزيكيا) ، لذلك يقول أوريجانوس :

" عندما أصرُخ إلى الله في تسبيح ، فأنا أتأمَّل لاهوتياً الوقت كله ، فلا شئ يشيخ فيَّ ، بل يتجدَّد يوماً فيوماً على مدى الأيام ، وعندما تُبارِح فِكري الثيولوچيا وأفتُر عن

التمجيد ، فإني أصير فوراً في شيخوخة تتسلَّل إلى عظمي وكياني ، عندما تثقُل عليَّ يد الله ، بسبب جهالاتي وشهواتي الماجِنة " [٧٢] .

أكَّد العلاَّمة أوريجانوس على أنَّ الثيولوچيا هي الذُّكصولوجيا وهي مُرتبِطة بوجودنا ، فكلما ازددنا في التسبيح كلما تجدَّد كياننا وتحقَّق وجودنا ، والعكس إذا أهملنا حيث ينتابنا الذُّبول والفُتُور والضياع .

لذلك يقول " لابد أن نسأله على الدوام لأنه هو وحده القادِر أن يمدِّنا بكل احتياجاتنا " [٧٣] .

لقد اعتبر أنَّ الصلوات والتسابيح معونة إلهية قادِرة أن تُبطِل أعمال الشياطين وحروبه المُثيرة خلال التقوى والتمجيد .

ولتأكيد هذا المفهوم اللاهوتي التَّسبيحي عند العلاَّمة أوريجانوس ، اعتبر أنَّ كل مُؤمِن ينزِل إلى مياه المعمودية يخرج منها إنسان صحيح جديد مُستعِد للتَّسبيح بالنشيد الجديد (إش ٤٢ : ١٠) [٧٤] ، مُعتبِراً بذلك أنَّ كل مُعمَّد مدعو لحياة التَّسبيح الدائِمة .

لذلك نجِده في تفسيره لرسالة أفسس :

" مُكلِّمين بعضكُم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مُترنمين ومُرتلين في قُلُوبِكُم للرب " .

ويقول أيضاً : أنَّ التراتيل تُعلِن القُوَّة بشكل كامِل وتُعبِّر عن لاهوت الله المُفرِح ، ولذلك اللاهوتي الحقيقي هو الذي يقدِر أن يُردِّد هذه التراتيل والتَّسابيح والصَّلوات .. **فاللاهوتي هو المُرنِم بالتَّسابيح** ..

إنَّ هذه التَّسابيح والصَّلوات يمكن أن تظهر بشكل مُعاش خلال الإنسان الذي يستخدِم جسده كقِيثارة وأعماله كمزامير فاه بها المُرنِم ، هذا هو الإنسان الذي يُعلِن اللاهوت في المزامير الروحية ..

ويعتبِر أوريجانوس أنَّ إدراك لاهوت الطبيعة وابداعات الله وجُبلته التي خلقها هي كلها أشكال من الذُّكصولوجيا ، فبالنسبة لأوريجانوس : اللوغوس البشري (العقل) والأعمال البشرية والأعمال الكونية هي كلها أنواع من الذُّكصولوجيا (التَّمجيد) ومن

الثيولوچيا (اللاهوت) ، لذلك لابد أن تملأ الترانيم والتَّسابيح والأغاني الروحية قلب اللاهوتي .

لأنَّ روح الله القدوس يُلهِب قلوبنا في العِبادة الجماعية (الليتورچيا) ويفتح ألسِنتنا للتَّسبيح الذُّكصولوچي ، لذلك يقول العلاَّمة أوريجانوس : " لا نستطيع أن نُقيم صلاة ما لم يُلق الآب عليها ضوءاً ويُعلِّمها الابن ويعمل الروح القدس في داخِلنا " ، وهنا نرى الربط بين التريادولوچيا (الثَّالوث) وبين التَّسبيح والتَّمجيد الذُّكصولوچي .

لذلك يرتبِط مفهوم الثيولوچيا الذُّكصولوجيا بالكنيسة ، ففي سِفر النشيد يتحدَّث عن العروس ... كنيسة المسيح ... التي تُحتشد بكثير من اشبينات العروس أي الخوارِس التي تُسبِّح الله بنفس الثيولوچيا ، وهذه الجوقات تعود من المعركة الروحية والسِباق وهي تنشِد أناشيد الفرح والنُّصرة مُسبِّحة الرب الذي كلَّلها بفرح الطِيب الغامِر (الأڤدوكيا Evdokia) ..

وللعلاَّمة أوريجانوس رؤية سماوية تسبيحية للكنيسة عروس المسيح التي فيها نتشارك من خلال الليتورچيات وبشكل أشمل وأسمى في القُدَّاسات الإلهية .

لذلك لم يُعلِّم أوريجانوس بأنَّ الثيولوچيا نظريات وتسلية عقلية ، بل هي تعبير عن الإنسان الذي يتجه بكل فِكره وقلبه إلى اختبار مُعاش باطني وعميق لمجد الله ونوره ، إنها الذُّكصولوجيا والتَّسبيح التي تلِف الإنسان كله ، نفساً وجسداً وروحاً .

لقد تحدَّث عن الشَركَة التي بين السمائيين والمُؤمنين في المسيح يسوع ، حتى أنه قال " إذ يجتمِع المُؤمِنون معاً .. تكون هناك كنيسة منظورة مُجتمِعة معاً وكنيسة ملائِكة غير منظورة مُجتمِعة معاً أيضاً ! إننا نُشارِكهم تسابيحهُم العُلُوية ، وهم يُشارِكوننا فرحنا بالخلاص الإلهي !! " .

ووردت التَّسبِحة الساروفيمية (الثَّلاث تقديسات) في كِتابات العلاَّمة أوريجانوس ، وربما يرجع استخدامها بالأسكندرية إلى تاريخ سابِق [٧٥] .

و ثيولوچيا أوريجانوس ليست مُتعلِقة بإله غير شخصي ومُطلق لكن بالثَّلاثة أقانيم أو البرسونا لله الواحِد ، بالثَّالوث القدوس ، فهي " **ثيولوچيا الثَّالوث** " كما يُسميها

أوريجانوس في تفسير إنجيل لوقا [٧٦] .

هذه الثيولوچيا التريادولوچية (الثَّالوثية) تُؤكِد على وحدِة عمل الأقانيم الثَّلاثة ، في تعليم صحيح مُستقيم عن وحدِة الله التي لا ترتكِز على مفهوم أيديولوچي مذهبي لكيان الله الغير مُدرك .

ويتحدَّث أوريجانوس عن ثيولوچيا الآب و ثيولوچيا الابن المُخلِّص و ثيولوچيا الروح القدس ، وبِدايته هي دائِماً في الإعلان الذي يُحقِّقه الأقانيم الثَّلاثة ، ومن ثمَّ فالثيولوچيا لكل واحِد منهم ولهم جميعاً في آنٍ واحِد .

فيقول أوريجانوس أنَّ " المسيح قد نقل الإيمان بالله إلى الإيمان بالابن والآب أو بمعنى آخر قد نقل الثيولوچيا إلى ثيولوچيا الابن و ثيولوچيا الآب " [٧٧] .

كتب في كِتابه De oratione يتحدَّث عن أولئِك الذينَ يُسيئون فهم مقولات الإنجيل لأنهم يرتكِزون على أُسُس أخرى للاَّهوت غير تعليم الإنجيل الخاص بالابن والآب .

وفي مواضِع أخرى يقول أوريجانوس أنَّ الذي لا يُؤمِن بلاهوت الروح القدس يجحد معموديته ولا يمكن أن يخلُص ما لم يتقدس بالثَّالوث كله .

وقد أكَّد أوريجانوس على الثيولوچيا الثَّالوثية التي وجدها في أسماء العهد القديم عن الله ، مثل الصَّباؤوت ، وأدوناي ، وهو لاهوت أعمق وسِرِّي يتضمن في عُمقه التعليم عن الثَّالوث ، بل ويُقرِّر هذا التعليم عندما يقول :

" لا نستطيع أن نُقيم صلاة ما لم يُلقِ الآب عليها ضوء ويُعلِّمها الابن ، ويعمل الروح القدس في داخِلنا " [٧٨] .

ونستطيع أن نقول أنَّ مدرسِة الأسكندرية اللاهوتية في نهاية القرن الثَّالِث الميلادي ، أنشأت عِلْم اللاهوت المسيحي ، بعد أن انتصرت على الفلسفة الوثنية التي واجهتها بدفاعياتِها الخصبة ، ولمَّا تطاولت الفلسفة على بساطِة المسيحية ، تحدَّث أوريجانوس الذي كان قد درس فلسفِة الوثنيين – عِلْم اللاهوت المنهجي – وخصوصاً بعد أن فرضت المشاكِل الفلسفية نفسها على منهجه ، عن جوهر الثيولوچيا مُتخِذاً من الطريقة المنهجية أُسلوباً في ردوده .

وبالرغم من اخفاقاته إلاَّ أننا نُقِر أنه ما كان مُمكِناً أن يتحقق انتصار المبادِئ المسيحية اليونانية فيما بعد بدون سقطاته ، وقد استنفذ البابا أثناسيوس الرسولي والآباء الكبَّادوك كل حياتهم لتصحيح المنهج اللاهوتي الأُوريجاني ، لتستعيد الكنيسة اتزانها الروحي اللاهوتي في أواخِر القرن الرَّابِع .. وتُغلِق مدارِس الأسكندرية وأثينا أبوابها كتتويج لحالة واقِعة ، ألا وهي سيادِة العِلْم اللاهوتي المسيحي بأصالتِهِ وروحه الإنجيلية الرَّسولية الآبائية .

ونُجمِل هنا تعليم أوريجانوس اللاهوتي (اللاهوت المنهجي Systematic Theology) :

أولاً : اللاهوت هو المعرِفة الشخصية الاتحادية العميقة ورؤية الله التي تنبُع في الأعماق الدَّاخلية ، معرِفة صميمية بالكيان والوجود والحياة .

ثانياً : إنَّ معرِفِة اللاهوت الصحيح ، معرِفة إلهية روحانية لاهوتية مُقدسة رُؤيوية وحقيقية غير كاذِبة ، تنبني على الإرادة المُقدسة والتطهير من الشهوات والمواظبة على التوبة والنُّسك ، لنتأمَّل ونسلُك في الفضيلة ونحيا حياة الكنيسة الإكلسيولوچية ، عندئذٍ تتكشِف لنا أعماق الثيولوچيا .

ثالِثاً : تتحوَّل الثيولوچيا إلى ذُكصولوجية ، وهو عمل التَّسبيح والتَّمجيد والتَّرنُم الذي يحتضِن الإنسان كل الإنسان بل والكون كله كعمل من أعمال خِلقِة الله ومجده الإلهي .. لذلك اللاهوتي هو الذي يُصلِّي ويُسبِّح ، (اللاهوتي كائِن ليتورچي) .

رابِعاً : اللاهوت هو التريادولوچيا (الثَّالوث) أي استعلان الثَّالوث القدوس الذي أُعطِيَ في المسيح لخلاص الإنسان .

الثيولوچيا هي البِداية

والذُّكصولوجيا هي الطريق

والتريادولوچيا هي النِهاية والغاية

ويقول العلاَّمة أوريجانوس " من هو البِدء بِدء كل شئ إلاَّ ربنا ومُخلِّص جميع الناس، يسوع المسيح بِكر كل الخليقة ، فالبداية هي المُخلِّص الذي به صُنِعَت كل السموات والأرض " (٧٩) .

وهذه المراحِل الأربع في المفهوم الأُوريجاني قد تطورت في المضمون الأكلسيولوچي (الكنسي) ، فلا ثيولوچيا خارِج الكنيسة حيث الخلاص الإلهي ولا ذُكصولوجية خارِج جُموعِية الكنيسة وشَرِكَة القديسين ولا تريادولوچيا بعيداً عن سرائِرِية الكنيسة بيت الحمامة .

ويُمثِّل العلاَّمة أوريجانوس نُقطة تحوُّل في الثيولوچيا الآبائية فيما بعد ، اليونانية واللاتينية ، لذلك اعتبر البعض أنَّ أوريجانوس هو **أبو اللاهوت الأُرثوذُكسي المنهجي** Father of Orthodox Systematic Theology لكنه في نفس الوقت **أبو الهرطقة** !! Father of Heresy

وقد يبدو هذا الأمر مُتناقِضاً حسب الظَّاهِر ، لكن أوريجانوس كان أوّل مسيحي يهتم بجدِية بالمُعضِلات التي واجهها اللاهوت القديم وأوّل من فتح الطريق أمام الجديد ، وكان أوّل من صب العقائِد المسيحية في قوالِب منهجية فلسفية مُنشِأً بهذا لأوّل مرَّة في تاريخ المسيحية ما سُمِّيَ فيما بعد بعِلْم اللاهوت المسيحي .

مراجِع الفصل

1) Contra Celsum, IV, 89.
2) Ibid. 1, 25.
3) Ibid. IV, 97 and 89.
4) Ibid. VII, 42.
5) Ibid. VI, 22.
6) Ibid. I, 20.
7) Ibid. IV, 89, 97.
8) Ibid. IV, 3, also VII, 4.

9) See Ibid. IV, 3.

(حيث يتحدَّث عن أنَّ المشكلة لم تكن في الحاجة إلى المعرِفة عن الحق ، بل كانت تكمُن في غِياب الحق نفسه في الحياة) .

10)Ibid. VI, 4.

11)Ibid. VI, 5.

12)Contra Celsum, 7:54.

13)Rom. 1: 21,23,25; 1 Cor: 1: 27 – 29.

14)Ibid. IV, 5.

15)On the Proverbs P.G. 17, 161 A, 220 D.

16)P.G. 17, 165 D, 173 C, 188 A, 192 B.

17)Ibid. 200 A.

18)Ibid. 200 A.

19)Ibid. 137 D. 193 B.

20)Ibid. 180 CD.

21)Ibid. 180 CD, On Matthew, XII, 15.

22)P.G. 17, 169 A. 180 CD.

23)On Matthew, XII, 37.

24)On the Proverbs, P.G. 17, 229 A.

25)On the Psalms 43, P.G. 12, 1434 B.

26)On the Proverbs, P.G. 17, 229 A.

27)Ibid.

28)In Num. Hom 18 : 3.

29)In Gen. Hom 11 : 3.

30)In Judic Hom 3 : 3.

31)In Levit. Hom 10 : 2.

32)In Joan, t 2, ch 19.

33)A.N.F., vol 9, p. 313.

34)CF. also In Proverbs 4, 21 and in Psalm 9.

35)In Matthew XX, 15.
36)In Joan, t 1, ch 19, 27.
37)Comm. Matt 13: 19.
38)Contra Celsus 6: 67.
39)In Josh. Hom 15: 14.
40)Comm. Ined des Paaimes 118: 32 B.
41)Comm. Joan, Frag. 41 (on 3: 27) .
42)Princ. 4: 4 : 2.
43)In Num, Hom. 9 : 9.
44)In John, XIII.
45)In Proverbs, P.G. 17, 231 B.
46)In John XIX, 4.
47)In Joan t 19.
48)Joseph C. MC Lelland: God the Anonymous, 1976, P. 112.
49)De Prin. 3 : 6 : 3. P.G. 11 : 356.
50)Ibid. 1 : 1 : 5, P.G. 11 : 124.
51)Selps. 144 : 1.
52)In Gen,. Hom 3 : 2.
53)Contra Celsus 8 : 70.
54)In Ezek. Hom. 13.
55)In Luc Hom. 18.
56)Comm. Rom. 5 – 6.
57)Comm. 32.
58)In Jerm. Hom 8 : 2.
59)In Joan 2, in Princ.
60)Ctena aurea, St. John, ch 1.
61)In John, XIX, 3.
62)P.G. 17, 220 D.
63)CF Stromaties, VII, III, 2, 3.

64)43, P.G. 17, 245 A.

65)Ibid. 244 A.

66)Ibid. 172 D.

67)In Proverbs P.G. 17, 204 A.

68)In Num. Hom, 11 : 3, in Joan 28 : 23.

69)V Lossby's book on The Vision of God, London, 1963, is particularly relevant here.

70)In Jeremia, Hom. XVIII, P.G. 13. 176 A.

71)Nots on PS. 71 : 8.

72)P.G. 13, 29 A B.

73)A.N.F., vol 4, 490.

74)In Exod, Hom. 5 : 5.

75)Gregor. Dix: The Shape of the Liturgy, P. 237.

76)Fragments XIVIII, P.G. 17, 353 CD.

77)In John, VII.

78)De Prin. 2 : 6.

79)In Gen. Hom. 1 : 1.

الفصل السَّادِس

البَّابا أثناسيوس الرَّسولي

(٢٩٦ – ٣٧٣م)

البابا أثناسيوس

يُعتبر البابا أثناسيوس الرَّسولي المركز الذي كانت تدور حوله الكنيسة واللاهوت في العصر النيقاوي ، لذلك لُقِب بأبو الأرثوذُكسية ، ودُعِيَ بالمِنبر الأعظم وحجر الزاوية في الكنيسة المُقدسة ، وأسقف الأساقِفة رأس العالم رأس كنيسة الأسكندرية .

فهو الذي جعل للتعليم اللاهوتي الأرثوذُكسي قانون مُتكامِل ، جاهد واضطُهِد ونُفِيَ لكي يُرسيه ، وكان اللاهوت يتدفق من قلب أثناسيوس فجاء قوياً أمام الفلسفات والأفكار الذاتية ، ولا يندرِج المنهج اللاهوتي عنده تحت مفهوم المعارِف والعلوم والثقافات ، بعد أن أصبح الكتاب المُقدس عنده خبرة حيَّة مُعاصِرة للكنيسة في زمانه ، لذا تغيَّر مفهوم الخلاص في تقليد الأسكندرية ذاتها ، بعد أن شابته المعرِفة والثقافة اليونانية على يد

إكليمنضُس وأوريجانوس السكندريين .

تميَّز أُسلُوب أثناسيوس الرَّسولي بكونهِ تعليمياً أكثر منه جَدَلِياً هجومياً ، لأنه راعٍ يعلم رعيته ، وإن كان من البيّن أنَّ البابا أثناسيوس كان يستخدِم الأُسلُوب الهجومي الجَدَلي ضد الأريوسيين بهدف تعليم الشعب ، لذلك نقرأ كِتابات لاهوتي عظيم يتكلَّم بأبسط أُسلُوب يتناسب مع شعبه .

اعتقد أنَّ الأسفار المُقدسة كفيلة بحد ذاتها أن تُعلِن الحق [١] ، وأنها كافية جداً لنا ، وحوَّل كل فِكْر وثقافة لخدمِة أبحاثه اللاهوتية ، بعد أن تسلَّم حياة وتراث الآباء والعُلماء السابقين له ورأى استشهاد البابا بطرُس خاتِم الشُّهداء ، فأي تعليم لاهوتي هذا الذي تسلَّمه لينمو في وُجدانه الروحي والإيماني واللاهوتي ، على مستوى العِشرة بالخبر والإيمان والعيان والتلمذة والحق والاعتراف وشهادِة الدم .

وكما ارتبطت **الكلِمة** (**كيريجما**) باللاهوت الأثناسياني ، كذلك ارتبطت **الشهادة** (**مارتيريا**) أيضاً به ، لكي يشهد ويُدافِع أثناسيوس عن ما رأى وما سمع ، وارتبطت الثيولوچيا عنده بالتلمذة بعد أن تتلمذ للبابا ألكسندروس وعاين اعتراف وشهادِة البابا بطرس خاتِم الشُّهداء ، ليشهد بضمير صالِح مُتوهِج ويعترِف في نيقية ضد الأرواح المُضِلَّة والهرطقة الآريوسية .

تشكَّل لاهوت أثناسيوس الرَّسولي على أساس **التلمذة النُّسكية** على يدي العظيم الأنبا أنطونيوس أبو الرهبان في العالم كله فكان لاهوت أثناسيوس مبنياً على الإنجيل والآباء والنُسك وشهادِة الدم والتلمذة ، إنها رسالِة حب لا رسالِة تعليم ، وهكذا كان تأثير الرهبنة والنُّسك على شخصية البابا أثناسيوس تأثيراً عميقاً ، فاتسمت حياته بالفضيلة والجهاد ، وارتبط اللاهوت عنده **بالذُّكصولوجيا** أي التَّسبيح ، حتى صار الاتجاه النُّسكي البتولي وحياة التَّسبيح والعِفة خطاً رئيسياً في كِتاباته ، لا كلاهوتي يشرح عقيدة بل كمؤمِن يشهد لِمُخلِصه ، ومن أشهر كِتاباته اللاهوتية " ضد الوثنيين " و" تجسُّد الكلِمة " .

كان أثناسيوس في نيقية (٣٢٥م) أعظم المُرافقين للأساقِفة ، وهو الذي انتصر بصورة أساسية في ثِقته بالمسيح الذي كان يُدافِع عنه ، فكان يملُك الحقيقة لا في عقله ولا في لِسانه فحسب بل في قلبه ، في شخص يسوع المسيح الذي كان يتكلَّم فيه بروحه

القدوس عند افتتاح فمه .

وضع مُصطلحات لاهوتية لقطع خط الرجعة على الهراطِقة ، وهو صاحِب اصطلاح Homoousion (أي واحِد مع الآب في الجوهر) ، فنادى به على مستوى الإيمان والأمانة ولا يمكن أن نفصِل اسم أثناسيوس الخالِد أبداً عن عقيدِة الثَّالوث (التريادولوچا) التي كرَّس حياته لأجلها .

إنَّ أخر مفهوم أوريجاني في الثيولوچيا كان التريادولوچا (الثَّالوث) ، وبالنسبة للقديس أثناسيوس كانت التريادولوچا هي الكلِمة الأولى ، إذ كان تعليم الثَّالوث هو أساس وركيزة اللاهوت الذي دافع عنه البابا أثناسيوس وعمَّقه ، انطلاقاً من مقولته الشهيرة :

الله نفسه قد دخل بشريتنا

وهذه الركيزة اللاهوتية جاءت نتيجة الظروف التاريخية لقيام الجدل اللاهوتي الذي أثاره الأريوسيون وأصحاب بِدعِة " مقاومة الروح القدس " أبوليناريوس ومقدونيوس .

وكانت المقولة الحاسِمة في تعليم القديس أثناسيوس اللاهوتي ، والتي صارت من أقواله المأثورة في العقيدة المسيحية على مر الدُّهور ، هي تلك التي وردت في مبحثه الأوَّل ضد الأريوسيين حيث أعلن قائِلاً :

" يكمُل اللاهوت في الثَّالوث "

وهذه هي فقط **" التقوى الحقيقية "** بل

هذا هو **" الصَّلاح والحق "** [٢] .

وكان يُعرِّف التقوى من خلال موقِف اليهودية العبرانية ، أمَّا اشارته إلى الصَّلاح والحق فتتضمن موقِف الفلسفة الهيلّينية أو اللاهوت الفلسفي Philosophical Theology .

اعتبر القديس أثناسيوس أنَّ الثيولوچيا التريادولوچية هي نقطة البدء ، لذلك رأى أنها " قاعدة وأساس إيمان الكنيسة " [٣] .

إنه **" الإيمان الذي أعطاه الرب نفسه**

والذي كرز به الرُّسُل

لذلك حفظهُ الآباء

الإيمان الذي عليه قد بُنِيَت الكنيسة " .

وفي رسالته إلى الأسقف سِرابيون يُعلِن :

" الرب يسوع المسيح نفسه علَّم تلاميذه كمال الثَّالوث القدوس ، القائِم بلا انقسام في اللاهوت الواحِد " (٤) .

وفي لاهوته الثَّالوثي يُؤكِد على وِحدانية الثَّالوث (ثالوث في واحِد وواحِد في ثالوث) .

ويُؤكِد على ثالوث أقانيم الآب والابن والروح القدس ووحدِة الكيان والعمل (أنرچيا) للأقانيم الثَّلاثة ، وكانت انطلاقته الأولى في استعلان الثَّالوث في الإيكونوميا الخلاصية ، والتي تعني مفهوم لاهوت التدبير الخلاصي الذي أتمَّه الثَّالوث القدوس وأيضاً تُشير إلى استعلان الله في المسيح .

وفي الإيكونوميا يشترِك الثَّالوث في تناغُم وانسجام ووحدة Unison :

فالآب **يُخلِّص**

والابن **يُخلِّص**

والروح القدس **يُخلِّص**

بمعنى أنَّ الثَّالوث القدوس قد استُعلِن في عملٍ واحِد ، ووحدِة العمل هذه تُشير إلى وحدِة كيان الله .

فالله لا تحِدُّه مفاهيم ولا تحصُره ادراكات العقول البشرية ، لكنه يُعرف بأعماله واعلانه ، فنحن نعرِف أنَّ الله كائِن لأننا نعرِف أنَّ الله يعمل ، أباً وابناً وروح قدس ، لكننا نعرِف أيضاً أنَّ الآب والابن والروح القدس ليسوا ثلاثة آلهة بل **إله واحِد** ، لأنَّ عمل الآب لا يختلِف عن عمل الابن ولا عن عمل الروح القدس ، أخيراً لا الآب ولا

الابن ولا الروح القدس يختلِفون في الكيان أو الجوهر ، فليس الآب أعظم من الابن أو الروح القدس ، ولا الابن أدنى من الآب (فليس كل أُقنوم أدنى من الآخر أو أنَّ الأقانيم هي مجرد حالات أو ظواهِر مختلِفة) (حسب قول المُبتدِع سابيليوس) .

قاوم البابا أثناسيوس الأفلاطونية بنظريتها في الثَّالوث المُتدرِج (غير المُتساوي) [٥]، فكل من يفصِل الابن عن الآب ، أو من يُدنّي الروح القدس لا يكون له الآب ولا الابن ، وهو بلا إله ، ويكون أشر من غير المُؤمِن ، ولا يُحسب أنه مسيحي ، لأنَّ الإيمان بالثَّالوث المُسلَّم إلينا يُوحِّدنا بالله [٦] .

ومن ثمَّ فلتأكيد وحدِة الأقانيم الثَّلاثة ولتأكيد ثالوثية الجوهر الواحِد لا يليق أن يُعرف أو يُحدَّد أُقنوم بأُقنوم آخر ، لكن الإنسان قد يتساءل حينما يقرأ مقولِة القديس أثناسيوس والتي قد يُفهم منها أنَّ الابن أدنى من الآب كقوله " الآب هو الأصل أو المبدأ الأوَّل للابن بينما الآب لا مبدأ له " أو حينما يقول " الروح القدس ينبثِق من الآب ويستقِر في الابن أو أنه روح الابن أو أرسله الابن " .

ويُؤكِد البابا أثناسيوس أنَّ هذه المقولات غير انعكاسية أي لا يمكن الرجوع فيها ، لأنَّ الاجابة على زعم البعض بأنَّ أقوال القديس تتضمن ولو شُبهِة التدني أو التدرُّج أو المرؤوسية Subordinationism ، هي بالقطع النفي التام للأسباب التالية :

الآب هو مبدأ الابن (Ἀρχή) بسبب الاستعلان ، لأنَّ الآب لا بِداية له ، فهو بحسب تعبير القديس أثناسيوس " آنارخوس آرخي " (Ἀναρχοσ άρχή) " أي البدء الذي لا بدء له " .

الابن غير مخلوق أي " أجنيتوجنيس " (Ἀγενητογενήσ) وهي صِفة يعود استخدامها إلى البابا ألكسندر بطريرك الأسكندرية ألـــ ١٩ ، الذي خَلَفَهُ البابا أثناسيوس الرَّسولي على الكرسي المرقُسي الأسكندري .

ونرى نفس الفِكر مُتعمِقاً في الإبنڤماتولوچيا (لاهوت الروح القدس) ، فالروح القدس ليس أقل Inferior من الابن لأنه مُرسل من الابن ، أيضاً ليس الابن أقل من الآب لأنه أرسله وفي الحقيقة الروح القدس يُعطى للابن من الآب ، وهو ينبثِق من الآب ليستقر في

الابن ، ولكنه ليس أقل من الآب أو الابن ، لأنه يُعلِن الابن ويُعلِن الآب حقاً ، فالروح القدس يُكمِل لاهوت الثَّالوث He Completes the Theology of the Trinity .

وفي رسالة القديس الأولى إلى سِرابيون الأسقف يقول :

" إذاً يوجد ثالوث قدوس وكامِل ، نعترِف بأنه الله الذي هو الآب والابن والروح القدس ، لا شئ فيه غريب أو خارِج عن طبيعته ، لا يتألَّف من واحِد يخلِق وواحِد مخلوق بل كله خالِق ، جوهره بسيط وغير مُنقسِم وعمله واحِد " (Consistent and in nature indivisible and its activity is ONE) .

فالآب يصنع كل شئ بالابن اللوغوس في الروح القدس ، هكذا تظِل وحدة الثَّالوث القدوس محفوظة ، والكنيسة تكرِز بإله واحِد : الذي هو فوق الجميع وبالجميع وفي الجميع : هو فوق الجميع أباً فهو البداية وهو الأصل ، وبالجميع باللوغوس الكلِمة ، وفي الجميع في الروح القدس ، إنه ثالوث ليس في تعبيرات ولا في كلام بل في الحق والفِعْل ، كما أنَّ الآب هو من هو ، هكذا أيضاً كلِمته اللوغوس هو الواحِد الذي هو ، والله الذي فوق الجميع ، والروح القدس ليس بدون وجود فِعلي (هيبوستاسيس أي أُقنوم) ، لكنه كائِن كينونة حقيقية ، والكنيسة الجامِعة لا تُفكِّر مُطلقاً في شئ أقل من ذلك وإلاَّ صار لها مستوى تفكير المُبتدِع سابيليوس الهرطوقي ، ولا هي تُضيف من عندياتِها مُناظرات (إلى هذا الإيمان عن الثَّالوث) ، وإلاَّ انحدرت إلى تعدُّد الآلِهة الذي للوثنيين .

وحتى يعرفوا أنَّ هذا هو إيمان الكنيسة ، فلتُعلِّمهم كيف أنَّ الرب حينما أرسل الرُّسُل أمرهم أن يُؤسِّسوا الكنيسة على هذه الركيزة قائِلاً " **اذهبوا وتلمِذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس** " ، وهكذا انطلق الرُّسُل القديسون وهكذا علَّموا ، وهذه هي الكرازة " كيريجما " التي تمتد إلى الكنيسة كلها تحت السماء [٧] .

كان لاهوت أثناسيوس قائِماً على شخص المسيح الحي Christology [٨] ، فانطلق يدحِض ادِّعاءات الأريوسية ، فالابن أزلي مع الآب ، ومن جوهر الآب ومُتساوي مع الآب ، فالآب والابن واحِد في الجوهر وفي الوحدانية الإلهية ، فالابن ليس شريك الآب ، وهذا هو مضمون (الأُوموؤسيوس) [٩] .

أكَّد البابا أثناسيوس على شخص المسيح الفادي ، فتميَّز بأنه صاحِب **" لاهوت الخلاص "** ، وحوَّل نظرِة الفلاسِفة من " لوغوس " الفلسفة إلى " لوغوس " إنجيل يوحنا اللاهوتي ، ومن " إله الفلاسِفة " إلى " الله المُستعلن في يسوع المسيح " .

اعتبر أثناسيوس أنَّ تجسُّد ابن الله ، وموته على الصليب خاصة هو مركز الإيمان واللاهوت [١٠] ، بل قُلْ رأس ومبدأ الإيمان ، فالكلِمة صار جسداً لكي يجعل الإنسان مُؤهلاً لقبول اللاهوت وأوضح البابا أثناسيوس أنَّ التجسُّد كان لتحويل الفاسِد إلى عدم فساد ، ولتجديد الإنسان على مِثال صورِة الله ، وليصير المائِت غير قابِل للموت .

وأكَّد على أنَّ لاهوت الخلاص كان من أجل إبادِة الموت عن البشر وتسديد الدِين عن الجميع ولِبْس عدم الفساد مع نهاية الموت .

فرَّق البابا أثناسيوس بين " الوجود الإلهي الذاتي " و" الإرادة الإلهية في الخلق " ، وميَّز بين سِر اللاهوت Theology والتدبير Economy ، فالله كائِن بذاته موجود وغير مُتغير وغير خاضِع للزمن وغير قابِل للموت أو الفساد ، أمَّا العالم فمخلوق مُستمَدْ من إرادِة الله مُتغير ومُعرَّض للفساد ، وكلِمة الله هي عِلّة الخلق ، وهناك صِفات ذاتية كيانية في الله وهي الصِفات الجوهرية : الآب والابن والروح القدس ، إنه سِر العِبادة الأعظم (ثلاثة في واحِد) وهنا يُؤكِد البابا أثناسيوس على علاقِة **الثيولوچيا بالتريادولوچيا** .

ولاهوت الابن هو لاهوت الآب ، لذلك فهو غير مُنقسِم ، لأنه يوجد إله واحِد ، والأُبوة والبُنوة في الله ليست مُرتبطة بالمادة ولا بالتصورات الزمنية ولكنها حقيقة دينامية إينارچية ، لها قُدرة وتواجُد معاً ، الابن غير مُفترِق عن الآب ، ولم يكن زمان قط كان فيه الابن غير موجود ، ولكنه دائِماً أبداً صورِة الآب وشُعاعه وله أزلية الآب .

ويرى البابا أثناسيوس أنَّ من يُؤمِن بالآب يعرِف الابن في الآب ، وهو لا يعرِف الروح القدس بدون الابن ، وذلك يُؤمِن أيضاً بالابن والروح القدس لأنَّ لاهوت الثَّالوث واحِد وقد أُعلِنَ من واحِد ، أي من الآب .... فالإيمان بالثَّالوث يُوحدنا بالله ، لأنَّ المعمودية تتم باسم الثَّالوث ، ويوجد إيمان واحِد في الثَّالوث ، هكذا أيضاً الثَّالوث القدوس مُتساوي مع ذاته ، ومُتحِد بنفسه في وِحدة غير مُتجزِئة ، والإيمان به إيمان واحِد .

وهذه الأقوال الدقيقة الشارِحة للاَّهوت الثَّالوثي تتكرر بمضمونها وإن لم يكن حرفياً في كل أقوال الآباء الذينَ أقامهم الله آباء ورُعاة ومُعلِّمين في الكنيسة المُقدسة بعد نياحِة القديس العظيم الأنبا أثناسيوس الرَّسولي حامي الإيمان .

واللاهوت الثَّالوثي يختلِف تماماً بل ويُضاد ذلك الفِكر اللاهوتي الوحداني الصِرف Monistic Theology (الفِكْر الأُحادي) ، مثل بِدعِة السبليانية التي تعتبِر الآب والابن والروح القدس ثلاثة مظاهِر أو أشكال لإله واحِد Modelism أو مِثْل ما يُسمَّى باللاهوت التَّعدُدي الجموعي Pluralistic Theology مثل الفلسفة الهيلينية التي تخلِط بين الله وعناصِر العالم ، فينشأ عن هذا الخلط " تأليه الكون " ، وهو مذهب وحدِة الوجود (أي أنَّ الله والطبيعة شئ واحِد) .

لكن لاهوتنا الثَّالوثي الذي نُؤمِن به يُقرِّر أنَّ كل أُقنوم من أقانيم الثَّالوث إله كامِل ، والأقانيم الثَّلاثة إله واحِد وليسوا ثلاثة آلِهة (بل لاهوت واحِد أزلي في الثَّالوث ومجد واحِد للثَّالوث) [١١] .

والأقانيم الثَّلاثة مُتميزة Distinct ومع هذا فإنَّ تمايُزها ليس عائِقاً لوحدانية جوهرها .

ويليق بنا أن نعرِض هنا النص التالي بغرض توضيح مفهوم تمايُز الأقانيم الثَّلاثة في الثَّالوث القدوس ، في منظور القديس أثناسيوس اللاهوتي ، وهو نص وَرَدْ في ردُّه الأوَّل على الأريوسيين ، يدحض التثليث الأريوسي المرفوض الذي قام على اعتبارات عقلانية وقياسات منطِقية (Syllogisms) :

" إن قُلنا أنَّ اللوغوس كان منذ الأزل مع الآب ، لكنه ليس ابنه ، فإنَّ شُكوك الأريوسيين المزعومة قد تبدو مقبولة بحسب ظاهِرها ، لكن بينما نحن نقول أنه أزلي ، نعترِف أيضاً إنه ابن من الآب فكيف يكون المولود أخاً لمن ولده ؟ ..

ما هذا إلاَّ زعم يهودي المنشأ ... لأنَّ الآب والابن لم يُولدا من أصل سابِق الوجود حتى نعتبرهُما أخين ، لكن الآب ولَدَ الابن ، والآب هو الآب ، والابن هو الابن ليس أخاً بل دُعِيَ ابن الآب الأزلي ، وحقاً قد دُعِيَ كذلك لأنَّ جوهر الآب لم يكن أبداً ناقِصاً ، ليس

كما في حالِة ميلاد إنسان من إنسان قد وُلِدَ الابن الوحيد من الآب ، حتى يبدو لاحقاً للآب في الوجود بل هو مولود الآب بالطبيعة منذ الأزل " [١٢] .

وهكذا أكَّد القديس أثناسيوس على الثَّالوث الأزلي (Eternal Trinity) في مواجهة ذلك الفِكْر الأريوسي الذي يخضع لمقاييس وأبعاد الزمن ، فيصير لاهوتاً ناقِصاً تحكمه معايير التدني والتَّبعية والمرؤوسية (Subordinationist) [١٣] .

فأريوس يُعلِّم ويزعُم أنَّ الله في البدء كان واحِداً وحيداً (موناد Monad) ، لكنه فيما بعد خلق الابن !! وفيما بعد أيضاً أوجد الروح القدس !! وهكذا تحدَّدت معالِم فِكْر أريوس الهرطوقي والمُبتدِع عن تلك الوحدانية الأنطولوچية الإغريقية .

لكن الله هو الواحِد الغير مخلوق البِدء الأزلي وأصل كل الأشياء الذي لا يتغيَّر ، الأبدي ، ولا صيرورة فيه Becoming .

يزعم أريوس أنه : حينما نقول أنَّ الابن مولود والروح القدس مُنبثِق ، فكإننا نقول أنَّ كيان الله " يصير Becomes " ، والصيرورة دائِماً ما تكون في الزمان وتقبل التغيير ، وعلى هذه المُقدمات المنطِقية العقلانية رفض الأريوسيون تعليم الكنيسة المُستقيم عن الابن الأزلي ، وعن انبثاق الروح القدس الأزلي ، وقد أعاقهم مفهومهم الأفلاطوني الجامِد (الإستاتيكي) عن الكيان الإلهي عن رؤية أيَّة " حركِة حياة " داخل الله ، بمعنى أي سِر شخصس (Personal mystery) .

وقد اعتاد القديس أثناسيوس أن يُشكِّل إيمان الكنيسة افتراضاته الفلسفية ويصيغ تعليمه ، فدحض هرطقِة المُبتدِع أريوس ، والتي تتعلَّق بأزلية الابن ، والتي حصرها أريوس الهرطوقي في بُنوة لها معنى الصيرورة والمخلوقية [١٤] .

ويُحاجج القديس أثناسيوس ليُميز بين :

الميلاد	Generation
والخلق	Creation

مُستنِداً إلى التعليم الإنجيلي للكتاب المُقدس ، فحال كون الابن **مولوداً** لا تُساوي على

الاطلاق كونهِ **مخلوقاً** ، فالمولود ميلاداً إلهياً مولود بالطبيعة ، بينما المخلوق خُلِق من عدم ، وميلاد الابن يخُص الطبيعة الإلهية ، ولهذا يختلِف عن أي ميلاد بشري ، فالطبيعة الإلهية أزلية ومن ثمَّ وَجَبْ أن يكون الميلاد الإلهي أزلياً ، أمَّا الميلاد البشري فلا يمكن أن يحدُث إلاَّ في الزمن ، لأنَّ الطبيعة البشرية قد خُلِقت وتوجد في الزمن ، أيضاً الطبيعة البشرية يحكُمها المكان لأنها توجد في المكان ولها مظهر جِسداني محدود ، لكن الكيان الإلهي غير جسداني وبسيط لا يحِدُّه زمان ولا مكان ، وهو غير مُدرك ومن ثمَّ فكيفية الميلاد الأزلي غير مُدركة ، وِدفاع الكنيسة عن الميلاد الأزلي للابن ليس دِفاعاً مبنياً على أُسُس عقلانية كما لو كانت الكنيسة تقدِر أن تُدرِك كيفية هذا الميلاد الإلهي أو تُثبِته ، لكنه دِفاع قد قام في الكنيسة لأنها قد تسلمته من الرب نفسه من خلال رُسُله القديسين ، وقد استُعلِن في الاختبار التاريخي لاستيعاب الكنيسة لحق الاستعلان الإلهي [١٥] .

وفي (ضد الريوسيين ٢ : ٥٨) ، يقول القديس أثناسيوس :

" يُحدِّد الكتاب المُقدس الفارِق بين ميلاد الابن وخلقِة الأشياء ويكشِف أنَّ وحيد " الآب " هو ابن لم يبدأ من أي بِدء لكنه أزلي ، لكن الشئ المخلوق ، إذ هو عمل خارجي من أعمال الخارِج ، يبدأ في أن يكون له وجود من لا وجود ، ولهذا فإنَّ القديس يوحنا حينما سلَّمنا التعليم الإلهي اللاهوتي عن الابن – وهو مُدرِك للفارِق في العبارات والمُسميات – لم يقُل " في البدء صار " أو " خلق " ، لكنه قال " في البدء كان اللوغوس "، حتى نفهم " الميلاد " بواسطة لفظِة " كان " لا بمفهوم وجود مسافة زمنية تفصِل الابن عن الآب لكن حتى نُؤمِن أنَّ الابن كائِن أزلياً وعلى الدوام " .

وفي (ضد الأريوسية ٢ : ٥٧) ، يتحدَّث القديس بطريقة مُماثِلة :

" للأعمال بِداية عند خلقها أو عملها ، وبِدايتها تسبِق صيرورتها ، لكن اللوغوس ليس من الأشياء التي خُلِقت أو صارت بل هو ذاته خالِق كل الأشياء التي لها بِداية ، أيضاً تُقاس كينونِة المخلوقات بمعيار صيرورتها ، لأنَّ الله قد بدأ في خلقها باللوغوس من بداية ما حتى نعرِف أنها لم تكن موجودة قبل خلقِها ، لكن اللوغوس لا يستمِد كيانه من بِدء آخر غير الآب ، الذي هو بلا بِداية ومن ثمَّ كينونِة الابن بلا بِداية في الآب ، لأنه وحيده وليس مخلوقه " .

وبالنسبة للبابا أثناسيوس كان نُكران أريوس الهرطوقي للاهوت الابن يتضمن أيضاً بالتبعية نُكران لاهوت الثَّالوث ، الذي لا يقِل أبداً عن الالحاد ونُكران الله !! لأنَّ **لاهوت الثَّالوث هو الحق** [١٦] The Theology of the Trinity is the truth .

وفي رِسالته الأولى إلى سِرابيون الأسقف يقول : " أنَّ الأريوسيين بنُكرانهم للابن يُنكِرون يُنكِرون الآب وأيضاً هؤلاء المُبتدِعون مُقاوِمو الروح القدس بحديثهم الشِّرِّير عن الروح القدس يتحدَّثون بالشَّر عن الابن ، وقد وزَّع الفريقان فيما بينهما الضَّلالة ضد الحق ، ففريق منهم يُقاوِم الابن والآخر يُقاوِم الروح القدس وصار كلاهما يُجدِّف نفس التجديف ضد الثَّالوث " .

ثم يستخدِم القديس أثناسيوس لغة قوية فيما بعد : " ظهر الثَّالوث كامِل وغير منظور ، القدوس الأزلي الواحِد ذو الطبيعة التي لا تتغيَّر ، والإيمان بالثَّالوث الذي سُلِّمَ إلينا يُشرِكنا بالله ، وذاك الذي ينفصِل عن الثَّالوث مُعتمِداً باسم الآب والابن دون الروح القدس لا ينال شيئاً ، بل يبقى كما هو خامِلاً بلا مفاعيل هو والذي يُحاكيه ، ومن يفصِل الابن عن الآب أو الذي ينزِل بمستوى الروح القدس إلى الخليقة ، ليس له الابن ولا الآب بل هو مُلحِداً وأسوأ من غير المُؤمِن بل هو شئ آخر غير صِفة " مسيحي " ، هو بالحق كذلك لأنه كما أنَّ المعمودية المُعطاه في الآب والابن والروح القدس هي معمودية واحِدة ، وكما أنَّ الإيمان في الثَّالوث كما قال بولس الرسول هو إيمان واحِد ، هكذا أيضاً الثَّالوث القدوس حال كونه مُماثِلاً لذاته مُتحِداً بذاته ليس فيه شئ من الذي يخُص المخلوقات ، وهذه هي وحدِة الثَّالوث التي لا تنفصِم ، وهذا هو الإيمان الواحِد " [١٧] .

ومن أساسيات تعليم القديس أثناسيوس عن الثَّالوث القدوس ، هو الاعتراف النيقاوي بوحدانِية الجوهر Ὁμοουσιοστώ Consubstantiality ، والتي تأكدت أوَّلاً من جهة الابن مع الآب (خاصة في ضد الأريوسية وكتاب المجامِع De Synodis وكتاب الإيمان ((العقيدة)) De Decretis والأعمال الأخرى ضد الأريوسيين) ثم من جهة الروح القدس مع الابن ومن ثمَّ مع الآب .

وكان جهاد القديس أثناسيوس الأساسي ضد الأريوسيين ومُقاوِمي الروح القدس Pnevmatomachians في دِفاعه عن وحدانِية الجوهر homoousion . فاللاهوت

الذي يخلِط غير المخلوق بالمخلوق ليس لاهوتاً .. لذلك يرتكِز الدِفاع عن وحدانِية الجوهر (هوموآوسيون) على الاستعلان الكِتابي ، وخصوصاً على إيكونومية المسيح (تدبيره الخلاصي) . والمبدأ الذي يحكم استعلان الله في العهد القديم والتدبير المسيحي هو الفِعْل الثُلاثي الغير مُنقَسِم للثَّالوث القدوس ، ويستعلن التدبير (الإيكونوميا) عمل الله الذي **بدأ بالآب وتأسَّس** بالابن **وكَمُل** في الروح القدس ، وهذا العمل الواحِد يتطلب " الجوهر الواحِد " Ousia (أُوسيا) ووحدانية الجوهر .

والتأكيد على وحدِة العمل والجوهر هو تأكيد في غاية الأهمية إذ يكشِف عن أنَّ اللاهوت لا ينفصِل عن الإيكونوميا (التدبير الخلاصي) ، وليس لاهوت الثَّالوث مُطلقاً جامِداً بلا دِيناميكية ، لكنه لاهوت اختباري في عمل الثَّالوث الخلاصي التدبيري نحونا ، وتدبير تجسُّد الله اللوغوس هو الركيزة الحقيقية لهذا اللاهوت التريادولوچي (الثَّالوثي) ، ومن خلال اتحادنا وشَرِكتنا مع المسيح ، نختبِر الثَّالوث ونعرِفه ، لذلك يُؤكِد القديس أثناسيوس على أنَّ الكنيسة هي المجال الذي فيه يُختبر لاهوت الثَّالوث ويُعرف ، **فالكريستولوچيا** (طبيعِة المسيح) **والسوتيريولوچيا** (لاهوت الخلاص) **والتريادولوچيا** (لاهوت الثَّالوث) لا تُفهم فهماً صحيحاً إلاَّ من خلال **الإكلسيولوچيا** (حياة الكنيسة) .

لذلك نرى القديس أثناسيوس وقد رضع اللاهوت وأحس بكيان الله الواحِد من خلال **العِبادة الليتورچية** ، وأيضاً من خلال التلمذة Discipline للبابا ألكسندروس وللبابا بطرس خاتِم الشُهداء الذي اعترف بأنَّ الذي بطبيعته إله صار بطبيعة البشر ، والسيف مُسلطاً على رقبته .

لم يرَ البابا أثناسيوس أنَّ اللاهوت فلسفة عقلانية ومنطِق يخضع للنِقاش والجِدال والتحليل ، لكنه رأى أنَّ اللاهوت **تقوى وعِشق الثَّالوث** ، لذلك جاهد ضد الأريوسية مُجاهدة النور مع الظُلمة والحياة مع الموت ، حتى سقطت الأريوسية بلاهوتها العقلاني المُلفق ومنهجها الفلسفي ، بعد أن عاش أثناسيوس حياة استشهاد مُتواصِل ، عاش في الحق الذي لا يموت ظلَّ يزرع أشجاراً طوال حياته حتى تستطيع الأجيال القادِمة أن تستظِل تحتها [١٨] .

اقتنى أثناسيوس حياة الفضيلة ، لأنه كان يربُط بين معرِفة الله " الثيولوچيا " وبين

الفضيلة ، لذلك قيل أنَّ من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة ، إنه ذلك الرجل الإلهي الذي عَشَق الإلهيات وعاشها وكلَّمنا ودافع عنها ، مُعتبِراً أنَّ الإلهيات بعيدة عن الأشرار ، لذلك صار هو بحق **معيار الأرثوذُكسية الحي** ، الذي وجد فيه الروح القدس من سيتنفس لحسابه !! [١٩] .

إنَّ المنهج اللاهوتي للبابا أثناسيوس الرَّسولي يرتكِز على علاقته الشخصية بالمسيح ، لذلك لُقِب " فيلوخريستو " ، فلا يستطيع أن يتكلَّم عن الثيولوچيا إلاَّ من أحب المسيح واشتعل بنار العِشق الإلهي ، وفي ربط لاهوتي حياتي يربُط البابا أثناسيوس بين الثيولوچيا والكريستولوچيا ، مُثبِّتاً نظره على المسيح المُخلِّص الذي لم يُعلِّم الفضيلة فقط بل مارسها كمِثال حي وعملي ..

تعلَّق البابا أثناسيوس **بوسائِط النِعمة** [٢٠] التي شكَّلِت فكره اللاهوتي ، فاعتبر الإفخارستيا مأكل فائِق سمائي وطعام روحاني به نتحِد بالإلهيات ، ونتناول من جسد الكلِمة نفسه فيكون لنا في أنفسنا الرب الواحِد ، وهنا نلمس رَبْط القديس أثناسيوس بين **الثيولوچيا والإكلسيولوچي** ، فنحن نتذوق ونعرِف اللاهوت ونتلامس معه في الكنيسة مُستودع النِعمة ، لذلك أخذ القديس على عاتِقه أن لا يُقدِّم المسيح إلاَّ مُتحِداً بكنيسته من الداخِل ، وفي كلمة واحدة كان المسيح هو نفسه الكنيسة .

كان **الإنجيل والتأمُّل** في كلِمة الله من أهم الأساسات التي تأسَّس عليها لاهوت القديس أثناسيوس ، فكان الإنجيل شهوتِه المُفضلة ، مُعتبِراً أنَّ الكُتُب المُقدسة كافية للثيولوچيا والإعلان الإلهي ، وبذلك أمكنه أن يُنقِذ التعليم اللاهوتي من الانحراف وراء الهرطقات أو النظريات الفلسفية واليونانية ، فصارت الأرثوذُكسية الجامِعة مُتجسِدة في شخصه [٢١] .

رَبَطْ القديس بين **الثيولوچيا والذُّكصولوجيا** ، لأنَّ النَّفْس التي لها فِكْر المسيح تتوافق مع هذا الفِكْر كتوافُق القِيثارة مع من يُحرِّك أوتارها ، وهكذا النَّفْس حينما لا تصنع الباطِل تُدعى بحق قِيثارة روحية ، التي ينبغي أن تتمثَّل بالسيرافيم والشاروبيم ولا تكُف عن التَّسبيح المُتواصِل ، لأنَّ كل معرِفة ثيولوچية حقة تمتزِج بالتَّسبيح والتَّمجيد .

تمسَّك البابا أثناسيوس في منهجه اللاهوتي **بالتقليد الكنسي** ، ففهم اللاهوت فهماً كنسياً بعيداً عن التلوث الفلسفي اليوناني الذي أسقط أريوس الهرطوقي وأتباعه .. ، وربط

القديس بين **الثيولوچيا والباترولوچيا** مُعتبِراً أنَّ شَطَطْ الهراطِقة كان في عدم حِفظِهِم للمسيحية التقليدية ، أمَّا إيماننا نحن فمستقيم ونابِع من تعليم الإنجيل وكرازِة الرُّسُل وتقليد الآباء ومشهود له من العهدين القديم والجديد .

رَبَطْ القديس دائِماً بين **الثيولوچيا والتقوى** أي بين المعرِفة اللاهوتية والحياة العملية ، مُعتبِراً أنَّ العقيدة والتقوى أُختان ، فعاش ناسِكاً تقياً ، بعد أن رأى أنَّ من يريد أن يُدرِك فِكْر الناطقين بالإلهيات (Θεολόγων) يجِب عليه أن يُقدِّم حياته ويُعاشِر القديسين [٢٢].

ومن بين الركائِز الأثناسيانية كانت الاهتمامات المُركزة على التريادولوچيا (الثَّالوث) والتي أسماها القديس " اللاهوت الكامِل Perfect Theology " ، وأيضاً أسماها " التقوى الوحيدة " [٢٣] .

والنُّصرة في حرب الإيمان ودحض الهرطقات ليست نِزاع ومنطِق كلام بل إيمان وإنجيل وتقليد وتقوى والتزام عملي وسلوكي ، لذلك اعتبر القديس أنَّ الثَّالوث هو اللاهوت الكامِل وأنه التقوى الوحيدة ، بالتأمُّل في الثيولوچيا لا كدِراسة فِكرية نظرية وبُرهانات ، ولكن كممارسة عملية تقوية للفضيلة ولِشَرِكَة الثَّالوث القدوس .

وعِلْم اللاهوت Θεολογία عند البابا أثناسيوس مُرتبِط بحياة القداسة فهو يقوم على قداسِة السيرة مع الالهام والاعلان من الله ، ونقاوِة النَّفْس تُؤهِلها لتتأمَّل في الإلهيات لأنَّ أنقياء القلب يُعاينونه ..

وأثناسيوس قَبَلْ أن يكون اللاهوتي البارِع بطل مجمع نيقية وبطريرك الأسكندرية ، هو إنسان يحيا " الثيولوچيا " الحياة الإلهية ، هذه هي شهوتِه الأولى فربط بين **الأسقيطولوچيا والثيولوچيا** ، أي النُّسك باللاهوت [٢٤] .

أكَّد القديس على أولوية الإيمان على العقل ، فتسليم المعرِفة الثيولوچية لا يمكن أن يكون بالبراهين الكلامية بل بالإيمان وأفكار التقوى والوقار ، لذلك لم يترك لنا مُؤلِفات ذات طابِع بُنائي أو تثقيفي لأنَّ حياته كلها كانت جهاد ودِفاع ، وبالرغم من خِصبه الفكري وكثافته اللاهوتية ، إلاَّ أنَّ أُسلُوبه سهل واقعي تلقائي بسيط ، يشرح الحق فقط مُكرراً ممُؤكِداً ، ويُصحِّح أفكار السابقين له ، فكان لاهوته ثابِت الأصول والاتجاه من البِداية إلى

النهاية [٢٥] .

ولم يكن لاهوت الثَّالوث الكامِل عنده نتيجة نظرة عقلانية من جانِب الإنسان بل هو عطية الله ، ونِعمة من الله ، فمعرفِة الثَّالوث قائِمة على **نِعمةِ الثَّالوث** ، وكثيراً ما يتحدَّث البابا أثناسيوس عن اللاهوتيين بأنهم " اللاهوتيون القديسون " الذينَ علَّمهم الله نفسه اللاهوت الكامِل ، وسجَّله بأقلامهم في الكِتاب المُقدس ، ويتحدَّث أيضاً عن المُعلِّمين المُلهمين من الله ، ويرى أنَّ الذينَ يقرأون الإنجيل قراءة صحيحة تعبُدية يفهمونه فهماً صادِقاً ويشهدون **بلاهوت المسيح** .

وعلى يد اللاهوتيين الذينَ علَّمهم الله ، وعلى يدي الآباء المُعلِّمين والمُفسرين الذينَ ألهمهم الله تعلَّمنا نحن اللاهوت ، هكذا يرى القديس أثناسيوس الرَّسولي .

ففي كِتابه " ضد الأُمم " [٢٦] يذكُر القديس بولس الرَّسول كواحِد من هؤلاء اللاهوتيين مُشيراً إلى مقولته الرَّسولية في (رو ١ : ٢) أنَّ أمور الله الغير منظورة تُرى بالمخلوقات من خلال تأمُّل العقل منذ تأسيس العالم ، وهذا يُوضِح أنَّ البابا أثناسيوس يقبل مفهوم " لاهوت الطبيعة Theology of Nature " .

ويقول أنَّ الحقيقة الأولى التي يُعلِّمها هؤلاء اللاهوتيون هي أنَّ الله هو الخالِق وحافِظ كل الأشياء [٢٧] ، ويتأكد هذا التعليم في مقدمة إنجيل القديس يوحنا اللاهوتي " كل شيء به كان وبغيرهِ لم يكن شيء مِمَّا كان " [٢٨] .

فهؤلاء اللاهوتيون يُعلِّموننا إذن أنَّ لوغُوس الله الذي خلق كل الأشياء هو في نفس الوقت حافِظها ... وتعليم التدبير والعِناية أو نِعمة العِناية الإلهية هو تعليم مُتلازِم تماماً مع نِعمة الخلق الأولى .

ثم – أنَّ اللاهوتيين يتحدَّثون عن ظهور الله الكلِمة اللوغُوس مُتجسِداً الذي أباد الموت والفساد ، لذلك صار اللاهوتيون هم **لاهوتيو المُخلِّص** ، الله اللوغُوس الذي يُؤكِد لاهوته وناسوته ، ومن ثمَّ فإنَّ وحدِة أو اتحاد الله بالإنسان تتحقق وتُكتمل فيه إلى الأبد ، ومن الواضِح أنَّ اللاهوتي في رأي البابا أثناسيوس هو الذي يُعلِن (يكشِف عن) لوغُوس الله ، لأنَّ هذا اللوغُوس قد استُعلِن أولاً له ، واستعلان اللوغُوس هو **نِعمة من اللوغُوس** .

وللقديس أثناسيوس الرَّسولي مفهومه ذو الثَّلاثة أبعاد ، فهو يختص :٠

بالخلق Creation

والتدبير Providence

والخلق الجديد Renew creation

وبمعنى آخر ، يستوعِب تاريخ الخلاص كله منذ بِداياته عند تأسيس العالم وحتى نهايته في قيامِة المسيح وإبادِة الموت والفساد ، أي تأليه الطبيعة ، وهنا مكمن مجد وفخر اللاهوت .

واللاهوتي الحقيقي هو الذي يتيقن ويُستعلن في وجوده تلك الأسرار العظيمة الثَّلاثة لعمل الله والاستعلان في آنٍ واحِد ، أعني :

الخلق ، وتدبير الخلق ، وتجديد الخلق أي الكمال

وليس الكِتاب المُقدس غاية لاهوتية !! بل هو فقط وسيلة ، أمَّا الغاية فهي الإنسان ، الشخص Person ، الذي فيه تمَّم الله كل مقاصِده جاعِلاً إياه اللاهوتي في الأيقونة والشَبَه بحسب الله ذاته .

والقديس أثناسيوس يجِد الأيقونة في الأنبياء والرُّسُل والقديسين في الكِتاب المُقدس .

أخيراً – يُؤكِد القديس على **الطهارة** Purity كسابِقة وضرورة للأُهوت ، ففي كتاب " تجسُّد الكلِمة " يقول : " من أجل تفتيش الكِتاب المُقدس والمعرِفة الحقيقية له نحتاج إلى حياة مُكرَّسة ونفس طاهِرة لأنه بدون فِكْر نقي طاهِر ، وبدون حياة نمتثِل فيها بالقديسين لا يستطيع الإنسان أن يُدرِك ويستوعِب كلام اللاهوتيين ، لأنه إن أراد الإنسان أن يرى نور الشمس ، يمسح عينيهِ ويُنقيهِما مُطهِّراً نفسه ، حتى تقدِر العين المُبصِرة أن ترى نور الشمس ، أو كما لو كان الإنسان يريد أن يرى مدينة أو بلدة يأتي بنفسه إليها ليراها ، هكذا أيضاً الذي يشتاق أن يُدرِك فِكْر اللاهوتيين عليه أن يبدأ يغسِل ويُطهِّر نفسه بسلوكه في حياته ، وأن يقترِب من القديسين أنفسهم بالامتثال بأعمالِهِم ، والاشتراك في سيرِة حياتِهِم ليفهم ما استُعلِن لهم من الله ، وإذ يرتبِط ارتباطاً صميمياً بهم ينجو من هلاك الخُطاة ونارهم في يوم الدينونة " .

وجاءت هذه المقولة في أُولى أعمال البابا أثناسيوس لتكشِف عن سِر حياته وعَظَمَته ، وإذا أردنا الايجاز فإنَّ القديس يقول إن الإنسان بحاجة إلى تطهير نفسه في حياته ليكون مُستحِقاً للأَّهوت .

وإذا نظرنا إلى الأمر من جهة الله ، **فاللاهوت نِعمة الثَّالوث** ، ومن جهة الإنسان ، **فاللاهوت تلمذة غالية ونفيسة** .

واللاهوت لن يُعلن لنا بإيضاحات كلامية بل **بالإيمان** ، ولن يُعلن لنا بالعقل إنما **بروح التقوى وحاسة الوقار** ...

فالإيمان بالله يسبِق المسير نحو الثيولوچيا ، لأننا في البِداية نُؤمِن وبعد ذلك نعرِف وأخيراً نتكلَّم ونشهد ...

إنَّ اللاهوت لا يقوم على فهم شخصي

ولا على مشيئة شخصية

بل هو تعليم إنجيلي وإعلان كِتابي

وتسليم رسولي وتقليد كنسي

يوصِّلنا إلى معرِفة لاهوتية صحيحة

هي الأمانة والوديعة

هي قانون الإيمان النيقاوي

ولنُصلِّي جميعاً

بالحقيقة نُؤمِن بإله واحِد .....

مراجِع الفصل

1) Cont., Gen., 1.
2) CAR 1, P.G. 26, 49 A.
3) SER 1, P.G. 26, 596 C.
4) Ibid. 605 (CD).
5) Harnak, History of Dogma of The Spirit & of Trinity. P, 199.
6) Athanas, ad, Serap, 1, 30.
7) Ch. 28.

8) Harnack, Op, Cit, p. 284.

9) Ibid. P. 250.

10)Athanas, Incar, 19.

11)CAR 1, 18.

12)CAR 1, 14.

13)Athanas., C, Ar, IV, 29.

14)F. A. Staudenmeier, cited by Florovsky, Op, Cit, P. 60.

15)Athanas. Contra Arian., 1: 9.

16)Athanas. To Serapion, 11. 5.

17)Ser 1, 30.

18)P.G. 26, 577.

19)Bouyer, L'incarnation et l´Eglise – Corps du Christ dans la Theologie de St. Ath., 1943, P. 22.

20)Quasten, Patrology, vol. III, P. 66.

21)N.P.N.F. 172 & 224.

22)P.G. 26, 656.

23)SER 1, 29.

24)N.P.N.F. 103.

25)P.G. 26, 577 & Quasten, Op. Cit. P. 66.

26)Contra Gen., P.G. 26, 698 C..

27)Ibid. 84 AB.

28)Ibid. 84 CD.

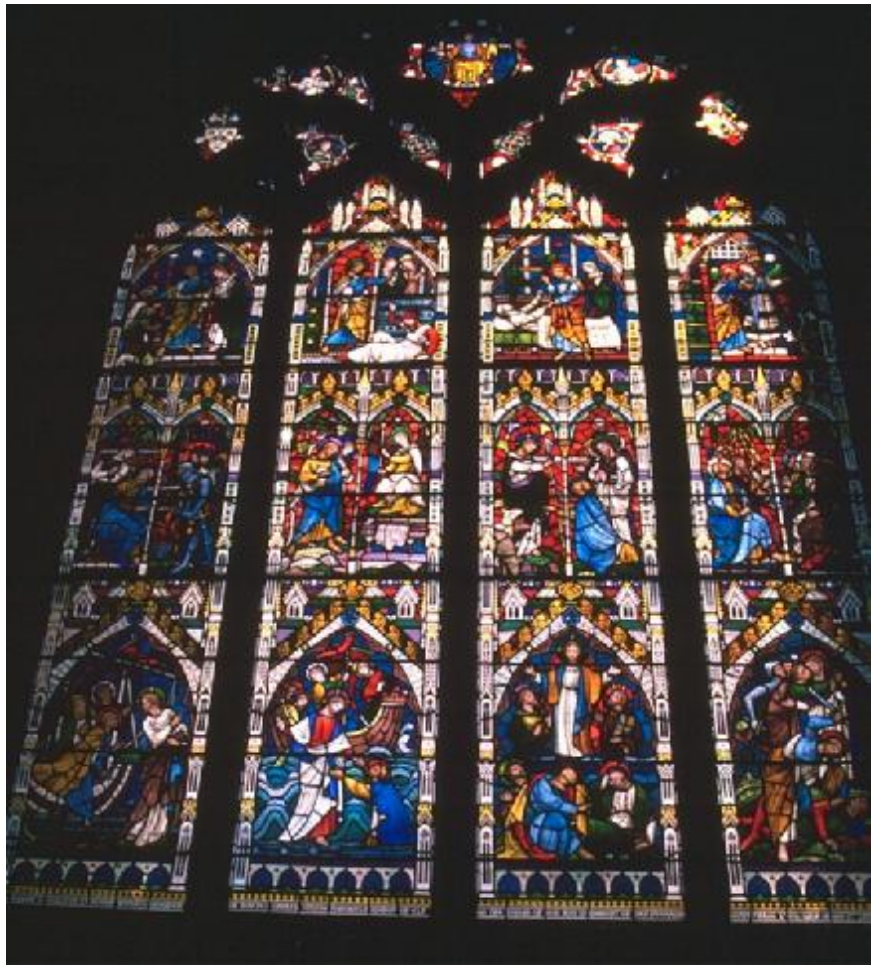

الفصل السَّابِع

القديس ديديموس الضَّرير

(٣١٣ – ٣٩٨م)

القديس ديديموس الضَّرير

ثم نأتي إلى القديس ديديموس الضَّرير ، الذي فقد بصره في الرَّابِعة من عُمره ، فاخترع الحروف البارِزة قبل برايل بقرون طويلة .. ويذكُر التاريخ أنه حَفَظ الكِتاب المُقدس والتعاليم الكنسية عن ظهر قلب ، ونَبَغْ في عُلوم كثيرة ، فتسلَّم مسئولِية إدارِة مدرسِة الأسكندرية اللاهوتية ، باعتباره أحد عُلمائها الأفذاذ وأشهر لاهوتيها [١] ، وقد اكتُشِف حديثاً قدراً كبير من أعماله المفقودة في رِمال برية مصر .

تتلمذ على يديهِ كثيرون منهم إغريغوريوس النزينزي وچيروم وروفينوس وبلاديوس، فكان لفكره اللاهوتي في الغرب والشرق أثراً كبيراً ، بعد أن حاز اعجاب العالم شرقاً وغرباً .. وقد افتخر چيروم بأنه تلميذ ديديموس ، وأنه اتخذهُ استاذاً ومُعلِّماً [٢] ، أمَّا روفينوس فدعاه " نبياً " ، " والرجل الرَّسولي " [٣] ، لذلك جعلهُ البابا أثناسيوس مديراً لمدرسِة الأسكندرية في عهد حِبريته .

اجتذب مُعاصريه لا بِعلمه وإنما بنُسكه ، وزارهُ العظيم أنطونيوس الكبير عدّة مرَّات ، والقديس بلاديوس أربع مرَّات [٤] ، لذلك ذاع صيته حتى أنَّ القديس العظيم الأنبا أنطونيوس الكبير بحث عنه حين نزل إلى الأسكندرية ، ولمَّا قابله امتدحه بقوله : " لا يُحزِنك فُقدان بصرك ، إذ نُزِعت منك أعيُن جسدية كالتي يمتلِكها الفِئران والذُّباب ، بل حري بك أن تبتهِج لأنَّ لك أعيُناً كالملائِكة ، ترى بها الثيولوچيا (اللاهوت) نفسه وتُدرِك نوره الأبدي اللامخلوق " .

لقد كانت صداقِة القديس ديديموس للأنبا أنطونيوس تعني أُلفة العِلْم مع النُّسك .. فكان في هذا ربط الثيولوچيا بالنُّسك ، إذ لم يكُن ديديموس مُعلِّماً بل كان أوَّلاً ناسِكاً ، يحيا عِلمه اللاهوتي قبل أن يُعلِّمه ..

وبالرغم من توغله في مشاكِل ومسائِل لاهوتية عويصة إلاَّ أنَّ حياته كانت ممسوحة بالمِسحة النُّسكية التي عاشها وتشرَّبها من العظيم الأنبا أنطونيوس .

ويقول سُقراط المُؤرِخ : كان ديديموس عند الناس حِصناً متيناً وسَنَداً قوياً للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسِة المدرسة اللاهوتية ، ويُحسب خِصماً عنيداً كسر شوكِة أتباع أريوس وأذلَّهُم في مُناظراته معهم .

وقد وضع ديديموس عِلمه اللاهوتي المُؤسس على حياة نُسكية مُستنيرة بمعرفة الله ، في خدمة قضية الخلاص والإيمان ، مُتتلمِذاً على منهج البابا أثناسيوس الذي كان لاهوته كرازياً اختبارياً يدور حول تدبير خلاص الله للعالم .

ولدراسِة فِكر ديديموس السكندري أهمية خاصة كعلامة على طريق تجديد المدرسة اللاهوتية والعِلْم اللاهوتي السكندري في عصر القديس أثناسيوس الرَّسولي .

تناول العلاَّمة ديديموس الثيولوچيا في كِتاباته [٥] : " الثَّالوث ، الروح القدس ، وضد الأريوسيين ، وضد أريوس وسابلليوس ، وضد المانويين " ، وكلها أعمال قوية وفخمة حتى أنه اعتُبِر أعظم المُعلِّمين Meus doctus magister بحسب تعبير إيرينموس چيروم .

وقد اتبع ديديموس إلهامات أوريجانوس العلاَّمة السكندري ، وقد ارتبط به جداً حتى أنَّ المجمع المسكوني (٥٥٣م وهو مجمع فاتيكاني) الذي أدان أوريجانوس أدان ديديموس أيضاً !!!

وقد استخدِم ديديموس بشكل كبير الألفاظ " لاهوتي ولاهوت ويلهوت " مُعتبِراً أنَّ اللاهوتيين هم عادة كُتَّاب العهدين القديم والجديد ، وخاصة كُتَّاب العهد الجديد مسوقين بالروح القدس ..

فديديموس يُسمِّي هؤلاء لاهوتيين : كُتَّاب المزامير ، وبطرس ، ويعقوب وخصوصاً تلميذ المحبة يوحنا الذي أعلن اللوغُوس ووحدانِية جوهره مع الأُقنومين الآخرين في الثَّالوث القدوس .. ، وينعت يوحنا الحبيب بأنه العظيم وسط اللاهوتيين (Ò πολύσ έν θεολόγοισ) .

ومن ثمَّ يتبع ديديموس نهج القديس أثناسيوس في اعتبار كُتَّاب العهدين لاهوتيين .. والثيولوچيا عنده مُؤسسة على الابن المُتجسِد ، الله اللوغُوس (كلِمة الله) ، فاللوغُوس المُتجسِد ، في استعلان نفسه ، يستعلِن الثيولوچيا التي سلَّمها لتلاميذه الرُّسُل .

يقول القديس ديديموس " إنَّ يوحنا اللاهوتي استلم موهِبة اللاهوت من المُخلِّص الذي بلا خطية والذي هو اشتياقنا ، الذي ملأت رحمتِه الأرض مُعلِّماً نوع الإيمان الذي ينبغي أن نُؤمِن به مُعطِياً عقيدة عامة للجميع :

في البدء كان اللوغُوس (الكلِمة)

أي أنه بلا بدء وغير مخلوق Unoriginate " [٦] .

واللاهوت في مفهوم القديس ديديموس ليس مجرد التعليم عن الله ، كما يقول في تفسيره للمزامير :

" لاهوت الله هو قُوَّته ومجده وعمله بالحق الذي يُثير العجب " [٧] .

وهذا اللاهوت يُشتق من اللوغُوس المُتجسِد Incarnate Logos ، لكنه يأخذ نقطة انطلاقه الأولى تماماً من الآب لأنَّ الآب هو الواحِد الذي تصدُر عنه أسمى وأعظم كلِمات الثيولوچيا وهو ذاته يستعلن الابن حين يقول **" هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرت "** ، وفي استعلانه لابنه ، يُؤسِس الآب الثيولوچيا على صوته أو نُطقه الذاتي His own voice لا على اللحم (الجسد) والدم [٨] .

ربط القديس ديديموس بين **الثيولوچيا والكِتاب المُقدس** ، فاقتنع بأنَّ العهد القديم يحوي إشارات ونُبوات عن المسيح [٩] ، وأنَّ العهد الجديد يشتمِل على اللاهوت .. وقيلَ أنَّ العلاَّمة ديديموس كان يحفظ عن ظهر قلب جميع أسفار العهدين القديم والجديد ، ولم يكن يقوم بتسميع هذه الأسفار فحسب ، بل كان يُقارِن بينها ويُعلِّق عليها بدقة عِلمية عجيبة ، ونجده في تفسيراته يركِز على العقيدة ..

عاش في شَرِكَة الثَّالوث القدوس ، لذلك عندما يتكلَّم عن الثيولوچيا التريادولوچية يتكلَّم عن عَظَمَةِ وشَرِكَة الثَّالوث ، وإذا تكلَّم عن الروح القدس تكلَّم عن عمله ودوره في خلاصنا ، وإذا تكلَّم عن المعمودية أظهر بركاتها ومفاعيلها ودورها في تجديدنا .. فربط الثيولوچيا بالحياة ..

وعن الثيولوچيا التريادولوچية ، يُوجِز القديس لاهوت الابن في لاهوت الثَّالوث ، وهذا مبدأ تريادولوچي ثيولوچي يشترِك فيه ديديموس وأوريجانوس والقديس أثناسيوس أيضاً .

فكُتَّاب الكِتاب المُقدس المُقدسون ينطِقون بالإلهيات (Theologize) وبحسب تعبير ديديموس " هم يُلهوِتون الأقانيم الثَّلاثة للثَّالوث القدوس الآب والابن والروح القدس " [١٠] .

كان ديديموس يكرِز ويُعلِّم عن الثَّالوث وعن وحدِة جوهر الأقانيم الثَّلاثة وكان ديديموس أكثر تحديداً في ألفاظه الثيولوچية التي استخدِمها في حديثه عن التريادولوچيا : **" جوهر واحِد وأقانيم ثلاثة "** .

وللربط بين الجانِب الروحي والنُّسكي والثيولوچيا التريادولوچية يُلخِص هذه العقيدة في قوله :

" كل من يتصِل بالروح القدس يتقابل في نفس اللحظة مع الآب والابن وكل من يشترِك في مجد الآب ، فإنَّ هذا المجد في الواقِع ممنوح له من الابن بالروح القدس " .

ربط العلاَّمة ديديموس بين الثيولوچيا التريادولوچية والإبنقماتولوچي (اللاهوت الثَّالوثي بالتعليم الخاص بالروح القدس) ، فالتعليم اللاهوتي المُختص بالروح القدس عِنده ذو صِلة وثيقة جداً بالتعليم المُختص بالابن ، فالهرطقة المُختصة بالروح منشأها الهرطقة المُختصة بالابن ، لذلك خصَّص ديديموس السكندري الجزء الثَّاني من كِتابه : " عن الثَّالوث " للحديث عن الروح القدس ، وألَّف كِتاباً خاصاً عن الروح القدس ، حتى أنه دُعِيَ " لاهوتي الروح القدس " ..

علَّم أنَّ الأقانيم الثَّلاثة الآب والابن والروح القدس لهم نفس الحركة والقُدرة والكرامة، وقد استعلن هذا بوجه خاص في عِماد الرب ، الذي كشف أنَّ الثَّالوث القدوس إله واحِد له طبيعة واحِدة ، وفي الحقيقة فإنَّ اللاهوت يكمُل في وحدِة الثَّالوث ، وهذا المبدأ اللاهوتي هو أهم ركيزة في الثيولوچيا (Τό καίριον τήσ θεολογίασ) .

ويجب أن نُلاحِظ أنَّ تريادولوچية ديديموس وطيدة الصِلة بالقديس أثناسيوس بمعنى آخر ، فهو يفكر في الثَّالوث وِفقاً للمفهومين التاليين :

وحدِة الجوهر – الهوموآوسيوس	Òμοούσιοσ
ووحدِة العمل - الأنرچيا	Èνέργεια

وحيث أنَّ الأقانيم الثَّلاثة واحِد في الجوهر وعملهُم واحِد ، لذلك بالتبعية نقول أنَّ اللاهوت " الثيولوچيا " واحِد لا ينقسِم .

كان ديديموس أوّل لاهوتي يستخدِم تعبير **" جوهر واحِد في ثلاثة أقانيم "** ، ويسوق في هذا العديد من الاثباتات الكِتابية ليُدعِم تعليمه إنجيلياً ، وهو يعتبِر العهدين **جبلين عظيمين** يزخران بالأشجار المُثمِرة ، والثِمار هي الكلمات التي تشهد بالثيولوچيا الثَّالوثية والتجسُّد الإلهي [١١] .

وفي لاهوت القديس ديديموس ، ترتبِط الثيولوچيا الثَّالوثية بالأكلسيولوچي أي بالكنيسة مُعتبِراً أنها جرن الثَّالوث ومعمل الخلاص أُمِّنا عروس المسيح ، وهو بهذا يُقرِّر ركيزة لاهوتية مُؤداها أنَّ عِشرتنا مع اللاهوت وشَرِكَتنا مع الثَّالوث لا تتم إلاَّ من خلال الكنيسة التي تتدفق منها كل النِعَم المُثمِرة بواسِطة الروح القدس ، الذي يسكُب علينا الفردوس بأيدي سخية مِفضالة .

ونظرة إلى نهج (ميثودولوچية) ديديموس في اللاهوت ، نجده يتبع نهج أوريجانوس ، فالثيولوچيا ليست موضوع دراسة خارجية بل اللاهوت هو رؤية شخصية داخلية inner personal vision ، ويستعين ديديموس بقول الله في إشعياء " **رُؤوس شُهوركم وأعيادكم بَغَضَتْهَا نفسي** " (إش ١ : ١٤) لكي يُدلِّل على هذه النقطة ، ويُؤكِد أنَّ اللاهوت لا يمكن أن يُعرف بدون الاشتراك الدَّاخلي العميق ، وأنَّ الدِيانة ليست كافية (أو مُكتمِلة) إن كانت تفتقِد المعرِفة الحقيقية لله .

وبعبارة أخرى فإنَّ اللاهوت ليس نِتاج " الدين " بل هو مُتصِل بأكمل معرِفة عن الله (ἡ τε λεωτάτη θεογνωσία) [١٢] التي استُعلِنت بالله نفسه ، والتي يستوعِبها الإنسان كله ، وهذا الاستيعاب يفترِض مُسبقاً كضرورة له أمر الطهارة (كاثارسيس Κάθαρσιϛ) وهو ما ركِز عليه أوريجانوس أيضاً ، ويصِفها في عبارة له وردت في تفسير المزامير قائِلاً :

" يحتاج الإنسان إلى أن يكون طاهِر القلب
(نقي القلب) ليقدِر أن يُمجِّد الله بالترانيم
واللاهوتيات ، فمعرِفة الله توجد فقط
حيث الشبع (الرِّضا) والسَّلام " [١٣] .

أخيراً يُؤكِد القديس ديديموس الضَّرير على الصِفة الذَّكصولوجية (التَّسابيح والتَّماجيد) للأَّهوت :

" إنَّ القُّوات السماوية تُسبِّح وتتأمل لاهوتياً " [١٤] .

ويرى جموع المفديين الوارثين المُختارين تجتمِع معاً مثل مياه أنهُر كثيرة لتُسبِّح بلغة

لاهوتية ملكوت الرب الإله [١٥] .

والكنيسة في السماء وعلى الأرض تتأمَّل لاهوتياً بتسبيح الله الواحِد المُثَّلث الأقانيم Triune God) بعكس مجامِع اليهود التي تُسبِّح الله الآب فقط !! [١٦] .

والثيولوچيا هي **تسبِحة الله** وتتطلب وتكمُل في **الممارسة العملية** Practical Operation [١٧] .

وبهذا فإنَّ الثيولوچيا ليست عملاً مكشوفاً ظاهِراً ، بل تكمُن في عُمق أعماق أسرار شخص الكيان الإنساني حيث تتبُع الرحمة ويفيض الحق [١٨] .

وتكلَّم القديس ديديموس الضَّرير المُبصِر عن الأبرار اللاهوتيين أنَّ حالتهم نورانية ، وعن الإنسان الداخلي فيقول أنَّ وجهه نوراني ، وعن اللاهوت الأرثوذُكسي أنه إيمان مُتألِق ، وعن الروح الذي يعيش في النور ، وعن تعليم الثَّالوث القدوس النوراني ، وعن محبة الله النورانية .

ونجد في التعليم اللاهوتي للقديس ديديموس السكندري ، مفاهيم آبائية عن اشراق الرب على الناس ، وعن الأبرار اللاهوتيين الذينَ يُضيئون كالشمس ، وعن أورشليم المُتألِقة التي ليس فيها ظِل .

ويُشبِّه القديس عمل الرب في التعليم بضوء المصباح ، ويُعبِّر عن المعرِفة الثيولوچية بعبارات الاشراق والنور ، وتارة أخرى يُعبِّر عن المعرِفة بأنها طهارة (كاثارسيس) .

اقترنت الثيولوچيا أيضاً في مفهومه اللاهوتي بالفرح والنور ، وفي تفسيراته للثيولوچيا نجد صدى التهليل الروحاني والموسيقي والتراتيل والمدائِح والأعياد ..

لأنَّ **الثيولوچيا تهِب الفرح** الذي يجعلنا مُتشبهين بصورِة ابن الله ، وتحِث على الترتيل والتَّرنُم الذُّكصولوچي لاسم الرب ، الذي اعتبر القديس ديديموس أنه كِنْز الروح والخصب الملوكي .

ولمزيد من إيضاح الرابِطة التي تربُط **الثيولوچيا بالذُّكصولوجيا** ، يرى القديس ديديموس أنَّ الذي ينطِق بالإلهيات (يلهوت) لا يصِف شيئاً بل يُعبِّر عن مشاعِر دهشته وتعجُّبه التي تعتمِل في عُمق كيانه ، وهذا التعبير في الحقيقة هو الذُّكصولوجية ، التسبيح.

ويقول القديس ديديموس في تفسيره المزمور ٩١ :

" حين تُسبِّح الله فأنتَ تنطِق بالإلهيات

أي تتأمَّل الأمور العجيبة التي صنعها الله

فيك لأنه أقامك وقوَّاك حتى تنجو من

الموت وتحيا لمجده وتُعلِن أعماله " [١٩] .

ونخلُص من ذلك كله أنَّ ديديموس يُوجِز لاهوت السكندريين ، واللاهوت ليس مُتمركِزاً حول الإنسان (أنثروبوسنتريك Anthropocentric) وليس مُحصِلة للقياسات المنطقية العقلانية البشرية ، بل هو **مُتمركِز حول الله** God – Centred لأنه قائِم في سِر الشَرِكَة ، شَرِكَة الإلهي والإنساني في شخص يسوع المسيح ، وهو اختبار شخصي داخلي عميق ومُشتهى فِكر الإنسان في حياته لبلُوغ الحق ، حق الله اللوغُوس ، وحدث التجسُّد الإلهي ، تجسُّد الكلِمة اللوغُوس ، هو مركز وانطلاق هذا اللاهوت ، أو كما يُعبِّر عنه أوريجانوس ، هو ذلك الحدث – التجسُّد الإلهي – الذي يهِبنا أن نتقدَّم لنتأمَّل وننطِق بالإلهيات (نلهوت) ، أمَّا ديديموس فيصيغها في عبارة أقوى :

" من المُخلِّص الذي بلا خطية مُشتهى قلوبنا ننال هِبة النُطق بالإلهيات " ، وقد صارت مقولة الآباء اللاهوتيين السكندريين هذه أساس وركيزة اللاهوت الأرثوذُكسي الآبائي ..

مراجِع الفصل

1) Rufinus. H. E 2 : 7.
2) Epsit. 50 : 4 ; 84 : 2 ; Comun. In Epis. Ad Ephes. : Prol.
1) Apol. In Hier 2 : 25.
2) Palladius : Laus. Hist., ch. 4.
3) Didymus, De Trin. 1 : 18 etc., cited by Newman, 436.
4) P.G. 39, 825 A.

5) P.G. 39, 1129 A.

6) P.G. 39, 1245 C; CF. also P.G. 39, 1117 CD & 39, 385 CD.

7) Quasten: Patrology, vol. 3, P. 91.

8) P.G. 39, 433 C, P.G. 39, 393 B, 401 B.

9) On Zacchariah, 5, 22 – 24, 185, 15 – 19.

10)P.G. 39, 389 BC, CF. Isaiah 1 : 14 FF.

11)P.G. 39, 1449 B.

12)P.G. 39, 1268 B.

13)Ibid. 1268 B.

14)Ibid. 380 B, 1616 A.

15)Ibid. 1612 A.

16)Ibid. 1500 D.

17)Ibid. 1564 CD.

الفصل الثَّامِنْ

يوسابيوس القيصري *

الكَاتِب والمُؤرِخ الكنسي

(٢٦٣ – ٣٣٩م)

يوسابيوس القيصري

من الأسكندرية نتجه إلى سوريا وفلسطين لنبحث عن مفاهيم لاهوتية أخرى ، وأوّل من نتقابل معه هو أبو التاريخ الكنسي يوسابيوس القيصري ، الذي استخدِم لفظِة " ثيولوچيا " استخداماً واسِعاً في كِتاباته ، ومن الواضِح أنه يعرِف ويستوعِب آراء القديس إكليمنضُس الأسكندري والعلاَّمة أوريجانوس ، وفي كِتابه " أوليات وبِدايات إنجيلية Preparatio Evanglica " يُشير إليهما بأنهما اللاهوتيان العجيبان ، ولا عجب في ذلك، بعد أن صار العلاَّمة أوريجانوس مُؤسِس المدرسة اللاهوتية في قيصرية ، حيث تعلَّم

* (نِصْف أريوسي) ، لم يكن أريوسياً بالمعنى اللاهوتي المعروف ، لكنه أعطى لنفسه حرية الحركة بالفِكر والكلِمة وسط الأريوسيين ممالأة لهم ، ولم يخلَ فِكرهُ وعملهُ من الأريوسية – فقط سنعرِض لفِكره ونستفيد بما يتناسب مع تعليم كنيستنا القبطية الإنجيلي الرَّسولي الآبائي العقيدي الليتورچي والإيماني .

يوسابيوس القيصري .

عرف يوسابيوس التمييز السكندري بين **الثيولوچيا الحقَّة** والأخرى المُزيفة ، لذلك نجده قد اتبع هذا التمييز في العديد من المُناسبات ، وعلى وجه العموم ، يُميز يوسابيوس ثلاثة أنواع للاَّهوت :٠

١. لاهوت الفلسفة .

٢. لاهوت اليهود (العِبراني) .

٣. اللاهوت الكنسي .

١. النوع الأوَّل : لاهوت الفلسفة :

يحتل مكاناً بارِزاً في ثيولوچيا يوسابيوس ومنهجيته ، وهو يراه في ثلاثة أجزاء :٠

" الأُسطوري " و" الفيزيقي – الطبيعي " و" السياسي " [١] (Μυθικόν , Φυσικόν , Πολιτικόν) .

وتنتمي الفلسفة الأُسطورية لشُعراء الإغريق والكُتَّاب التراچيديين ، وتنتمي الفلسفة الطبيعية للفلاسِفة الإغريق ، أمَّا الفلسفة السياسية فهي التي اعتُبِرت بمثابِة قانون في كل مدينة إغريقية .

وهذا التصنيف الثُّلاثي للاَّهوت الإغريقي يظهر عند ڤارو Varro ، الذي يُعتقد ، بحسب شهادِة أُغسطينوس ، أنه قد استنبطها من بانيتيوس [٢] ويعرِف ترتليان أيضاً هذا التصنيف ويذكره في كِتابه ضد الأُمم Ad Nationes [٣] .

والغرض من هذا العرض التحليلي للاهوت الإغريق الذي يُقدمه يوسابيوس هو غرض تمهيدي تعليمي Propadeutic (تعليم أوَّلي) فهو يريد أن يعرِض نقائِص ومُعضِلات التقليد الثيولوچي الإغريقي ، قبل أن يُمهِّد لطُلابه وقارئيه " اللاهوت الكنسي " الذي يُعتبر بحسب قوله " قد سُلِّمَ لنا من خلال ظهور واستعلان مُخلِّصنا وإلهنا وربنا يسوع المسيح [٤] " .

وينتقِد يوسابيوس بشدَّة هذا اللاهوت المُزيف المليء بالمذمات والشرور ، فهناك حديث

عن الآلهة التي تتزوج وتُنجِب أطفالاً ! وآلهة تسكر ويمكن خِداعها ، وأخرى تغضب !! مع إضفاء صِفات بشرية بطريقة ساذِجة ، مما يجعلها تحُط من الثيولوچيا وقُدرِة الإلهيات.

ويقول يوسابيوس إنَّ هذه الثيولوچيا هي الحاد مخزي وجهالة أكثر منه لاهوت ، ويُكمِل قائِلاً أنه ينبغي أن نعتبِرها جنوناً (Φρενοβλάβεια) .

ويرى يوسابيوس أنَّ اللاهوتيات الإغريقية والبربرية مصدرها الشياطين ، الذي أباد اللاهوت الحقيقي خداعهم وكِذبهم بحضور مُخلِّصنا يسوع المسيح ، الذي ذُبِح واشترانا ..

وكان انتقاد يوسابيوس لهذا اللاهوت لاذِعاً وشديداً ، استخدِم فيه العديد من البراهين لتفنيده ووصفه ، فهو خُرافة واُسطورة (δεισισαιμονία) ، واعتبر يوسابيوس أنَّ ذلك خِداع تعدُّد الآلهة (Πολύθεοσ πλάνη) وأنه نشاط شيطاني وعمل شرير ، مملوء بالخِداع والخطأ .

ولكن نشكر الله لأنه باستعلان تجسُّد الكلِمة اللوغُوس قد تحررَّنا من هذه الثيولوچيا الأُسطورية ، وتبددت عِبادات الأوثان ، التي نُصلِّي لكي يقلعها الله من العالم .

لقد امتلأت العِبادات واللاهوتيات القديمة بالسخافات والخُرافات والحِسيات والمزاجات ، لكنها لم تبحث عن الله والحق الإلهي الذي غاب عنها ، فهي لا تحتوي على أي شئ إلهي يليق بالله ، فهي ليست إلهية (Θεοπρεπήσ) .

وفي يقينية الإيمان يُعلِن يوسابيوس أننا هجرنا هذا اللاهوت والعقلانيات الفِكرية ، مُعتبِراً أنَّ هذا النوع من الثيولوچيات هو " طغيان شيطاني " ، تحرَّرنا منه من خلال السِّر العظيم سِر " **التدبير الإنجيلي** " (الإيكونوميا الإنجيلية) ، وقد جعلنا هذا السِّر والتدبير الإنجيلي نتهكم على الخُرافات ونرفُض الخِداعات الأُسطورية التي لآلهة هذا العالم ، فنصير مُحبين للتقوى الإلهية الحقيقية حيث حلاوِة العِشق الإلهي ومحبة الصَّلاح .

وكانت غاية يوسابيوس من تحليل وعرض أنواع **الثيولوچيا الإغريقية الفلسفية** ، هي ببساطة التمهيد للحق المسيحي والاستعلان المسيحي ، فبالرغم من كونِهِ كاتِب ومُؤرِخ كنسي ، إلاَّ أنه لم يكن مُهتماً بالتاريخ في حد ذاته كتاريخ ، لكن التاريخ في دِراساته كان يمده بفرصة تعليم اللاهوت المسيحي الحقيقي ، فيكشِف عظمِة الإنجيل وسمو روحانية

المسيحية ، موضحاً عملياً كيف يُحرِّرنا التعليم الإنجيلي عن المُخلِّص من تلك الأباطيل والخِداعات غير المقبولة .

٢. النوع الثَّاني : اللاهوت العبراني :

وهو اللاهوت العبراني أو ثيولوچيا اليهود ، وهي بحسب يوسابيوس مُتصِلة بالإيمان بخالِق كل الأشياء The Faith of the Creator ، وهنا لا نرى أية اجتهادات أو مُناظرات بشرية ، فاللاهوت العبراني ليس مُحصِلة التعقُّل والحدس البشري والفِكر الإنساني ، لذا فهو يختلِف عن لاهوت الإغريق والأُمم (الوثنية) لهذا فهو يتميز بالأكثر بالسِمة العقائِدية dogmatic ، لأنه مسوق بالروح القدس .

ويتضح ذلك وبشكل واضِح في تلك الآيات الوارِدة في سِفر التكوين حيث بدأ موسى النبي المُتشِح بالقوة الإلهية (الوحي الإلهي Θεοφορούμενοσ) بِدايات هذا اللاهوت :

" في البدء خلق الله السموات والأرض ثم قال ليكُن نور فكان نور ثم قال الله أيضاً ليكن جَلَدٌ فكان ... " .

وليس اللاهوت العبراني نتيجة محاولات بشرية لاكتشاف واستقصاء أصل الإنسان (الأنثربولوچيا) ولا أصل الكون (الكوزمولوچيا) ، لكنه **استعلان الله** .

فهو لاهوت مركزه الله Theocentric ، بعكس لاهوت الإغريق الذي مركزه الإنسان والكون .

" الله نفسه يستعلِن معرفة العقائِد والحقائِق الإيمانية والدروس الجديرة به ، لا من خلال المُناظرة والتخمينات البشرية لكن باستنارِة (Τή έκφάνσει) الحق ذاته الذي يُنير الفِكر الإنساني " .

واستعلان الله يمتد عبر التاريخ لهذا يتطلب اللاهوت إعلانات وتلامُس ، فإله العبرانيين هو الله الذي " بقُوته الخالِقة " صنُعت كل الأشياء والذي " بحكمه وسُلطانه وتدبيره " يحكم كل الأشياء ويضبُط الكل ، بطريقة تجعل الكون كله باعتباره الصورة الكامِلة للعالم يُعلِن حقيقة وجود الله .

هذا الاستعلان الإلهي الذي امتد في عمق التاريخ صنَّفه يوسابيوس إلى حقبتين

" عبرانية ويهودية " ، فالعبرانيون قبل موسى النبي عرفوا الله حتى دون أن يعرفوا الشريعة الموسوية (Νομοθεσία) ، فمثلاً أخنوخ ونوح عرفا الله ، لكن كان المِثال الأعظم في موسى النبي كليم الله ، الذي كان الله يسكن فيه (Θεοφορούμενοσ) والذي استلم وقَبَل لاهوت الآباء العبرانيين ، فصار موسى رئيس الأنبياء هو اللاهوتي العبراني الأصيل .

ويتبع يوسابيوس في هذا الرأي كلٍ من فيلو والقديس إكليمنضُس الأسكندري ، ويقصِد القديس يوسابيوس بلفظِة " **لاهوتي** " لا الشخص الذي يتحدَّث عن الله أو حول الله ، بل الشخص الذي **يتحدَّث الله به ومن خلاله !!**

وكما تحدَّث يوسابيوس عن اللاهوتيين القُدامى وموسى النبي ، تحدَّث أيضاً عن اللاهوتيين الأنبياء ..

واللاهوت النبوي مثل لاهوت موسى واللاهوت العبراني القديم ، مُتمركِز **حول الله** ، فالأنبياء ليسوا فلاسفة ولا شُعراء ور رُواة أساطير ، بل هم أُناس الله المسوقين بقُوته المُقدسة أي الروح القدس الذي به يستنيرون ويستلِمون النُّبوة (Θεοφορούμενοι) .

ويُعتبر (خر ٣ : ١٤) أساسياً ومركزياً في اللاهوت الموسوي الذي يكشِف عن الاستعلان الإلهي (الثيوفاني) الذي يُميّز اللاهوت العبراني " **فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه** (أنا مَنْ أنا) . **وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم** " I am who I am (هو مَنْ كائِن) (هو الذي كان) He – who – is ، ومَثَل آخر لهذا التصريح النبوي الثيوفاني (الاستعلان الإلهي) نجده في إرميا (٢٣ : ٢٣ – ٢٤) وإرميا كباقي الأنبياء يتحدَّث بلِسان الله :

" أنا الله الذي يقترِب (قريب) يقول الرب ولستُ إلهاً من بعيد (يبقى مُنعزِلاً وبعيداً) ، إذا اختبأ الإنسان في أماكِن مُستتِرة أفما أراه أنا يقول الرب ؟ أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب ؟ " .

ومن ثمَّ فاللاهوت العبراني ينتمي إلى مستوى يختلِف تماماً عن لاهوت الأُمم (الوثنيين) " فلا شئ مُشترك بينهما أبداً " ، ونحن هنا لا نرى ذلك اللاهوت المُتخم

والمُشوش الذي يخلِط الله الواحِد بكيانات العالم المُختلِفة ، لأنَّ كل آلِهة الأُمم شياطين .

هنا نرى التعليم الإلهي (Ἔνθεοσ) الذي تُستعلن فيه الإلهيات في وضوح ووقار وسمو ، فالأنبياء لا يتكلمون بفلسفات ، بل في لغة لاهوتية سماوية لا تحتمِل التأويل والتحليل العقلاني ، وهم لا يستخدِمون قِياسات منطِقية خادِعة ومُتغيرة ، لكن تعليمهم إلهي بسيط وأصيل (Ἀπάνουργοσ) ، مباشِر ومُستقيم ، عميق الصِلة والارتباط بالحياة والسيرة والفضيلة الشخصية التي تُؤهِل لمعرِفة الله [٥] .

أمَّا عن محتواه ، فيتمركز اللاهوت العبراني حول المبدأ الأسمى الفائِق غير المخلوق، الذي يفوق قُوى الادراك البشري والذي منه اشتُقت كل الأشياء وضُبِطت في إحكام ، وهذا المبدأ هو الخير المُطلق الذي لا يُعبَّر عنه ، ويبقى هو هو الذي يُعطي العالم وجوده ويحفظه ، وكما يُعبِّر يوسابيوس في كِتابه Demonstratio :

" إنَّ كلِمات اللاهوتيين العبرانيين والأنبياء تتقدَّم بنا بِداية إلى ما قد تأسَّس من فوق ، ومنهم نتعلَّم أنَّ هناك مبدأ واحِد لكل الأشياء ، بل بالحري هو أسمى من مبدأ ، وكائِن بلا بِداية ، وأعظم من أي دِلالة أو معنى ، غير مُدرك لا يُعبَّر عنه ولا يُحوى ، صالِح ، عِلّة الكل خالِق قادِر وفعَّال ومُقتدر ومُدبر وحافِظ ومُخلِّص ، الله الواحِد الذي لا إله آخر سِواه الذي منه وله كل الأشياء " .

وفي كِتابه " تمهيدات " يُؤكِد يوسابيوس على الركيزتين اللتين يدور حولهما **" اللاهوت العبراني "** الذي يضم التعليم عن الله الخالِق ، والتعليم عن الله العامِل الفائِق في التاريخ الذي يمنح ويحفظ .

إنَّ الثيولوچيا العبرانية تُعلِّم أولاً أنَّ كل الأشياء قد تأسَّست بكلمة الله الخالِقة ثم تستمِر لتعليم أنَّ الكون كله محفوظ بتدبير الله إلى الأبد ، لأنَّ الله ليس خالِقاً فحسب وصانِعاً للكل بل هو أيضاً مُخلِّص وحافِظ ومُدبِر وملك عظيم ، يُدبِر الأرض والسماء بكامِلِها إلى أبد الدُّهور ، ويضبِط كل الأشياء في هذا العالم [٦] .

وفي عرضه للاَّهوت العبراني لا يقف يوسابيوس عند التوحيد monotheism بل علَّم عن الثَّالوث .. مُستشهِداً باللاهوتي والنبي العظيم موسى عندما عبَّر لاهوتياً ولهوِت

تعبيرياً عن ربين حين قال " **فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً ونارا من عند الرب** " (تك ١٩ : ٢٤) .

ويُعلِن داود النبي ومُرنِم إسرائيل الذي كان مَلِكاً للعبرانيين ، نفس التعليم اللاهوتي الثَّالوثي حينما يقول :

" **قال الرب لربي ، اجلس عن يميني** " وليس الجالِس عن يمين العظمة الإلهية إلاَّ الله ، كلِمة الآب خالِق الكل الذي هو كائِن ، ويجدُر بنا أن نتأمله لاهوتياً ، لأنه قال : " **بكلِمة الرب صُنِعَت السموات** " (مز ٣٣ : ٦) [٧] .

ويُضيف يوسابيوس قائِلاً :

" يعتبِر داود اللوغُوس (الكلِمة) مُخلِّص الذينَ يحتاجون أن يشفيهم ، حينما قال " **أرسل كلِمته** (اللوغُوس) **فشفاهم** " (مز ١٠٧ : ٢٠) ... أمَّا سُليمان ابن داود وخليفته على العرش الملكي فيقدِّم نفس التعليم بقول آخر مُتحدِّثاً عن الحكمة ، الذي هو اللوغُوس ، مُعلِناً أنَّ الحكمة تقول " **أنا الحِكمة أسكن الذَّكاء وأجِد معرفة التدابير** " " (أم ٨ : ١٢) [٨] .

ويُعلِن يوسابيوس القيصري عن فِكره اللاهوتي فيقول :

" كرَّم أنبياء الله اللوغُوس بنفس التأمُلات اللاهوتية ، فدعاه واحِد **روح الله** حينما قال " **ويخرُج قضيب من جذع يسَّى وينبُت غُصن من أُصوله ويحل عليه روح الرب روح الحِكمة والفهم روح المشورة والقُوَّة روح المعرِفة** " (إش ١١ : ١ – ٢) ، وآخرون من بين الأنبياء يدعونه (أي اللوغُوس) النور حينما يُخاطِبون الله قائلين " **لأنَّ عندك ينبوع الحياة . بنورك نرى نوراً** " (مز ٣٦ : ٩) " [٩] .

وأخيراً يُحاجِج يوسابيوس مُؤكِداً أنَّ اللاهوتيين العبرانيين لم يحذِفوا في تأمُّلهم اللاهوتي شخص الأُقنوم الثَّالِث في الثَّالوث : " إنَّ أقوال العبرانيين في حديثهم عن الروح القدس في الترتيب الثَّالِث بعد الآب والابن ، يُعلِن (الثيولوچيا التريادولوچيا) الثَّالوث القدوس المُبارك [١٠] " .

وفي تأييده لعرض التريادولوچيا العبرانية ، يقتبِس يوسابيوس أقوال فيلو [١١] ،

وأفلاطون [١٢] ، ونومينيوس [١٣] ، مُحاجِجاً مع إكليمنضُس السكندري بأنَّ كل هؤلاء قد تكلَّموا عن " كيانات أساسية ثلاثة " [١٤] ، كما في اللاهوت العبراني [١٥] .

ومن الواضِح أنَّ يوسابيوس كان يُؤمِن إيماناً راسِخاً بسمو الثيولوچيا العبرانية على الإغريقية ، فيقول :٠

" العقائِد العبرانية تسمو على خِداع الإغريق الشيطاني الذي يُؤمِن بتعدُّد الآلِهة ، وتنقِل لنا فقط الله الواحِد وتُوقِره فقط ، الذي تُسبِّحه وتُمجِّده السموات وكل ما فيها وما وراءها وتُعلِّم كيف نعيش الذُّكصولوجية ونتأمَّل لاهوتياً [١٦] ، على عكس تلك الثيولوچيا الإغريقية ، فالإغريق ليسوا فقط محرومين من اللاهوت الحقيقي ، بل أيضاً من الفلسفة والحِكمة التي تُقدِّم الحلول والمهارات والقُدرات ... ومن ثمَّ نحن نُفضِّل اللاهوت العبراني على الفلسفة الإغريقية البربرية (الهمجية) " [١٧] .

وليس اللاهوت العبراني مجرد مناظرة بل **" عقائِد وتعاليم إلهية "** ، مشهود لها ويُثبِت صحتها وحقها " رِجال أحبَّهم الله " (Θεοφιχείσ άνδρεσ) .

وليس اللاهوت العبراني صِياغة أُسطورية للعقل والفِكر الإنساني بل " التقوى والحق " الذي يتطلب العِشق والرغبة القوية [١٨] .

وقارن يوسابيوس القيصري بين مُسحاء العهد القديم (العبرانيين) من كهنة وملوك وأنبياء وبين السيِّد المسيح نفسه مُوضِحاً أنَّ ما ناله رِجال العهد القديم كان رمزاً فكانوا عاجزين عن أن يُقيموا من أتباعهم مُسحاء ، أمَّا السيِّد المسيح فهو وحده الذي دعى أتباعه " مسيحيين " لأنهم صاروا فيه مُسحاء : ملوكاً وكهنة .

٣. النوع الثَّالِث : اللاهوت الكنسي :

نأتي هنا إلى النوع الثَّالِث من اللاهوت بحسب تصنيف المُؤرِخ يوسابيوس القيصري ، " لاهوت الكنيسة " أو اللاهوت الكنسي الذي يُكمِّل ويُتمِّم اللاهوت العبراني ... واللاهوتيون العبرانيون يرون الحق ويُعانِقونه من بُعد **" مَاتَ هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيدٍ نظروها "** (عب ١١ : ١٣) [١٩] .

أمَّا لاهوتيو الكنيسة فقد أعلنوه كحياة كانت في الآب والابن قد استُعلِنت " كلِمة الحياة

(اللوغُوس) الذي سُمِع وترآى ولُمِس " ، **" الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلِمة الحياة . فإنَّ الحياة أُظهِرت وقد رأينا ونشهد ونُخبِركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرت لنا . الذي رأيناه وسمعناه** ..... " (١يو ١ : ١ – ٧) .

ويُركِز يوسابيوس تركيزاً أساسياً على التجسُّد الإلهي ، تجسَّد الله اللوغُوس الكلِمة كاستعلان للسِّر الذي تحدَّث عنه شعب الله في العهد القديم (إسرائيل القديم) [٢٠] ، فيقول :

" اللوغُوس المُتجسِد هو فقط الذي أعطانا **نِعمِة معرفة الثَّالوث القدوس** بالميلاد السِّرِّي ، لا أحد من الأنبياء ولا حتى موسى وُهِب خدمة هذه النعمة لشعب الله في العهد القديم ، لأنه في ابن الله اللوغُوس فقط أُعلِنت نِعمة الآب للكل ، لأنَّ الناموس بموسى أُعطِيَ أمَّا النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا " [٢١] .

ويتساءل يوسابيوس " كيف تعلَّم الإنجيلي تلك الأمور ؟ " ، ويُجيب قائِلاً : يُؤكِد الإنجيلي نفسه أنه قد شُرِح بالابن الوحيد فقط الذي في حِضن الآب ، فلا موسى ولا أي أحد من الأنبياء لكن ابن الله الوحيد هو الذي خبَّر وشرح ... وليس الله غير المنظور هو الذي شرح بل الابن الوحيد الذي صار منظوراً وأعطى تفسيراً عن الآب [٢٢] .

وفي مقارنة بين سمو اللاهوت المسيحي وبين اللاهوت العبراني والإغريقي ، يقول :

" كما لم يقبل اللاهوت اليهودي ذلك الخِداع والزيف الأُسطوري الإغريقي الذي يعتقِد بتعدُّد الآلِهة ، واعترف بوحدانية الله ، هكذا المعرفة الفائِقة المُستنيرة للكنيسة ، والتي تخُص الابن قد أعطت شيئاً أعظم وأوفر وأفضل ، فأضافت تعليماً عن الله الآب الذي له ابناً وحيداً ، هو الابن الحقيقي الحي والأبدي اللامخلوق " [٢٣] .

فالكنيسة إذن **" تملُك الطريق الملوكي "** ، ومن ثمَّ **" تُعطي معرفة النعمة الإلهية "** [٢٤] ، وليس هذا مجرد نظام أو تعليم عن الحق ، لكن هذا هو الحق الفِعلي كلِمة الحياة (اللوغُوس) الذي فيه ، " مُذخرة كل كُنُوز الحِكمة والمعرِفة " [٢٥] ، والذي

يدعوه يوسابيوس " **سِر التجديد** " ، ويجعله أساس " **لاهوت كامِل وتام ودقيق** " [٢٦] ، ويعترِف بإله واحِد في مواجهة تعدُّد الآلِهة الإغريقية ، وإله آب في مواجهة التعليم اليهودي ، وإله قدير في مواجهة المُلحدين المُنحرفي الرأي [٢٧] .

وللتمييز بين اللاهوت المسيحي والعبراني ، ركّز يوسابيوس على الاستعلان الذي تم في تجسُّد ابن الله الذي استعلِن نفسه مُستعلِناً الله الآب :

" لقد حَفَظ وجوده نِعمة الكرازة (كيريجما) بلاهوته الذي تتشِح به كنيسته ، لتمتد من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها ، وهي مُتسربِلة بلُباس الاتضاع والحِشمة ، الذي تسلَّمته سِراً قديماً مُخبأً صامِتاً مكتوماً " [٢٨] .

ونَعَت يوسابيوس لاهوت موسى والأنبياء بأنه يمتلِك إلى حدٍ ما " معرفة ابن الله الوحيد "" السِّر الذي كان مكتوماً وصامِتاً " ، ومن ثمَّ فإنَّ الروح النبوي يلهوِت (يتحدث لاهوتياً) عن الابن سِرياً لكن جموع الأُمم اليهودية كانت في جهل مُطبق بالسِّر المُخبأ [٢٩] .

وهنا نستطيع أن نُفرِق بين **اللاهوت العبراني** ذلك السِّر المكتوم والمُخبأ ، وبين **اللاهوت الكنسي** في العهد الجديد وقد استُعلِن بالكامِل في كل مجدِهِ [٣٠] ، أو بعبارِة يوسابيوس " لقد رأينا مجده ، مجداً لا يُدرك ولا يُوصف ، يفوق كل فهم وتصوُّر ، بين المائتين " [٣١] .

لقد رأى الأنبياء البركات من بعيد ، أمَّا الكنيسة فتملُك **اللاهوت الكامِل** ، " هذا السِّر ظلَّ محفوظاً للكنيسة ، التي تجمعت من الأُمم ، ووُهِبَ لها بفضل نِعمة فائِقة مُختارة ، لأنَّ فيه ، كما يقول الرسول ، كل كُنُوز الحِكمة والمعرفة " [٣٢] .

وفي وُضوح تام نقول أنه لا وجه للمُقارنة بين اللاهوت المسيحي الكنسي ، وبين لاهوت الفلسفة الإغريقي ولاهوت العبرانيين اليهودي ، فاللاهوت الكنسي ليس أعظم فحسب ، بل هو الحق نفسه ، لأنه مُؤسس على **حُضور المسيح** الذي هو الطريق والحق (أليثيا) ، ومنه ومن خلال ميلاده وتجديده ، تستلِم الكنيسة ثالوث الآب والابن والروح القدس السِّرِّي المُبارك ، وتحفظه كرجائها الذي لا يُخزى ، وهذا هو الإنجيل الذي لا

يتبدَّل ولا يتغير ولا يُحرَّف على مر الدُّهور [٣٣] .

ودُعامِة اللاهوت الكنسي وركيزته الأساسية هي الحق المُستعلن باللوغُوس الله الكلِمة الذي ظهر في الجسد ... **فما هي بالضبط طبيعة هذا الحق ؟**

إنه مجد الله الذي هو " مملوء نِعمة وحق " ، هو مجد " لا يُدرك بل ويفوق كل ادراكات البشر " [٣٤] .

فاللاهوت ليس معرفة شيء لأنَّ الله لا يُشيَّئ ، وهو ليس موضوع لأنَّ حق الله ليس موضوعياً (أي لا يخضع لمقاييس التعريف الموضوعي) بمعنى أنَّ الإنسان لا يستطيع فحصه ولا استقصائه كما يتحقق من المخلوقات والظواهِر الحِسية التي تُحيطُ به ، فالله يُصبِح موضوع معرفة الإنسان بالقدر الذي يسمح به الله نفسه ، وفي الوقت الذي يُعيّنه هو ويختاره بمِلء حُريتهِ وإرادتهِ وسُلطانه الإلهي المُطلق .

حقاً إنَّ اللاهوت يرتكِز على عمل وحضور الله ، المُتمِم والمُتحقِق في شخص المسيح إلهنا مِلء اللاهوت لذلك يتحدَّث يوسابيوس عن التعليم اللاهوتي في كنيسة الله الغير قابِل للفساد أي **" لاهوتنا المُختص بالمُخلِّص "** ، والذي تسلَّمته الكنيسة من أعلى ومنذ البدء من شهود عِيان وسامعين للوغُوس ، والذي تحفظه بلا تبديل ولا تحريف ولا اجتهاد ذاتي ، لأنه تعليم نقي غير قابِل للفساد [٣٥] .

ركّز يوسابيوس مثل سابقيه على الكِتاب المُقدس كشاهِد أوَّلي وأساسي ، دقيق وأمين ، لاستعلان الله في التاريخ خاصة في أمر التدبير المسيحي (الإيكونوميا) ، إنها حقيقة كمال استعلان الله في المسيح ، والتي شغلت اهتمام يوسابيوس في لاهوتياته وتأكيده على العهد الجديد .

ويُشير يوسابيوس إلى المفاهيم اللاهوتية الأساسية لمُقدمة إنجيل القديس يوحنا الحبيب، ليُدلِّل على الأولوية التي للعهد الجديد :

اللوغُوس (الكلِمة)

والله

والنور [٣٦]

وكلِمة " لوغُوس " لا تُستخدم بأية طريقة معروفة قبلاً ، لذلك يُعلِن يوسابيوس أنَّ " الإنجيلي يُقدم مفهوماً جديداً للفظِة لوغُوس يختلِف عن ما هو معروف قبلاً " [٣٧] .

فهو ليس لوغُوس العقل الذي يجعلنا نُفكِر ، ولا لوغُوس النُطق الذي يجعلنا نتكلَّم ، ولا لوغُوس الفِكر الذي يجعلنا نكتُب ونُصيغ ، ولا لوغُوس الطبيعة والنماء والتطور ، ولا اللوغُوس العِلمي الذي يتصِل بالعلوم والفنون [٣٨] ، بل هذا اللوغُوس كما يُعبِّر عنه الإنجيلي هو **الله** .

فالله اللوغُوس ليس في حاجة إلى أي وجود سابِق ، لأنه كائِن وحي بذاته وموجود في كل زمان ومكان ، وقد واجه يوسابيوس مُعضِلة مارسيللوس الذي خلط بين الآب والابن فدعا الآب جوهراً والابن اللوغُوس الكلِمة (كأنه غريب على جوهر الله) .

فبدون أن يدري ، وقع مارسيللوس في خطأ اعتبار أنه كان هناك وقت لم يكن اللوغُوس موجوداً فيه في الآب !!! فسقط في البِدعة الهرطوقية التي تعتبِر الله إلهاً لا عقلاني (غير عاقِل) ، عقله أو كلِمته (اللوغُوس) شئ عارِض فيه وليس بالحري الله الذي هو اللوغُوس حقاً [٣٩] .

ويُركِز القديس يوحنا اللاهوتي على ذُكصولوجية اللوغُوس الله الكلِمة أي الاسم **" نور "** [٤٠] ، وهو النور الذي يُنير كل إنسان أتياً إلى العالم ، (أي النور الذي أتى إلى العالم) والذي كُوِّنَ العالم به ، فالنور واللوغُوس واحِد ، النور هو اللوغُوس واللوغُوس هو النور وهو ليس ذلك النور المحسوس المادي كنور الشمس الذي يُنير الأعيُن الجِسدانية ، لأنه حتى الحيوانات غير العاقِلة تشترِك في مِثْل هذا النور المحسوس [٤١] .

إنه نور اللوغُوس الإلهي الذي بقدرتِهِ الذاتية خلق النِفوس العاقِلة الناطِقة لتكون على صورتِهِ (أيقونته وشبهه) [٤٢] ، وينبغي الإشارة إلى أنَّ هذا النور الإلهي هو نور اللوغُوس ، ولا يُشير إلى الإله الذي هو يفوق كل الخلائِق ، لأنَّ هذا الإله ، الله الآب ، هو نور لا يُدنى منه ولم يرهُ أحد قط ولن يراه [٤٣] !

إذن فالنور الناطِق الذي يُشير إليه القديس يوحنا هو **الابن الوحيد** ، لوغُوس الله ، الذي به خلق الآب كل العالم والذي أتى إلى العالم وكان فيه يُنير كل إنسان أتياً إليه ،

وهذه الرؤية لنور اللوغُوس الإلهي صارت مُمكنة خاصة في استعلان تجسُّد الابن الوحيد الذي به جعلنا مُستحقين لاستعلان وظهور أُلوهيته الذاتية [٤٤] .

فبواسطة اخلائِهِ الإلهي Kenosis جعل اللوغُوس نفسه منظوراً من الإنسان أي أنه أعلن وكشف مجده للإنسان ، ويقول يوسابيوس " نحن لا ننظُر إلى جسده لأنَّ هذا الجسد هو هيئة العبد ، بل إلى مجده الذي يتميز عن جسدهِ والذي لا يُعايَن إلاَّ بالفِكر النقي " ، أو كما يصيغها الرسول بولس " رأينا مجده الغير مُدرك ولا مُحوى من فهم المائتين – مجد ابن الله الوحيد " .

وهذه الرؤية سوف تكون دائِمة إلى الأبد في حياة الدَّهر الآتي في الملكوت ، حيث اللوغُوس الإلهي وحيد الملِك ملِك الجميع ، هو السَّاطِع بالنور ومن ثمَّ دعى شمس البِّر والنور الفائِق للنور ، أو نور من نور ، بحسب الكلِمات اللاهوتية الغير مُدركة – (كلِمات يوسابيوس في رسالته إلى الإمبراطور قُسطنطين) [٤٥] .

لم يقُل القديس يوحنا أنَّ اللوغُوس صار نوراً بفضل التجسُّد والاخلاء الذي تم به ، فهو النور والله لأنه وحيد الآب قبل استعلانه بالتجسُّد الذي كشف ببساطة الحق للناس [٤٦] .

ويُعلِن يوسابيوس هذا التعليم الأُرثوذُكسي لمواجهة بِدعِة مارسيللوس ذي الميول السابيليانية [٤٧] ، ويُركِز يوسابيوس على حقيقة " أنه في الظهور الإلهي لابن الآب الوحيد ، وُهِب للكنيسة روح الحق الذي ينبثِق من الآب " [٤٨] .

حقاً إنَّ الحق كله ، حق الثَّالوث المُبارك قد استُعلِن بتجسُّد اللوغُوس ومنذ ذلك الحين ظلَّ في الكنيسة يقودها ويمنحها المواهِب المُتعددة ، مواهِب الروح ، والحِكمة والمعرِفة والإيمان والمحبة ، ويقول يوسابيوس : " إنه الآب حقاً الذي له السُّلطان المُطلق والأولوية في النِّعمة وصار الابن صيرورتها ، كما قيل في الكِتاب المُقدس ، أنَّ النِّعمة والحق بيسوع المسيح صارا ، أمَّا بالنسبة للروح القدس (الباراقليط المُعزِّي) ، فهو نِعمة الآب بالابن وهو مانِح المواهِب ، فلإنسان تُمنح الحكمة بالروح القدس ، ولآخر الإيمان بنفس الروح ، وهكذا بالنسبة لكل المواهِب الأخرى ، فالروح القدس إذن يدخل فقط في القديسين كهِبة بالابن للذينَ أعلن الآب استحقاقهم " [٤٩] .

ويتضح أنه بالتجديد الذي تم في المسيح ، تنال الكنيسة " ثيولوچيا - لاهوت " الثَّالوث القدوس المُبارك السِرّي ، ثالوث الآب والابن والروح القدس [٥٠] .

وأينما ذكرنا حديث ليوسابيوس عن لاهوت الابن ، يجب أن نُضيف أنه يتمسك بهذا النوع من اللاهوت بحيث تظهر المُصطلحات " يلهوِت " و" لاهوت " و" ناطِق بالإلهيات " كألفاظ تُدلِّل على التعليم الأرثوذُكسي الخاص بالله اللوغُوس [٥١] .

ولا يُقدِّم تعليمه عن اللوغُوس أيَّة إشارة إلى التوحيد المُطلق Monism في اللاهوت ، ولا هو يفصِل بين اللوغُوس والأُقنومين الآخرين في الثَّالوث ، بل بالحري يُؤكِد على لاهوت الابن بدقة لكي يُعلِن لاهوت الثَّالوث الكامِل التام الدقيق كله [٥٢] .

وينبغي ألاَّ ننسى أنَّ يوسابيوس عاش في حقبة من الهرطقات اللاهوتية والمُجادلات وكان عليه أن يُواجِه مباشرةً تهديد الذينَ يدعون أصحاب " الثَّالوثية التدبيرية " ، والتي كانت تُشكِّل قلب تعليم مارسيللوس ، ويبدو أنَّ مارسيللوس قد تبنَّى وجهة نظر مُؤداها أنَّ اللاهوت كان في بِدايته " مُوناداً " أي إلهاً واحِداً أحداً Monad لكنه صار تدريجياً ثالوثاً !! يتألَّف من قُوَى ثلاث لكن ليس من ثلاثة أقانيم مُتمايزة !! وأنَّ اللوغُوس الذي كان في الله قد صار ابناً فقط من خلال تجسُّدِهِ !!

لكن بالنسبة لتعليم يوسابيوس لم ينفصِل عن الأُقنومين الإلهيين الآخرين لكنه واحِد مع الآب لاهوتياً ، وواحِد مع الروح القدس أيضاً [٥٣] .

وكان عمل يوسابيوس القيصري " الرد على مارسيللوس Adv. Marcellus" ، وكِتابه " اللاهوت الكنسي Theologia Ecclesiastica " من أوائِل وأقوى الأعمال الأُرثوذُكسية عن اللاهوت الثَّالوثي ، والاختلاف الجوهري بين يوسابيوس ومارسيللوس هو اختلاف مفهومهما عن الآب والابن والروح القدس .

فهُم بالنسبة لمارسيللوس مجرد قُوى أو طاقات من المادة أو الجوهر يرجع عملهم المختلِف للحاجة إلى خلاصِنا !!

أمَّا بالنسبة إلى يوسابيوس فهُم **أقانيم أزلية** ، قد استُعلِنوا في تجسُّد المسيح خلال نعمة الخلاص الواحِدة ، وتجسُّد ابن الله الوحيد الجِنس هو الاستعلان أو الظهور وليس أساس

أو أصل الثَّالوث الأزلي ، إنه الحق (أليثيا) – هكذا يُعلِّق يوسابيوس – الذي أخفق مارسيللوس في إدراكه .

ونستنتِج أنَّ المسيح بنِعمته قد وضع في كنيسته كما في كِنز السِّر الذي كان مكتوماً ومستوراً قبل الدُّهور والأجيال ، ذلك السِّر الكامِن فيه فهُم الثَّالوث القدوس الآب والابن والروح القدس [٥٤] .

أمَّا بالنسبة لمنهجية اللاهوت الكنسي ، فلابد أن نذكُر أنه كان ليوسابيوس " ميثودولوچية " أي منهجية لاهوتية ، ومع هذا فإنَّ أُسلُوب تفكيره اللاهوتي ينطلِق من الله نفسه الذي استُعلِن للإنسان وجعل نفسه موضوع اللاهوت ، فاللاهوت إذن لا يتبع المنهج العام للفحص والاستقصاء وِفقاً لنقطة بِدء تبدأ بالإنسان !! وبمعنى آخر فالإنسان لا يستقصى الإلهيات ، بل الإلهي هو الذي يُستعلن ويجعل نفسه معروفاً للإنسان أو من الإنسان ، وهذا لا يتم على أكمل وجه إلاَّ في تجسُّد اللوغُوس وتأنُّسِهِ ، أو كما وصف يوسابيوس في كِتابه " عرض إنجيلي " :

" ابن الله المُتأنِس علَّم تلاميذه أنه هو الحياة والنور والحق وكل المفاهيم الأخرى الخاصة بلاهوته [٥٥] ، وقد قدَّم تفسيره الخاص بالآب والخاص بروح الحق " [٥٦] .

كما يقول في كِتابه " ضد مارسيللوس " " هو فقط بميلاده السِّرِّي أعطى البشر نِعمِة معرفِة الثَّالوث القدوس " [٥٧] .

وقد أسَّس هذا المبدأ اللاهوتي على ركيزة جديدة تماماً فالتأمُّل في الإلهيات ليس اختياراً سهلاً لكل أحد ، وقد افترضت فكرِة اللاهوت الكنسي أن يكون للاَّهوتي شَرِكَة مع اللوغُوس الله الكلِمة المُتجسِد .

وهذه الشَرِكَة والاقتراب من حدث الخلاص العجيب ، حدث يتحقق في الكنيسة وبالكنيسة وحدها ، واللاهوت المسيحي خارِج الكنيسة – كنيسة المسيح – هو استحالة في رأي يوسابيوس لأنه كما يقول :

" استعلن سِر الخلاص لكنيسة المسيح فقط بنعمتِهِ " [٥٨]

ويربُط يوسابيوس بين **الثيولوچيا والإكلسيولوچيا** ، ففي الكنيسة فقط تقوم الكرازة ،

وينتشِر صداها عبر المسكونة كلها (الإيكيومين) من أقاصيها إلى أقاصيها ، ويقول :

" بحضورِهِ ، حفظت نِعمة الكيريجما الخاصة بلاهوته وهذه هي النِعمة التي قبلتها كنيسته المُنتشِرة في المسكونة كلها (الإيكيومين) وكرَّمتها كسِر قديم مكتوم ومخفي " (٥٩) .

والتأمُّل في اللاهوتيات معناه **شَرِكَة الخليقة الجديدة في المعمودية** ، التي هي أوِّل درجة وأوِّل ثِمار لاهوت رؤية الله ، وكما يقول يوسابيوس ، من يمُر بالحق والأصالة خلال السِّر ، سِر الغسل والتجديد ، ينال اللاهوت عن المسيح ، ويُعاين بهاء مجد المُخلِّص ، فيُردِّد مع القديس بولس :

" إن كنا عرفنا المسيح قبلاً بحسب الجسد ..... فنحن لا نعرِفهُ بعد حسب الجسد " (٦٠) .

فالتأمُّل في اللاهوتيات معناه أن يحيا الإنسان بسلوك مُعيَّن ، مُقتفِياً خطوات المسيح ، وأهم شرط هنا **حياة الطهارة** :

" فقط من خلال الفِكر النقي الغير مُشوش يمكن أن يُتأمل لاهوتياً ملِك الجميع الله اللوغُوس ، ويُعبد بكل طاقات النَّفْس واشتياقاتِها " (٦١) .

فعدم الطهارة يعني عدم التقوى ، وهذا في فِكر يوسابيوس القيصري يعني ظُلمِة الجهل ، أمَّا نقاوِة الفِكر من جهة أخرى ، فهي التقوى والتقوى تُلازمها مُعاينة الله (٦٢) .

إذن اللاهوت الحقيقي هو هِبة الله للإنسان في المسيح ومن ثم في كنيسته .

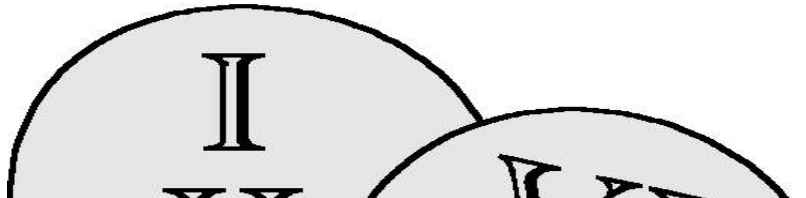

مراجِع الفصل

1) Preparatio Evangelica N, 1, 2, P.G. 21, 22, 229 AB.

2) De Civ. Dei P.L. 41, 180.

3) P.L. 1, 587 B.

4) Preparatio Evang. II, 5, 1, P.G. 12, 133 CD.

وعن التصنيفات الثَّلاثة للثيولوچيا الإغريقية اُنظُر :

& J. Pepin " la Theologie Tripartite de Varron ".

& Re Ang. 11 (1956), 283 – 284.

5) Demonstratio 1, 1, 9, P.G. 22, 20 A.

6) Preparatio VIII, 11, 4, P.G. 21, 537 CD.

7) Preparatio XI, 14, P.G. 21, 884 B, Gen. 19: 24; Ps 110: 1, 33: 6.

8) XI, 14 P.G. 21 884 B, cf. Ps. 107, 20, prov. 8: 12 etc. cf. also, ibid. 884 B – 885 A and VII, 12, P.G. 21, 541 B – 544 B.

9) 1, 20, P.G. 24, 888 BCD cf., Isaiah 11, 1 – 2 & Ps. 36: 9.

10)Ibid. XI, 20, 1, P.G. 21, 901 B.

11)Ibid. XI, 14. 10 – 15, 7, P.G. 21, 885 AB CD.

12)Ibid. XI, 16, 1 – 4, 888 ABC.

13)Ibid. XI, 18, 1 – 26, P.G. 21892 C – 9004.

14)Ibid. XI, 20, P.G. 21, 901 A.

15)Ibid. XI, 16, 3, 21 888 B; 14, 18 – 19, 840 – 841 A.

16)Ibid. VII, 15, 18, P.G. 21, 558 AB.

17)Ibid. X, 4, 30 – 31, P.G. 21, 785 CD.

18)Ibid. VIII, 1, 1, P.G. 21, 585 B.

19)CF. Hebr. 11, 13.

20)Against Marcellus, P.G. 24, 716 C.

21)Ibid., P.G. 24, 716 B.

22)Eccl. Theo. 1, 20 P.G. 24, 869 BC.

23)Against Marcellus 1, 1, P.G. 24, 717 AB.

24)Eccl. Theol. 1, 8. P.G. 24, 837 A.

25)Ibid., 1, 20, P.G. 24, 893 A.

26)Ibid. 1, 8, 837 A.

27)Ibid., cf, also 837 B.

28)Ibid. 1, 20, P.G. 24, 892 C.

29)Ibid. 1, 20, P.G. 24, 892 C.

30)Ibid. P.G. 24, 892 D.

31)Ibid., 868 C, cf. John 1: 14.

32)Ibid. 893 A cf. 893 C.

33)Against Marcellus 1, 1 P.G. 24, 716 C – 717 A.

34)Eccl. Theol. 120 P.G. 24, 868 C or Demonstratio IV, 1, 5, P.G. 22, 252 C, Ad. Costantinum II, P.G. 20, 1381 AB.

35)Ibid. 1, P.G. 24, 829 A.

36)Ibid. 1, 20, P.G. 24, 868 B.

37)Ibid. II, 14, P.G. 24, 928 A.

38)Ibid. II, 13, P.G. 24, 925 C – 928 A.

39)Ibid., 928 C cf, 925 B.

40)P.G. 24, 866 B.

41)Ibid., 865 B – 866 B.

42)Ibid., 865 B – 868 A.

43)Ibid.

44)Ibid., 868 C.

45)P.G. 24, 1394 C.

46)P.G. 24, 869 C.

47)Ibid., 869 A, 713 B, 869 C.

48)Ibid., 10 – 09 A 1005 B.

49)Ibid. 1013 A B.

50)Against Marcellus I, i P.G. 24, 716 C – 717 A.

51)Ibid. 769 A, 800 D, 1016 A, P.G. 20, 1393 D, 22, 488 B; 24, 724 B, 728 A, 799 A, 805 A B, 869 B, 1016 A, 1020 B, etc.

52)P.G. 24, 837 A.

53)P.G. 24, 769 A, 1013 A.

54)P.G. 24, 960 B C.

55)P.G. 22, 717 C.

56)P.G. 24, 840 C – 841 A, 869 B, 925 B & Ibid. 1013 A.

57)Ibid., 716 B.

58)P.G. 893 C.

59)Ibid, 892 C, 716 C – 717, 829 A.

60)Demonstratio IX, 6, 10, P.G. 22, 673 C.

61)P.G. 24, 1380 C D.

62)P.G. 24, 536 B.

الفصل التَّاسِع

آباء الغرب في القرن الرَّابِع

القديس أمبروسيوس أسقف ميلان

(٣٣٩ – ٣٩٧م)

القديس أُغسطينوس أسقف هيبو

(٣٥٤ – ٤٣٠م)

القديس هيلاري أسقف بواتييه

(٣١٠ – ٣٦٧م)

آباء الغرب في القرن الرَّابِع

استعار **القديس أمبروسيوس** (٣٣٩م) أسقف ميلان ، كثير من المسائِل اللاهوتية في مجال العقيدة من القديس باسيليوس رئيس أساقفة الكبادوك الذي شابهَهُ في أوجه كثيرة .

يتكلم القديس أمبروسيوس عن الله كخالِق فيقول " لم يخلِق الله الأشياء بأدوات وفن وإنما قال فكان ، إذ تكمُن قُوَّة العمل في الأمر الإلهي " [١] .

وفي عظمةِ اللاهوت وعدم قُدرتِنا على ادراكه يقول :

" البحث في شخص المسيح أمر يفوق قُدرتِنا ، لأنه أيَّة معرِفة يشتاق إليها أحد أكثر

من المسيح ؟!

ففي هذا الاسم يتجلَّى اللاهوت ويُعلن التجسُّد وأيضاً الآلام " [٢] .

تكلَّم القديس أمبروسيوس عن كينونِة الله ووجوده فقال :

" لا شئ يتميز به الله مثل كونِهِ دائِم الوجود " [٣] .

أكَّد القديس أمبروسيوس على وحدِة اللاهوت في ردُّه على الأريوسيين الذينَ نادوا بأنَّ الآب أعظم من الابن [٤] .

ويقول القديس " من جهة الجسد صار من نسل داود ، لكنه هو الله المولود من قبل العوالِم " [٥] .

وعن وحدانِية الجوهر يقول " ها أنتم ترون أننا نقول بأنَّ نِعمة الآب والابن **واحِدة** ، وسلام الآب والابن **واحِد** ، لكن هذه النِّعمة وهذا السَّلام هما **ثمرِة الروح** " [٦] .

وعن قُدرِة المسيح السرمدية يقول القديس أمبروسيوس :

" إن كان المسيح هو قُدرِة الله السرمدية ، فالمسيح إذن سرمدي "

" إنَّ عظمِة الآب ومجده هما ذات عظمِة الابن ومجده "

صبغ **القديس أُغسطينوس** (٤٣٠م) الثيولوچيا بالتقوى التي عاشها بعد توبته وتجديده ، والتي ألهمت رؤيته الروحية ..

وكان شخص المسيح هو نقطة انطلاقه ، ومُعينه الذي لا ينضب ، وهدفه الذي لا هدف آخر من ورائهُ ، وذلك لأنَّ المسيح هو ابن الله بالحقيقة الذي تجسَّد ، والذي أتى لِيَهِب الحياة حيث كان الموت .

ويرى القديس أُغسطينوس أنَّ إعلان الأقانيم الثَّلاثة لذواتِهِم كان هكذا :

الآب بالخليقة في العهد القديم .

الابن بالتجسُّد والفِداء .

الروح القدس بالكنيسة وبقداسِة المؤمنين .

تميَّز القديس أُغسطينوس في منهجه اللاهوتي بلاهوت هادِف ، فكتب لا كباحِث

نظري في اللاهوتيات ، إنما كان يكتُب بغاية عملية واضِحة هي التمتُّع بالحياة مع الآب خلال الثبوت في الابن بواسطة عمل روحه القدوس .

فكان قصد القديس أُغسطينوس من كِتاباته اللاهوتية هو " **الحياة في المسيح** " وإن كان السيّد المسيح هو مركز اللاهوتيات ، إلاَّ أنَّ ذلك خلال اللاهوت التريادولوچي (الثَّالوثي) .

يرى القديس أُغسطينوس أنَّ الثيولوچيا هي **سِر الثَّالوث القدوس** ، الذي اعتبره أعلى قمة في الحياة المسيحية ، ممتد لِمَا وراء ولِمَا هو أعلى من مستوى الحقيقة الطبيعية ..

ركّز القديس أُغسطينوس على حتمية الإيمان والتقوى كمدخل وبِداية نتمتع من خلالها بالثيولوچيا .

أكَّد القديس أُغسطينوس على أنَّ ابن الله هو الذي يُعلِن ذاته لنا ، لأنه هو خلاصنا : " يُعطيني الرب كلاً من معرفة ذاته والخلاص " [٧] .

وعلى أنَّ اللاهوت يتمحور حول شخص المسيح ، فيقول :

" عدّة أسلحتنا هي المسيح " ، " أنتَ المُدافِع عني وقرن خلاصي ، أنتَ المُدافِع عني، فإني لا أعتمِد على ذاتي ، وإنما أجِدك قرناً حقاً ، حيث عُلُو الخلاص الأكيد " [٨] .

ويعود القديس ليضع شرطاً لنرى الله فينا ويُعلِن ذاته ومجده الإلهي داخِلنا فيقول : " اظهِر ذاتك لذاك الذي يعرِفك فيكشِف هو ذاته لك يا من لا تعرِفه " [٩] .

ركّز القديس على ضرورِة الإيمان لبلوغ فهم الثيولوچيا :

" لا تستطيعوا أن تنالوا الفهم ما لم يُشرِق الإيمان في القلب " .

" الإيمان يبحث عنه وأمَّا الفهم فيوجد " .

" حسب تعليم الكنيسة الجامِعة يليق بالعقل أن يتغذى أولاً بالإيمان البسيط حتى يقدِر أن يفهم الأمور السماوية الأبدية " .

" إنَّ الإنسان بالإيمان يُرافِقه السيّد المسيح ليسير معه كل الطريق " [١٠] .

يتوجه القديس إلى الله ليكشِف له عن مجد لاهوته فيقول :

" إلهي ... أنتَ نوري ، افتح عن عيني فتُعاينا بهاءك الإلهي " .

" الله المِلء والإنسان فارِغ ، إن أراد أحد أن يمتلِئ فليذهب إلى ذاك الذي هو المِلء " [١١] .

ويتكلَّم القديس أُغسطينوس عن الله كخالِق فيقول " إنَّ الله يأمر النور الذي خلقهُ والظُّلمة التي لم يخلِقها ويطيعانه " ، مُعتبِراً أنَّ " الابن نفسه هو البِدء " [١٢] .

وعن كينونِة الله ، يُعلِّق القديس أُغسطينوس قائِلاً :

" ليس هو قد كان أو سيكون ، ولكنه الكائِن بلا تغيير ، لذلك قال عن نفسه (أنا هو الذي أنا هو) ... فهو الخلود الذي هو ملجأنا والذي نحتمي به من تقلُّب الزمن ، لكي نستقِر فيه إلى الأبد ... " [١٣] .

ويتعمق القديس ُغسطينوس في وجود الله بالنسبة للكائِنات الأخرى فيراها عدماً ، فيقول :

" كما لو كان هو وحده الكائِن الذي له وحده وجود ، قال الله (أنا هو الكائِن) ، وينبغي أن يُدعى الكينونة ذاتها وكأنَّ هذا هو اسمه الأوَّل ، لأنَّ كينونتِهِ إذا قيست بها سائِر المخلوقات تُحسب كأنها بلا وجود ، فهي كائِنة فقط لأنها وُجِدت به ، ولا يمكن أن يُقاس وجودها بجوار وجوده ، وإذا قُورِنت به فليس لها وجود ، لأنَّ الوجود الحقيقي يلزم أن لا يعتريه تغيير ، وهذا ما يتصِف به هو وحده " [١٤] .

كتب القديس أُغسطينوس كِتاباً عن الثَّالوث القدوس ، فحاز المكانة الأولى وسط الكِتابات اللاهوتية الأخرى في الغرب إلى مدى قرون عِدَّة .

قدَّم سلسلة من التشبيهات لسِر الثَّالوث القدوس ، وهي تشبيهات مأخوذة من العالم الحِسِّي للإنسان ، ثم يتسامى بتشبيهاته من المحسوس إلى الروحاني ولكن على المستوى الطبيعي للإنسان ، وأخيراً ينتقِل إلى المستوى الروحي الفائِق للطبيعة ، الذي هو الحِكمة التي أطلق عليها **الثيولوچيا الكامِلة** .

اعتبر القديس أنَّ الحِكمة اللاهوتية الكامِلة هذه ، هي ثمر مواهِب الروح القدس التي تكشِف لنا عن معرِفة الله ، تلك المعرِفة العُليا لسِر الثَّالوث القدوس .

ويقول القديس أُغسطينوس عن اللاهوت الثَّالوثي :

" هذا ما نتمسك به بحق وغيرة شديدة ، وهو أنَّ الآب والابن والروح القدس ثالوث غير قابِل للانفصال ، إله واحِد لا ثلاثة " (١٥) .

ويُعلِّق القديس أُغسطينوس على أنَّ المسيح هو سلامُنا (الثيولوچيا الاختبارية) فيقول :

" السَّلام هو المسيح لأنه هو سلامُنا الذي جعل الاثنينِ واحِداً ونقض حائِط السياج المُتوسِط (أف ٢ : ١٤) ... المسيح ابن الله هو السَّلام جاءَ لكي يجمع من له ويفصِلهم عن الشَّر " (١٦) .

ربط القديس أُغسطينوس بين الثيولوچيا العبرانية والثيولوچيا المسيحية الحقيقية مع الذُّكصولوجيا ، فيقول :

" الأمور الجديدة تسير في تناسُق مع القديمة ، والقديمة مع الجديدة ، هوذا الساروفان يقولان الواحِد للآخر : قدوس قدوس رب الجنود ، العهدان يسيران في نغم واحِد ، ولهما صوت واحِد " .

ومن الأساسيات اللاهوتية لتعليم أسقف هيبو : تأمُّلاته عن النِّعمة ، عندما واجه بيلاجيوس المُبتدِع ببدعتِهِ عن كفاية الجهد البشري للخلاص ، الأمر الذي جعل القديس أُغسطينوس يجتهِد ويُغالي ليكشِف عن سِر النِّعمة الذي عليه تتأسَّس العقيدة المسيحية .

وسمَّى القديس أُغسطينوس العمل الإلهي بـــ " الدفقة الإلهية " ، التي اعتبرها كافِية في حد ذاتها لخلاصنا ولكنها تُسر وتفرح بالعمل الشخصي والجِهاد ..

عالج القديس الجدل حول مدى حتمية المُشاركة الإلهية للإنسان في جِهاده للبلُوغ إلى غايته القصوى في الحياة المسيحية ، مُركِزاً على موضوع الإنسان وجِهاده ومركزه داخِل الكنيسة ، وهو ما يُسمَّى في المُصطلحات اللاهوتية الحديثة باسم ecclestastical anthropology ، وذلك في مواجهة الهرطقة البيلاجية ، كما أنَّ الانشقاق النوفاتي والدوناتي ، فتح المجال على مصرعيهِ أمام الحوار حول طبيعِة الكنيسة Ecclesiology وكِفاية الأسرار للخلاص Sacramental Theology ، وكما واجه الشرق البِدعة

الأريوسية ، واجه الغرب البِدعة البيلاجية التي دفعت باللاهوتيين إلى مواجهتها .

ونظرة إلى تاريخ الآباء مُعلِّمو الأسرار الإلهية ، نجد أنَّ القرن الرَّابِع حافِل بكثير من الآباء الذينَ غاصوا في الأسرار الإلهية ، ومن بين هؤلاء الآباء **القديس هيلاري** (من بواتييه) ، الذي كرَّس كل مواهِبه الأدبية في الرَّد على الأريوسية ، واقتبس من الآباء مُعلِّمي الشرق الكِبار ، فأثرى الفِكر اللاهوتي في الغرب بالرؤيا الشرقية .

كان القديس هيلاري مثل أثناسيوس رجل الإيمان الحي ، حتى أنه سُمِّيَ " **أثناسيوس الغرب** " .. ويُعتبر القديس هيلاري المُعلِّم اللاهوتي الثَّالوثي ، الذي ركّز على التعليم الثيولوچي التريادولوچي كسابقيه من الآباء [١٧] .

كتب القديس كِتاباً كبيراً عن الثَّالوث ، وهو يُمثِّل شهادة أسقف نُفِيَ من أجل الإيمان التقليدي ، فاهتم ليس فقط بالدِفاع عن التريادولوچيا ، بل بالغوص في أعماقِها أيضاً ، وعلى الأخص في هذا السِّر العظيم لله الواحِد المُثلث الأقانيم .

انشغل القديس بسِر الثَّالوث القدوس ، ولا يفصِل في كِتاباته الآب عن الابن عن الروح القدس ، مُعتبِراً أنَّ **اللاهوت الثَّالوثي قانون للحياة** تتحول به إلى سلوك حي بالمحبة المسيحية الحقيقية .

ويُميِّز القديس بين بنوتنا نحن لله وبُنُوة المسيح الابن الوحيد ، فيقول " أنَّ المسيح هو ابن الله حسب الطبيعة اللائِقة به وليس بمجرد الاسم ، نحن أبناء الله لكنه هو ليس ابناً مِثلنا ، إذ هو الابن ذاته بالطبيعة لا بالتبني ، هو الابن بالحق لا بالاسم ، بالميلاد لا بالخِلقة " [١٨] .

يتحدَّث القديس هيلاري عن الثيولوچيا فيقول :

" ظهر أنه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ، لكي نعرِف اسمه الذي هو طبيعته ، فهو الله الذي هو كائِن بذاته ، بكل ما تعنيه الكلِمة ! " [١٩] .

علَّق القديس على **كينونِة الله** قائِلاً :

" إني مُندهِش حقاً من التعريف الواضِح لله ، الذي يُعبِّر عن المعرِفة الفائِقة عن الادراك للطبيعة الإلهية (الثيولوچيا) بكلِمات مُلائِمة تماماً للفهم البشري ، لأنه لا توجد

صِفة من صِفات الله أكثر تمييزاً له ويمكن بها ادراكه مثل وجوده ، فهو كائِن من ذاته ولا صِلة له بتلك الأشياء التي سوف يتوقف وجودها يوماً ما ، ولا بتلك الأشياء التي لا بِداية لها ، فمن غير الممكن لذاكَ الذي يجمع بين الخلُود والقُّوة اللانهائِية أن يكون في وقتٍ ما غير كائِن ... لأنَّ كل ما هو إلهي غير مُعرَّض للفناء أو الانشاء " [٢٠] .

مراجِع الفصل

1) Of The Holy Spirit 2: 148.
2) In Luc. 9.
3) The Faith of The Early Fathers, Vol. II, William A. Jurgens.
4) Of The Christ. Faith 5: 9 (115).
5) Of The Christ. Faith 3: 5 (34).
6) Of The Holy Spirit 1: 12 (126).
7) On Ps. 27.
8) Adv. Jovinianus 2: 3, on Ps. 18.
9) On Ps. 104.

10)Reply to Foustus and Manichaean 12: 46.
11)Ser. On N. T. Lessons 83: 6.
12)P.L. 46: 82 I, on Ps. 10.
13)N.P.N.F. 1 st series, Vol. VIII.
14)The Faith of The Early Fathers, Vol. III, P. 22, 23.
15)Ser. On N. T. Lessons 2: 2.
16)On Ps. 126.
17)E. Mersch, The Whole Christ, p. 289.
18)De Trini. 3: 11.
19)On The Trinity, book V, 21, 22.
20)On The Trinity, 5, 1, The Faith of The Early Fathers, Vol. 1.

الفصل العاشِر

القديس يوحنَّا فم الذَّهب

(٣٤٧ – ٤٠٧م)

القديس يوحنَّا فم الذَّهب

التقى القديس يوحنَّا فم الذهب ، بالأب ثيئودور الذي كان يُدافِع عن قانون الإيمان النيقوي ضد الوثنيين والهراطِقة [١] ، والذي تزوَّد بلِسانه المملوء حُجة ضد الآلِهة القديمة ، ودافع Diodore of Tarsus عن لاهوت المسيح في كِتابه " صخرة عظيمة في المحيط " .

أدرك القديس فم الذَّهب أنَّ التلمذة والنُّسك مدخله إلى الاقتراب من الثيولوچيا ، مُعتبِراً أنَّ البتولية تهدِم طُغيان الشيطان فيُشرِق لاهوت المسيح ببهائِهِ [٢] .

كتب القديس مقالاً ضد اليهود والأُمم مُبرهِناً على لاهوت المسيح ، من نُبوات العهد القديم ومُعجِزات السيّد المسيح في العهد الجديد [٣] .

كتب أيضاً تِسَع مقالات عن **" استحالِة ادراك طبيعِة الله "** إذ كان البعض يظُن أنَّ الإنسان قادِر على فهم جوهر الله بعقله ، لذا اهتم القديس بتوظيف الثيولوچيا ، ليجذِب الوثنيين والهراطِقة ، ففي كل عصر يمنح الله كنيسته ذات النِّعمة ، لكي يحفظ جسده

كامِلاً ، لا يقوى عليه سُم الأفكار الهرطوقية في أي موضوع .

كان القديس يوحنَّا لاهوتياً ثالوثياً ، تحدَّث بدقة عن علاقِة الأقانيم ببعضهم البعض كما ركّز على كمال لاهوت المسيح ضد الأريوسيين ، وكمال ناسوته ضد الأبوليناريين [٤] .

اهتم اهتماماً خاصاً بعدم ازدواج شخصية السيّد المسيح وعدم الاختلاط بين لاهوته وناسوته ، مُؤكِداً على عدم الخلط بين الأقانيم ، ووحدِة الجوهر مع تمايُز الأقانيم [٥] .

تحدَّث عن لاهوت السيّد المسيح : " الكلِمة أُقنوم مولود من الآب نفسه ، الآب والابن هما واحِد ، لكن كلٍ منهما أُقنوم مُتمايز ، لم يكن الآب قط بدون الابن ، الابن أزلي كائِن مع الآب على الدوام " [٦] .

رأى في الابن الوحيد أنه المسيح **الكاهِن والذَّبيحة** ، الكاهِن حسب الروح ، والذَّبيحة حسب الجسد ، كان يكهِّن وكان يُذبح حسب الجسد ، ودفع السيّد المسيح أكثر مِمَّا نستحِق بمقدار ما يتعدَّى المُحيط قطرة .

وعن ادراك الله يقول أنَّ الأنبياء رأوا الله ولكنهم لم يروا جوهره إنما بدى لهم ذلك قدر ما يستطيعون ، واعتبر البحث عن جوهر الله خِدعة شيطانية [٧] .

وتحدَّث القديس يوحنَّا ذهبي الفم عن لاهوت ربنا يسوع المسيح قائِلاً :

" عندما يُعاقِب ويُكافِئ ، يغفِر الخطايا ، يشرِّع أو يعمل شيئاً أعظم من هذا كله لا يلجأ إلى الآب في أي شئ ولا يُصلِّي إليه إنما يصنع كل شئ بسلطان " [٨] .

ربط القديس فم الذَّهب بين **الثيولوچيا والإنجيل** البِشارة المُفرِحة السَّارة الحاوِية للكنوز غير المحصية ذات البركة الثابِتة غير المُتغيرة [٩] .

ميَّز القديس بين **الثيولوچيا العبرانية و الثيولوچيا الحقيقية** فعلَّق قائِلاً " الله يُريد أن يصنع أعمالاً عظيمة علانية ويسبِق فيُعلِن عنها زماناً طويلاً ليُهيِّئ مسامِع البشر لقبولِها ، فالأنبياء لم يتكلَّموا فقط وإنما كتبوا ما نطقوا به ، بل وقدَّموا ظِلالاً لها خلال الأعمال مثل إبراهيم الذي رفع إسحق ، وموسى الذي رفع الحية ، وبسط يديهِ ضد عماليق ، وقدَّم خروف الفِصح " [١٠] .

ركّز القديس فم الذَّهب على عظمِة اللاهوت ، وعلى أنَّ الله مُبارك إلى الأبد فقال

" إن كان الفيلسوف لا يتأثر بإهانِة الجُهلاء له فكم بالحري الله الأزلي غير المُستحيل لا تبلُغ وقاحِة الناس إلى طبيعته المجيدة التي لا يعتريها ظِل دوران " (١١) .

اعتبر القديس يوحنا ذهبي الفم أنَّ **الثيولوچيا لابد أن تُلازِمها الفضيلة** " أنَّ الفضيلة تجعل صاحِبها في أمان كامِل وبهاء عظيم ، إنَّ الرب يُقدِّم نفسه كثوب ، الملِك نفسه ، من يلتحِف به تكون له الفضيلة مُطلقاً " (١٢) .

يتكلَّم القديس عن أسرار اللاهوت فيقول " أنَّ الله يُسرِع إلينا الآن لكي نلتصِق به وعندئذٍ نعرِف الكثير من الأمور التي تُحسب سِراً ، وننعم بالحياة المطلوبة جداً والحِكمة " (١٣) .

ركّز القديس يوحنَّا على شخص المسيح فقال :

" لماذا دُعِيَ الطريق ؟ لأنه حافِظ الإيمان

لماذا دُعِيَ الصَّخرة ؟ لأنه مصدر كل شئ

لماذا دُعِيَ الأصل ؟ لأنه قُوة النمو

لماذا دُعِيَ الرَّاعي ؟ لأنه يرعانا

لماذا دُعِيَ الحَمَل ؟ لأنه فِصحُنا

لماذا دُعِيَ الحياة ؟ لأنه قيامتُنا

لماذا دُعِيَ النُّور ؟ لأنه نور العالم

لماذا دُعِيَ الذِراع ؟ لأنه مع الآب جوهر واحِد

لماذا دُعِيَ الكلِمة ؟ لأنه مولود من الآب

لماذا دُعِيَ العريس ؟ لأنه عريس نِفوسنا

لماذا دُعِيَ السيّد ؟ لأنه عَبْد له " (١٤) .

ومن المعالِم الأساسية في الثيولوچيا عن القديس فم الذَّهب ، ردُّه على تلك الأسئِلة التي أُثيرت بخصوص رؤية الله وادراكه ، فواجه بدعِة أُونوميوس الذي ادَّعى معقولية الله وامكانية ادراك جوهره بالذهن البشري ، لذلك رد عليه القديس في عدم ادراك طبيعِة الله

(الثيولوچيا) .

ربط القديس يوحنا فم الذَّهب **الثيولوچيا بالذُّكصولوجية** : " يليق بنا أن نتشبه بالسمائيين فهم يطلُبون أن يتعرَّفوا على جوهر الله ، بتمجيد وتسبيح لا ينقطِع " [١٥] .

يرى القديس يوحنَّا ذهبي الفم أنَّ إشعياء وغيره من الأنبياء لم يروا جوهر اللاهوت كما هو إنما ظهر الله لهم خلال تنازُله قدر ما يحتمِلون الرؤيا وذلك من أجل محبته لخليقته ، حتى بالنسبة للسمائيين وحاملي عرشه فإنَّ كلٍ منهم يراه قدر احتماله أمَّا الجوهر في ذاته أي في كماله المُطلق فلا يمكن ادراكه .

إنَّ القُّوات العُلُوِية يأخذ منها الرعب كل مأخذ بغير انقطاع ، فهي تُدير وجهها وتبسِط أجنِحتها كحائِط ، يقيها من الإشعاع غير المُحتمَل الصَّادِر من قِبَل الله ، ومع ذلك فما تراه إنما هو صورة مُصغرة للحقيقة ، وبينما لا يقوَ السيرافيم حتى على مشاهدة الله الذي لا يتجلَّى لهم إلاَّ كتنازُل منه حسب ضعفهم ، نرى أُناس يتجاسرون مُتصورين في عقلِهِم الطبيعة عينها التي يعجز السيرافيم عن ادراكها ، إنهم يزعمون أنهم قادِرون على التطلُّع بوضوح وبغير حدود !

إنَّ الله حتى بالنسبة لهذه الطغمات غير مُدرك ، ولا يمكن الدنو منه .. لا يحدُّه مكان ولا يجلِس على عرش إنما رُؤى الأنبياء وإعلاناتِهِم أمثِلة عن تنازُله وليست رُؤى لجوهره بالكشف عنه ، لأنهم لو نظروا جوهره لِمَا رأوه تحت أشكال مختلِفة إذ هو بسيط، بغير شكل ولا أعضاء ولا أساليب مُحدَّدة ، طبيعته لا تجلِس ولا تقِف ولا تمشي [١٦] .

مراجِع الفصل

1) SOC. 6: 3 SOZ 8: 2.
2) Mat. P.G. 58: 87 (hom. 8: 6).
3) PC. 48: 813 – 838.
4) Contra Amon, hom. 4: 4. P.G. 48: 732.
5) In 2 Cor. P.G. 61: 608.
6) P. G. 59: 47.
7) In Joan, hom. 74: 1.
8) De Incomp. Of God, p. G. 48: 787.
9) In Rome., hom. 1.
10)In Rome., hom. 1.
11)In Rome., hom. 3.
12)Pasch. Ep. 4: 3.
13)In 1 Cor. hom 34: 2.
14)In Mat. P.G. 58: 700.

15)In John, hom. 15: 1.

16)In John, hom. 15: 1 & In Isai., hom. 2: 2 & In Incomp. of God 5: 4. P.G. 48: 740.

الفصل الحادِي عشر

آباء أورشليم وسوريا

القديس كيرلُس الأُورشليمي

(تنيَّح ٣٨٨م)

القديس أبيفانيوس

(تنيَّح ٣٩٠م)

القديس ديودوروس

(٣١٥ – ٤٠٣م)

آباء أورشليم وسوريا

حينما نتجه إلى الآباء الكنسيين في فلسطين وسوريا ، نُلاحِظ أنَّ اللفظ " ثيولوچيا " ومُرادفاته لا يُستخدم بشكل كبير وشامِل ، فالقديس **كيرلُس الأُورشليمي** مثلاً يتحدَّث عن " الثيولوچيا " مرَّة واحِدة ! بمعنى الهيمنولوچيا (الترانيم) ، والذُّكصولوجيا (التَّسابيح والتَّماجيد) [١] .

تحدَّث القديس كيرلُس الأُورشليمي عن اسم الله القدوس فقال " اسم الله قدوس بطبيعته، قلنا أو لم نقُل ، لذلك نُصلِّي أن يتقدس دائِماً فينا عندما نتقدس نحن ونعمل ما يليق بالقداسة " [٢] .

وفي تعليمه عن الله يقول " الله واحِد وحيد غير مولود ، بلا بِداية ولا تغيير ، ليس فيه تنوُّع ولا مولود من آخر ، ولا يعقُبه آخر ، لم يبدأ في زمن للحياة ولا ينتهي قط " .

وينصح القديس كيرلُس بعدم تصوُّر الثيولوچيا بشكل لأنَّ كثيرين قدَّموا تصورات لله

وجميعهم فشلوا ، لأنه كامِل في النظر ، وكامِل في القُّوة ، وكامِل في العظمة ، وكامِل في العدل ، وكامِل في المحبة المُترفِقة ، ليس بمحصور بفراغ بل خالِق كل الفراغ ، موجود في الكل ، لا يحدُّه شئ .

وعن كمال الله المُطلق يقول " يكفينا أن نُدرِك ببساطة أنَّ لنا إله ، هذا الإله واحِد حي ، حي إلى الأبد ، يُشبِّه ذاته على الدوام بلا تغيير ، ليس له آب أقدر منه ولا خليفة ، سلطانه بلا حدود ، جوهره بلا تغيير " [٣] .

وفي فهم حقيقي للثيولوچيا يقول : " نحن لا نتكلَّم عن الله كما ينبغي في الحديث عنه ، إنما نتكلَّم حسبما تسعِفنا الطاقة البشرية قدر ما يحتمِل ضعفِنا ، إنَّ أفضل معرِفة هي اعترافنا بجهلِنا فيما يخُص الله !! " .

أمَّا القديس أبيفانيوس أسقف سالاميس بقبرص ، فيستخدِم اللفظ " ثيولوچيا " في دِفاعياته عن تعليمه بخصوص الثَّالوث ، ومن ثمَّ يقول كِتابه (Panarion) :

" نحن لا نُؤلِّه العالم لئلا نُحسب أغبياء ، بل بالحري نُمجِّد الثَّالوث : ثالوث الابن مع الآب وروحه القدوس الذي يفوق الطبيعة كلها " [٤] .

والنقطة التي يركِز عليها أبيفانيوس هنا ، كما في بقية نصوصه التي تتناول لفظِة " ثيولوچيا " ، هي سمو الثَّالوث القدوس ومن ثمَّ دحض بدعِة أريوس الهرطوقي الذي كان يتكلَّم عن ثالوثاً يتألَّف من عناصِر غير مخلوقة وأخرى مخلوقة !!

وتقوم مُحاججِة أبيفانيوس على أساس أنه إذا كان الثَّالوث مزيجاً من عناصِر إلهية وأخرى مخلوقة ، فلا يمكن عِبادته على أساس تحريم الوثنية (عبادِة الأصنام) في (خر ٢٠ : ١٥ ، تث ١٥ : ٦) . ويمكن أيضاً عرض المُحاججة بطريقة عكسية : إن كان الثَّالوث معبوداً ، لزم أن يكون **الثَّالوث هو الله** [٥] .

ولمَّا كان لاهوت الثَّالوث مُرتبِطاً ارتباطاً وثيقاً بعبادِة الثَّالوث وتُفهم العِبادة على على أنها ذُكصولوجيا ، لذلك لا نندهِش أنَّ القديس أبيفانيوس دائِماً ما يُوظِّف اللفظة " **ذُكصولوجية** " كبديل للفظِة " ثيولوچيا " ، ففي كِتابه (Panarion) مثلاً يتحدَّث عن " الذُّكصولوجية المُتجسِدة واللاهوت الكامِل لله اللوغُوس " [٦] .

وإذ يُشير إلى عدم انقسام اللاهوت (الأُلوهية) ولاهوت الكنيسة الواحِد (الثيولوچيا) يُعلِن :

" قد يزعم البعض أنها تعدُّد آلِهة ، ولكنها ليست كذلك لأنَّ الذُّكصولوجية واحِدة " (٧).

ويُؤكِد القديس أبيفانيوس بشكل خاص على " الثَّلاث تقديسات " (Trisagion) أي التَّسبِحة الذُّكصولوجية الثُّلاثية التقديس التي يُرددها الشاروبيم من غير سكوت ، والتي لا يفتُر السيرافيم عن تسبيحها ، والتي يعتبِرها الذُّكصولوجية الأسمى **لله المُثلث الأقانيم** ، ويكتُب في كِتابه Ancoratus :

يشدو الملائِكة المُتضِعون في السماء بترنيمة الغلبة والخلاص مُمجدين مع السيرافيم والشاروبيم الثَّالوث في مجد واحِد وصوت واحِد وجوهر واحِد ، قائِلين قدوس قدوس قدوس ، مُؤلفين ثلاثة أصوات لكنها تتحدَّث في وِحدة وليس في تعدُّدية .

لأنهم لا يقولون " قدوس " رابِعة ، كما لو كان شئ أُضيف إلى اسم الثَّالوث .

وهم لا يُردِّدون التقديس ثلاث مرَّات كما لو كان مجد الكمال الإلهي ناقِصاً ، لكن ثلاثاً ليُقدِّسوا بنفس الكرامة الآب والابن والروح القدس ، أيضاً هم لا يقولون " قدوس وشِبه قدوس " لكنهم يُردِّدون " قدوس " مُمجدين بنفس القدر معاً وبصوتٍ واحِد وكلمة واحدة وكمال واحِد : " ثالوث في واحِد وواحِد في ثالوث " (٨) .

لقد كتب القديس أبيفانيوس أيضاً مُدافِعاً عن الهرطقات الحديثة والقديمة في كِتابه : " خزانِة العلاج لشِفاء كل الهرطقات " .

أمَّا **ديودوروس** أسقف طرسوس ، والمُعاصِر للقديس أبيفانيوس فيبدو أنه قد استخدم المُصطلح " ثيولوچيا " ومُشتقاته " يتأمل لاهوتياً " و" لاهوتي " .

ومن النصوص التي عُثِرَ عليها توجد ثلاث مرَّات تظهر فيها لفظِة " ثيولوچيا " : الحالة الأولى في تفسيره للمزامير :

" كونوا شاكرين في العمل والقول ومجِّدوه بترانيم وتسابيح " ثيولوچيات " لتدخلوا ملكوته الأبدي " (٩) .

وهنا تظهر كلِمة " ثيولوچيا " بمعنى " ذُكصولوجيا " ، وهي طريق الإنسان لبلوغ

ملكوت وعظمةِ الله ، فالاتحاد بالله والاقتراب من سِرُّه لا يعتمِد على المعرِفة بل على العِبادة ، **واللاهوت عِبادة وليس معرِفة** ... إذ نُصبِح إسرائيل الحقيقي بنقاوة القلب نرى الله ، لأنَّ المعرِفة عن الله العظيمة بطبيعتها لا يمكن أن يُدرِكها إلاَّ من يحيا في قداسة وسلام ونقاوة قلب تسبِق هذا اللاهوت الذُّكصولوچي .

والنقاوة الداخلية ، كتصنيف لاهوتي ، ليست فكرة جديدة بل تُشكِّل تقليداً مُشتركاً في التراث الكنسي الآبائي فقبل ديودوروس ركّز أوريجانوس والبابا أثناسيوس ويوسابيوس القيصري ، والقديس أمبروسيوس الميلاني والقديس أُغسطينوس ، وأكّدوا جميعاً كما رأينا على هذا المبدأ الروحي اللاهوتي .

ويُشير ديودوروس ببساطة إلى الانتشار المسكوني لهذه الفكرة حيث تأكدت على وجه العموم أهمية التوبة (الميطانيا) والطهارة (الكاثارسيس) والنُّسك كشرط أساسي للاَّهوت ، وعلى الذينَ يسألون ويلِحون عن لاهوت المسيح وطبيعة الله والتثليث والتوحيد أن يعيشوا أولاً كما يحِق للدعوة التي هم مدعوون إليها ، بالحب والطهارة والسلوك بلا عثرة والشهادة لله ، عندئذٍ يُعلِن الله لهم ذاته ويُظهِر لهم مجده الإلهي ، فليس الله فكرة ، وليست المسيحية أيديولوچية ، إنما هي حياة العِشرة الإلهية التي فيها نلمس عمل الله ، ومن مِنَّا يستحِق هذه العطية ؟!

ويربُط ديودوروس اللاهوت **بالاعتراف بابن الله الوحيد** ، على أساس أنَّ كلِمة الله في العهد القديم كانت تُنطق لاهوتياً ، وأنَّ الاستعلان التجسُّدي قد أعلن قُوة الروح القدس [١٠] .

وما قالهُ الأنبياء عن اللوغُوس كلِمة الله ليس اعلاناً بشرياً ، بل بالحري عمل الروح القدس الذي يُوجه التاريخ ويسوسه إلى مركز التدبير الإلهي (الإيكونوميا) .

ويجب أيضاً مُلاحظِة أنَّ بولس الرسول اعتُبِر لاهوتياً لأنه كتب عن ربنا يسوع ، أنه " **هو سلامُنا** " (أف ٢ : ١٤) ، " الذي جاءَ وبشَّر بسلام للبعيدين والقريبين " (أف ٢ : ١٧) [١١] .

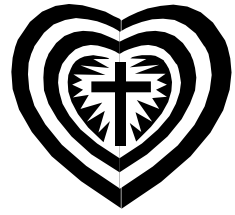

مراجِع الفصل

1) Myst. Catech. 5, 6 P.G. 33, 1113 B.

2) Cat. Lect. 23: 23.

3) Ibid.

4) Panarion 76143, 3 G. C. S. P. 401, 4 – 6.

5) Panarion 69, 31, 4 and 69, 36, 2 and especially Anocratus 70, 3; cf. also Panarion 66, 8, 6 and Anocratus 115, 8.

6) Ibid. 69, 36, 1.

7) Ibid., 69, 77, 6 Anocratus, 73, 4; Panarion 25, 6, 4.

8) Anocratus 26, 1 – 3; 73, 9; Panarion 73, 10, 9.

9) P.G. 33, 1663 D.

10)P.G. 33, 1620 D.

11)P.G. 33, 1611 B.

الفصل الثَّاني عشر

إقاجريُوس البُّنطي

(مارِ أُوغريس)

(٣٤٥ – ٣٩٩م)

أحد رُهبان برية شيهيت

(إسقيط مصر)

إثاجريُوس البُنطي

ونتجِه من طرسوس إلى الحدود الشمالية لآسيا الصُغرى ، وعلى وجه التحديد إلى مُقاطعة بنطُس ، حيث نأتي إلى لاهوتي كنسي ، علَّم كثيراً عن الثيولوچيا ، وقُدِّرَ له أن يُؤدي دوراً بالِغ الأهمية في تعميق التعليم اللاهوتي الآبائي .

إثاجريُوس البُنطي لاهوتي ناسِك ، سُيِّمَ قارِئاً (أغنسطُس) على يدي القديس باسيليوس الكبير ، ثم شماساً (دِياكون) على يدي القديس غريغوريوس النزينزي (الناطِق بالإلهيات) الذي تبعهُ إلى القسطنطينية عام ٣٨١م ولكنه تركها إلى أورشليم ومنها إلى برية مصر حيث برية شيهيت بوادي النطرون (٣٨٢م) ، واسترشِد بالأب أمونيوس .

وبسبب حياته النُّسكية ، كان المُحتوى النُّسكي يشمل كل كِتاباته ، لذلك رأى

إقاجريُوس اللاهوت بطريقة أكثر اختباراً وعملية ، وقد تبع في ذلك نهج غريغوريوس الناطِق بالإلهيات وأيضاً العلاَّمة أوريجانوس ، وكانت نقطة البدء لإقاجريُوس موجودة في المقولة التالية :

" المسيحية عقيدة من ثلاث مُكوِنات : العملي والطبيعي (الفيزيقي) واللاهوتي (الثيولوچي) " [١] .

وهذه المُكوِنات الثَّلاثة تتطابق مع المراحِل الثَّلاث للحياة المسيحية :

١. الحياة **الفعَّالة** التي تُجاهِد من أجل اللاهوى (Ἀπάθεια) الآباثيا .

٢. الحياة **التَّأمُلِية** التي قوامها التأمُّل والجِهاد لمعرفة الطبائِع الحِسِية والعقلانية (Θεωρία φυσικη) .

٣. والحياة **اللاهوتية** المُرتبِطة بمعرفة الله (Θεωρία γνωστική) .

وهذا الثَّالوث للحياة المسيحية والذي يقود في النهاية إلى اللاهوت ، يمكن بسهولة ارجاعه إلى العلاَّمة أوريجانوس ، الذي له نص ركيزي يُوجِز فيه الأمر هكذا :

" حيث أنَّ النَّفْس مسكن (بيت) فهي تأخذ الله سيّد لها ، وعندما تصير هيكلاً يكون المسيح فيها إلهاً ، وبالخبرة والعِشرة تكتسِبه النَّفْس كرب لهذا المسكن ، وبالتأمُّل تتلامس معه كملِك ، وتتمتع بمعرفته من خلال اللاهوت كإله .. " [٢] .

فأولاً التدريب والمُمارسة " النُّسك ascetiscism " والنُّسك يبدأ بالإيمان (Πίστισ بستيس) الذي يتأكد " بمخافِة الله " ، التي تلِد العِفة (Εγκράτεια) والتي بدورها تتأكد بالصبر (إيبوموني) ، والرَّجاء (هلبيس) (Ελπίσ) .

وأخيراً يُؤدي الصبر والرَّجاء إلى ميلاد اللاهوى (الآباثيا) ، ومن اللاهوى ينتقِل الإنسان إلى المحبة (أغابي Ἀγάπη) ، وهي أعلى درجات النُّسك (قامات اللاهوت العملي النُّسكي) ، وهذه المحبة هي الباب إلى المعرِفة الطبيعية لأنَّ الله محبة لذلك أعطانا البركة العُظمى اللاهوت [٣] .

وفي موضِع آخر ، يعرِض إقاجريُوس الأمر هكذا :

" اللاهوى زهرِة النُّسك " براكتيكي Πρακτική " والاختبار النُّسكي أساسه ملاحظة الوصايا بتدقيق ، ففي ممارسِة الوصايا مخافِة الله التي هي بدورها وليدة الإيمان الصحيح " [٤] .

والمحبة (الأغابي) هنا ليست شعوراً بسيطاً بل هي حالِة النَّفْس المُترقِبة عمل الصَّلاح وصُنع المحبة من نحو الله والقريب ، ليست تلك المحبة العاطِفية ، لكنها الأغابي الفائِقة للنَّفْس العاقِلة التي وِفقاً لها تكون محبة أي شئ في هذا العالم أمراً مُستحيلاً لتضادِها لمعرفة الله [٥] .

ويكتُب أيضاً :

" محبة الصَّلاح هي التي تبقى في هذا الدَّهر ، والتي هي محبة معرفة الحق " [٦] ، فالغاية من " النُّسك هي المحبة " [٧] .

والتي تُؤدي إلى المرحلة الثانية لسمو روحانيات المُؤمنين ، والتي تُدعى " الرؤية الطبيعية " ، فعندما يتنقى الإنسان بهذا النُّسك الاختباري العملي [٨] ، عندئذٍ يستطيع أن يُعاين " حكمِة " المسيح في العالم الطبيعي الذي خلقهُ وجَبَلَهُ على غير فساد ، وهذا يعني أنَّ العالم ليس إلاَّ مرآة لصلاح الله وحِكمته [٩] .

والفِكر الطاهِر ، يتدرج مواصِلاً طريقه من مجال الرؤية الطبيعية للعالم إلى رؤية روحانية فائِقة ، وإن كان الإنسان لا يقدر أن يسبِر أغوار الحِكمة الإلهية ويُدرِكها ادراكاً كامِلاً . إلاَّ أنه من خلال ما يكتسِبه يبدأ الدخول إلى أعتاب الملكوت السماوي ، لأنه كما يقول إڤاجريُوس " ملكوت السموات هو لا شهوانية النَّفْس مع المعرِفة الحقيقية للكيانات " [١٠] ، عندئذٍ يدخل الإنسان ملكوت الله أي معرِفة الثَّالوث القدوس [١١] .

وإن كان مفهوم إڤاجريُوس عن الثيولوچيا يتضمن ثلاثة نوعيات ، إلاَّ أنه لاهوت واحِد داخلي .

ويرى أنَّ " النُّسك الاختباري " و" الرؤية الطبيعية " هما **" الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً "** [١٢] .

أيضاً ، كما أنَّ الإيمان هو بداية الاختبار النُّسكي (براكتيكي) ، والمحبة غايته

ومُنتهاه هكذا أيضاً فإنَّ الرؤية الطبيعية (الثيوريا) هي بداية معرِفة الله ، واللاهوت غايتها ومُنتهاها ، فاللاهوت خطوة نهائية بعد الرؤية ، كما يُعبِّر عنها إڤاجريُوس أنها " المعرِفة الروحانية " [١٣] ، وهذه المعرِفة الروحانية هي " **ثروة النَّفْس** " بعكس الجهل [١٤] الذي يتحدَّث عنه مُعتبِراً أنه فِكر عار ، وتُكتمل وتبلُغ مُنتهاها في رُؤيتها واستحقاقها للاشتراك في رؤية الثَّالوث القدوس [١٥] .

لهذا فإنَّ الخطوة الثَّالثة في سُلَّم إڤاجريُوس اللاهوتي تتألَّف من شَرِكَة الإنسان مع الله أي معرِفة التريادلوچيا (الثَّالوث القدوس) ، وهذه المعرِفة اللاهوتية يُحقِقها الإنسان في الصَّلاة .

حقاً إنَّ اللاهوتي هو الذي يُصلِّي **واللاهوت صلاة** ، لذلك يقول عنها إڤاجريُوس " إن كنت لاهوتياً فسوف تُصلِّي بالحق ، وإن كنت تُصلِّي بالحق فأنتَ لاهوتي " [١٦] ، لذلك نقول أنَّ اللاهوت بالنسبة لإڤاجريُوس هو معرِفة الثَّالوث والصَّلاة ، تلك الصَّلاة التي تُعرف بصلاة الفِكْر – الذِهن المُتحِد بالله ، تلك الصَّلاة التي تشترِط مُسبقاً اللاهوى (الآباثيا) ، والتحرُّر من الماديات والمفاهيم المُجردة [١٧] ، فكيف لنفس شهوانية شارِدة وبعيدة أن تتكلَّم عن اللاهوت أو أن تعرِفه ، وكيف يصير الله قضية للبحث والتساءُل ؟ فقط حينما يكون العقل مُقدساً ونقياً من كل الأباطيل يُصبِح قادِراً على أن يكون شريكاً للنور الإلهي الذي لا يُدنى منه [١٨] .

ويتطلب هذا الأمر قراراً واستجابة وجهاداً مُتواصِلاً وتوبة مُستمرة ومواظبة على كل وسائِط النِّعمة لأنَّ بعض الشياطين تُحارِبنا بسبب حِفظنا الوصايا والتداريب النُّسكية ، وأخرى تُحارِبنا بسبب فِهمنا وحِكمتنا البشرية وأخرى بسبب اللاهوت الذي نعرِفه ونحياه !! [١٩] .

ويقول إڤاجريُوس في مواضِع أخرى " أنه لصالِحنا ولمنفعتنا أن نُواظِب على الصَّلاة والنُّسك والتسبيح والتأمُّل إلى أخر نَفَسْ في حياتنا " [٢٠] .

فاللاهوت إذن هو معرِفة الإنسان لله ومن ثمَّ فإنَّ الصَّلاة هي المكان أو الموضِع اللائِق باللاهوت لذلك تُعرف بأنها " الصعود إلى فِكْر الله " [٢١] ، وحالِة الصَّلاة هي حالِة اللاهوى التي بفضل العِشق العفيف السَّامي تقود إلى محبِة الحِكمة (الفيلوصوفيا)

ويصير الفِكْر روحاني أسير لطاعِة المسيح يُحلِّق نحو الإلهيات الغير حِسيَّة [٢٢] .

والإنسان بطبيعة الحال لا يدخل بالكامِل إلى عظمِة الله ولا يفهم تماماً الجمال الإلهي لذلك يُحذِّرنا إقاجريُوس :

" في حالِة ما يتأمل الإنسان لاهوتياً بطريقة غير لائِقة (نظرية) بوضع تعارِيف عن الله ، فالألفاظ والعِبارات والتعاريف تنطبِق فقط على المخلوق والمُركَّب " [٢٣] .

ويتحدَّث إقاجريُوس أيضاً عن الشَركَة والاتحاد بالله ، فالمسيحي يشترِك في جسد ودم المسيح فيصير شريكاً لكلِمته (لوغوسه) وحِكمته ، لذلك في تفسير القديس لإنجيل يوحنا (٦ : ٥٦) يقول :

" **من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبُت فيَّ وأنا فيه** " فالجسد والدم هما مجيئه وتعليمه الذي يتألَّف من أجزاء ثلاثة :

العملي (النُّسكي)

الغنُوصي (المعرِفي)

الثيولوچي (اللاهوتي) [٢٤] .

ونجِد في مواضِع أخرى في كِتابات إقاجريُوس تعليماً آخر أيضاً :

" جسد المسيح هو الفضائِل النُّسكية ومن يأكله يصير بلا هوى (شهوة ردية) ودم المسيح هو الرؤى لما يحدُث ، ومن يشربه يصير به حكيماً ، وصدر الرب هو معرِفة الله ، الذي يسنِد رأسه عليه يصير لاهوتياً كيوحنا الحبيب تلميذ المحبة " [٢٥] .

ومن ثمَّ فإنَّ معرِفة الله واللاهوت هما حقيقة **اشتراك** الإنسان في سِر التدبير الإلهي ، سِر التجسُّد بكل بركاته الخلاصية ، والاشتراك في مفهوم إقاجريُوس كما في مفهوم مُعلِّمه القديس غريغوريوس اللاهوتي ، يتم بالتداريب والمُمارسات النُّسكية وتحرير الفِكْر ، إذ يتنقَّى الإنسان ويتطهر يتحرَّر من المفاهيم الهيولية ويغتسِل بالغفران الإلهي مُستضِيئاً بنور الثَّالوث الإلهي ، ففي المسيح وحده ندخل إلى اللاهوت واشراقات الثَّالوث القدوس [٢٦] .

مراجِع الفصل

1) P.G. 40, 1221 D.
2) P.G. 12, 1641 D – 1644 A.
3) P.G. 40, 1221 B C.
4) P.G. 40, 1233 B.
5) Πφοβληματα γνωστικα 1, 86.
6) Ibid. , IV, 50.
7) P.G. 40, 1233 C.
8) CF. P.G. 40, 1233 AB.
9) Gnostic Problems : 1, 2, ed. By W. Frankenberg Berlin, 1914 p. 129.
10)Practical Chapters, P.G. 40, 1221 D.

11)Ibid. P.G. 40, 1221 D.
12)Gnostic Problems III, 67, P. 235.
13)Gnostic Problems II, 3, Ibid., P. 131.
14)Ibid. II, 8, P. 135.
15)Ibid. III, 6, P. 193.
16)On Prayer, P.G. 79, 1180 B; cf Lossky.
17)CF. P.G. 79, 1168 C, 1177 D, 1177 D – 1180 D.
18)Gnostic Problems, VII, 30, P. 455.
19)Ibid. 1, 10, p. 57.
20)Gnostic Problems, ed. By W. Frankenberg, Berlin, 1914, p. 547.
21)On Prayer, P.G. 79, 1173 D.
22)Ibid. , 1177 C; cf. Lossky.
23)Gnostic, Ibid P. 549.
24)Epistle of Faith, ed. by W. Frankenberg, Berlin, 1914, p. 625.
25)H. Gressmann, T.V. 39, P. 163.
26)Gnostic Problems, III, 6, P. 197.

الفصل الثَّالِث عشر

الآباء الكبَّادوك

القديس باسيليوس القيصري

(٣٣٠ – ٣٧٩م)

القديس إغريغوريوس النزينزي

(النَّاطِق بالإلهيات)

(٣٢٩ – ٣٨٩م)

القديس إغريغوريوس النِّيصي

(٣٣٠ – ٣٩٥م)

الآباء الكبَّادوك

يُعطي الآباء الكبَّادوك لفظِة " الثيولوچيا " محتوى جديد ومُحدَّد ، مُحتوى أكثر ادراكاً لأنه يستوعِب كل الدِلالات Semantics المُتنوِعة عن الثيولوچيا ، التي مررنا بها عند الآباء الأولين ...

واللاهوت الكبَّادوكي يُمثِّل مدرسة جديدة ، تجمع كلاً من التقاليد السكندرية والإنطاكية ، هذه " المدرسة " تضم بين أروقتها :

القديس باسيليوس القيصري (٣٣٠ – ٣٧٩م) ،

والقديس إغريغوريوس النزينزي (٣٢٩ – ٣٨٩م) ،

والقديس إغريغوريوس النِّيصي (٣٣٠ – ٣٩٥م) ،

والقديس إمفيلوخيوس أسقف إيكونيوم (٣٤٠ – ٣٩٥م) .

واللاهوت هو **الإعلان عن الله** ، عن طبيعته ، أعماله ، وفوق ذلك هو **الإعلان عن الثَّالوث** .

وقد صار هذا الأمر واضِحاً بشكل ساطِع في أشهر أعمال تلك " المدرسة " ، وهي المباحِث (العِظات) اللاهوتية الخمس للقديس غريغوريوس النزينزي النَّاطِق بالإلهيات (اللاهوتي) .

وهذه العِظات البحثية (Orations) صاغها فم الثيؤلوغس في دِفاعياته ضد الأريوسيين في القسطنطينية عام ٣٨٠م ، وتتناول معرِفة الله عموماً وتُركِز على وجه الخصوص على الطريقة التي ترتبِط فيها معرِفة الله بمعرِفة الآب والابن والروح القدس (الثيولوچيا التريادلوچية) .

وتلك العِظات الخمس الشهيرة ، جعلت القديس غريغوريوس النزينزي يستحِق لقب **" النَّاطِق بالإلهيات أو اللاهوتي "** أي الثيؤلوغوس ، والتي وضعته تالياً للقديس يوحنا الإنجيلي اللاهوتي والرَّائي ، الذي كلَّمنا عن اللاهوت وعن اللوغُوس الله الكلِمة كابن ووحيد الآب الذي به ننال ونقبل الروح القدس .

وتُردِّد المدرسة الكبَّادوكية صدى تعليم البابا العظيم أثناسيوس ، في التركيز على أنَّ :

المعرِفة اللاهوتية الكامِلة هي في الثَّالوث [١]

(ΤΗΝ ΕΝ ΤΡΙΑΣΙ ΤΗΣ ΘΕΟΛΟΓΙΑΣ ΕΠΙΓΝΩΣΙΝ)

فاللاهوتي الوحيد الذي يأتي بالحق والكرامة لله هو الذي أوصاه الله لينطِق باللاهوتيات ، ولا يسقُط أبداً عن المفهوم الحقيقي حول الأُلوهية التي للابن الوحيد ومجد الروح القدس [٢] .

يُميِّز القديس غريغوريوس النزينزي بين " الإيكونوميا " و" الثيولوچيا " ويُعلِن أنَّ اللاهوت يختص بالله مباشرةً ، فيقول :

" لكن حينما أقول الله أعني الآب والابن والروح القدس ، ولا شئ على الاطلاق يعلو الثَّلاثة ، إني أتجنب أن أُهوَّد (Judaize) وِفقاً للتوحيد المُطلق (Monarchy) ، أو أن أهللن (Hellenize) بحسب تعدُّد الآلِهة " [٣] .

وما يقِف شامِخاً من بين أعمال القديس غريغوريوس هو عِظاته اللاهوتية الخمس دِفاعاً وشرحاً للتعليم الأُرثوذُكسي الذي قرَّره مجمع نيقية ضد تعليم الأونوميين والمقدونيين ، ودِفاعه عن وحدِة جوهر اللاهوت للابن مع الآب .

وقد تعرَّض لهرطقِة أبوليناريوس الذي حاول حجب بشرية المسيح لكي يُقوِّي بالمُقابِل لاهوت الرب ، فأكَّد غريغوريوس على كمال بشرية المسيح المُخلِّص كما على لاهوته ، فلأنَّ للمسيح بشرية كامِلة ذات نفس إنسانية لذلك بشريتنا نحن بالنَّفْس الإنسانية التي فينا يمكنها أن تخلُص وتنال الاتحاد بالله ، بالشَرِكَة مع المسيح ذي البشرية الكامِلة ذات النَّفْس البشرية مِثلنا .

قدَّم القديس إغريغوريوس التعليم الثيولوچي لا كقضية عقلية تُثير الجدل والخِصام ، لكن قدَّمه في بساطة وحيوية المسيحية بالاعتراف بتثليث الأقانيم في الله مع محبِة الله من كل القلب والاعتراف بوحدانيته مع الطاعة والاتضاع وانكار الذات ، والدِفاع عن الروح القدس مع الاثمار بثِماره من محبة وسلام وبِر ، دون جسارة الادعاء بالعِلْم المُطلق ..

لذلك نجده يقول : " في رأيي أنه من المستحيل أن نُعبِّر عن الله ، وأكثر استحالة أن نُدرِكه ، لأنَّ رِداء الجسد الكثيف عائِق دون فهمِنا الكامِل للحق " .

ويقول أيضاً : " لا نتنازع في الأسماء إذا فُهِمت المعاني " .

جعل مِحور تعليمه وعِظاته هو **عبادِة الثَّالوث القدوس في جوهر واحِد** .

أمَّا القديس إغريغوريوس النِيصي فيرى أنَّ كل من يعطش عطشاً مُتزايداً إلى الثَّالوث يتمتَّع بشَرِكَة وعِبادِة الثَّالوث " من يقوم مُتجِهاً نحو الله يختبِر على الدوام ميلاً مُستمِراً وتقدُّماً مُتزايداً " (٤) .

وركِّز على أنَّ الإيمان يُكمِّل كل ما نقص في معرِفتنا ، ويهبِنا كل ما هو غير منظور عن أسرار الله المُثلَّث الأقانيم (٥) ، لأنه " غالِباً ما ينسِب الإنجيل لله عِبادات تبدو مُناسِبة لنا كي نفهمها " (٦) .

وبحسب الدارِس اللاهوتي چ . بلانيو J. Plagnieux فإنَّ " العمل الكامِل لغريغوريوس النزينزي مطبوع بالعقيدة الثَّالوثية التي تجد تعبيرها الأكمل في العِظات

اللاهوتية الخمس ، التي هي الجوهرة العقيدية والأدبية في المسيحية الشرقية " .

ويقول بلانيو في موضعٍ آخر :

" الثَّالوث هو نقطِة الجذب ومركز الاشعاع في تعليم غريغوريوس اللاهوتي ، ويبدو أنه ركيزة وأساس قصائِده وعِظاته التي تُقدِّم بوجه خاص الملامِح الأساسية للواقِع المسيحي ، والذي يُشكِّل الإطار النهائي للصيَغ الإيمانية التقليدية " (٧) .

أنكر القديس غريغوريوس النزينزي على الأونوميين ادعائهم بقدرتهم على سبر غور طبيعة الله : " لدينا اعتقاد جازِم بأنَّ الله كائِن ، أمَّا ماذا يكون ، فهذا ما ليس لنا عنه فهم كامِل " .

لذلك كان يُنادي بوصف الله بما يُسمَّى **بلاهوت النفي** ، واتضح هذا المنهج في القداس الإلهي الذي تستخدِمه الكنيسة في عِبادِتها الليتورچية :

" أيها الواحِد وحدهُ الحقيقي ، الله مُحِب البشر ، الذي لا يُنطقُ به ، غير المرئي غير المُحوى ، غير المُبتدِئ ، الأبدي ، غير الزمني الذي لا يُحد ، غير المفحوص غير المُستحيل ... " .

وقد استخدِم القديس غريغوريوس لاهوت النفي في مواضِع مُتنوِعة في القداس الغريغوري **" غير موصوفة هي قُوَّة حِكمتك ، ليس شيء من النُّطق يستطيعُ أن يحِد لُجة محبتك للبشر "** .

ويفهم القديس غريغوريوس أسقف نيصُص " اللاهوت الحقيقي " أنه **مجد الثَّالوث الواحِد** ، فيقول في عِظته " قال الله نعمل الإنسان " :

" أتحدث عن لاهوت واحِد One Godhead لأنَّ هذا اللاهوت الذي أراه في الآب ، أراه أيضاً في الابن ، والذي أراه في الروح القدس أراه أيضاً في الابن لأنَّ هيئة واحِدة في كليهِما ... هكذا أيضاً توجد عِبادة واحِدة وذُكصولوجية واحِدة نُسبِّحها ... أعني لاهوتاً حقيقياً واحِداً One True Theology لئلاَّ تُقسِّموا العِبادة ، ومن ثمَّ تُقسِّموا الأُلوهية إلى آلِهة عديدة !! " (٨) .

فاللاهوت (الثيولوچيا) هو التَّسبيح والتَّمجيد الذُّكصولوچي لله ، الآب والابن والروح

القدس ، **وكما أنَّ الثيولوچيا هي الذُّكصولبوجية هي أيضاً التريادلوچية** .

اللاهوت هو التثليث ، وسِر الثَّالوث المُحيي الإلهي يُشكِّل أساس كل التعليم اللاهوتي كما يقول القديس غريغوريوس النِّيصي :

" كل فِكْر energy يصدُر عن الله ويمتد للخليقة ، **يُستمد** من الآب **ويُباشر** بالابن **ويُكمل** بالروح القدس " [٩] .

إذن عمل الله الثَّالوثي (في الاستعلان والخلاص) نحو الإنسان ومن أجل الإنسان ، يجد نظيره في عمل وذُكصولوجية الإنسان الثَّالوثية ، والعقيدة الثَّالوثية هي التي تربُط الاستعلان بالعِبادة وتربُط الله الواحِد المُثلث الأقانيم بالإنسان العابِد المُصلِّي .

إنَّ " عقيدة الثَّالوث " أو " التعليم الحقيقي عن الثَّالوث " هي تقليد دائِم وأبدي في الكنيسة ، وهي ليست من صُنع إنسان بل مُؤسسة على استعلان الله مكتوباً في الإنجيل المُقدس البِشارة المُفرِحة وتقليداً تسلَّمته الكنيسة ، والقديس غريغوريوس النزينزي يعي ذلك جيداً في قوله :

" أوِد ... أن أفهم ولا أقول شيئاً عن الله من عمدياتي " .

لذلك التفكير أو الحديث عن الله في الثَّالوث ليس مجرد تفكير أو حديث بشري ، لأنه فِكْر إلهي وشَرِكَة في حياة الله ... من يستطيع أن يقِف أمامه ومن يستطيع أن يتزكَّى أمامه ومن عرف فِكْر الرب فيُعلِّمه ، وأمَّا نحن فيا لغِنى محبتهِ ورحمتهِ الإلهية إذ أعطانا فِكْر المسيح .

ويتأسَّس اللاهوت الثَّالوثي عند الآباء الكبَّادوك على تعاليم الكِتاب المُقدس أيقونة الله ورسالته إلى خليقته ، فمن يجهل الإنجيل يجهل المسيح ، ويتأسَّس أيضاً على التسليم (التقليد الكنسي) .

فالكِتاب المُقدس والكنيسة وطيدا الصِلة بعضهما ببعض فالواحِد لا يُفهم بدون الآخر ، إذ أنَّ الكنيسة هي الإناء الذي حفظ لنا الإنجيل ، وهي أيضاً صوت الإنجيل الحسِّي والفم الذي يُكلِّمنا به الله ، تلك هي منهجية الآباء الكبَّادوك وتعليم آباء الكنيسة ، الذينَ تمسَّكوا بالعُنصر الشخصي أو الحضور في الكِتاب المُقدس ، لأنَّ الإنجيل ليس كلِمة جامِدة مُطلقة

بل كلِمة الحياة وليس تعليماً مُبهماً بلا معنى ، لأننا لم نتبع خُرافات مُصطنعة ، إنما هو كلِمة الله التي تُختبر على المستوى الشخصي ونُعلِنها أيضاً على المستوى الشخصي فهي كلِمة حيَّة تُحيي وكلِمة فعَّالة تفعل وكلِمة مُميزة تُغيّر وتُقدِّس إلى التمام .

فالإنجيل هو المسيح ربنا مُتكلِماً ، فهو ليس مجرد كلِمات كتبها مرقُس ولوقا ومتَّى ويوحنا الإنجيليين ، الذينَ هم أنفسهم ساقهم روح الله القدوس فأخذوا " ينطِقون بالإلهيات - يُلهوِتون " بعد أن رأوا وسمعوا ولمسوا وعاينوا شخص الله الكلِمة نفسه ومن ثمَّ صاروا **لاهوتيين** .

فأنتَ تحتاج إلى لاهوتي لتنطِق أو تتأمَّل في الإلهيات ، تماماً كما تحتاج لشخص اللوغُوس الله الكلِمة لتُصنع لاهوتياً ، فاللاهوت " الثيولوچيا " والثيولوغُوس " الله الكلِمة " يدُلان على " وظائِف أو أفعال " لأنهما يشترِطان أو يفترِضان مُسبقاً " أشخاصاً " و" عِلاقات شخصية " .

وفي هذا نرى الفارِق بين اللوغُوس البشري في فلسفِة الإغريق أو اللوغُوس التشريعي لليهودية من جهة ، ولوغُوس الآباء الكبَّادوك واللاهوت الآبائي من جهة أخرى .

فلوغُوس الإغريق عقلاني ادراكي مفاهيمي ، واللوغُوس اليهودي فعَّال Active بينما لوغُوس الكبَّادوك المسيحي ادراكي وفعَّال في أنٍ واحِد لأنه جوهرياً وأساساً لوغُوس شخصي Personal Logos .

فالإنسان ليس لاهوتياً لأنه يعرِف اللاهوت أو لأنه يُمارِس التقوى ، بل لأنه هو نفسه في صميم شخصه يصير ويكون لاهوتياً ومن ثمَّ يعرِف ويُمارِس اللاهوت والتقوى الإيمانية المسيحية .

وهذه الأولِية اللاهوتية الشخصية ، التي هي التراث المُتميز للمسيحية ، هي أولوية لها أهميتها وركيزتها الأساسية ، إنها الشرط الأساسي للاَّهوت الآبائي المسيحي ، وأن ننسَ هذا معناه أن نُصبِح عقلانيين ، ومن ثم نُصبِح بلا نُضج وبلا أساس ، لأنَّ الله لا يتجزأ ، هو **" كل الحق "** : الشخص وكل حياته فِكراً وعملاً ، ومادام لا تحيُّز ولا تجزِئة في الله فليس هناك تحيُّز أو تجزِئة في اللاهوت .

ويُوضِح النص التالي للقديس غريغوريوس النِّيصي الأبعاد الشخصية للأَّهوت في الكِتاب المُقدس ، فبعد أن تحدَّث عن العهد القديم " **كنهر نبوي يفيض بالمياه المُحيية** " ، وعن العهد الجديد " **كنهر يفيض بالأطياب الإلهية العَطِرة** " يضيف القديس غريغوريوس :

" كان الإناء المُختار لِسان العِطر بولس ، نهراً يفيض بالأطياب العَطِرة يتدفق وينبُع من فردوس الكنيسة بالروح القدس الذي رافِده كان أريج ورائِحة المسيح ، ومثل هذا النهر كان يوحنا ولوقا ومتَّى ومرقُس وكل الآخرين ، نبتات نبيلة عظيمة الشأن أشجار مُثمِرة في جنة العروس ، تُحرِّكهم تلك الريح القوية بأوج اشراقاتِها فصاروا ينابيع الأطياب التي يفوح عبيرها مُمتزِجاً بعبير الأناجيل " [١٠] .

ويقول بلانيو مُشيراً إلى غريغوريوس النزينزي :

" التوقير الذي يكِنُّه غريغوريوس للكِتاب المُقدس يُفسِر المكانة التي احتلها في عمله وكِتاباته ، وقد اعتبر العهد القديم خورساً جديراً بالكرامة ، فكان يحفظه ويستعين به تماماً كما العهد الجديد ، فكانت هناك انعكاسات وتأثيرات سُليمان الحكيم ومراثي إرميا النبي وتنهُدات وصُراخ المُرنِم داود ، وفوق ذلك كله رُؤى اللاهوتي موسى النبي التي لا تُقارن " [١١] .

ثم يُكمِل بلانيو في موضِع آخر :

" ربط الآباء الكبَّادوك روحانيتِهِم ربطاً وثيقاً بالكِتاب المُقدس ، فالقديس غريغوريوس النِّيصي مُقتفِياً نهج وخُطَى القديس باسيليوس ، يُؤسِّس هارمونية وتناغُم الأعمال المعروفة بالكلاسيكيات Classics مع كُتُب سُليمان الثَّلاثة " :

" **فالأمثال** يتناغم مع الرؤيا العملية (النُّسكية) ، **والجامِعة** مع اللاهوت الطبيعي ، وأخيراً **نشيد الأناشيد** مع اللاهوت " [١٢] .

ونجِد القديس باسيليوس الذي كانَ كسفينة موسوقة بالثقافة اليونانية ، يصِف اختبار دِعوته في رسالته ألـــ ٢٢٣ حيث قال :

" صحوت يوماً كما يصحو النائِم من رُقاده العميق ولمحت النور الباهِر المُشرِق من

تعليم الإنجيل فعرفت بُطلان الحِكمة التي كنت قد تعلَّمتها ، وأدركت زوالها " .

لذلك نجده لم يشتق أفكاره من الميتافيزيقيات الأفلاطونية ، مُؤكِداً على أنَّ القُّوة الحقيقية تكمُن ليس في المعرِفة بل في الحُب الذي هو أساس الشَركَة .

ركّز القديس باسيليوس على أنَّ الكِتاب المُقدس هو أساس كل معرِفة لاهوتية لذلك يقول :

" حيث صمَتَ الكِتاب المُقدس ، على عُلماء اللاهوت أن يصمُتوا أيضاً وألاَّ يشغِلوا الناس بمُجادلاتِهِم ، فالإنسان يعرِف الله **بحِفظ وصاياه** وليس باثارِة الأسئِلة عن الأشياء العالية عن أفهامِهِم ، وليس بكثرِة التفكير في الأشياء التي لا يراها الناس " .

وهو بهذا يريد أن يُؤسِس عِلْم لاهوتي مُثمِر يجمع إليه كل اللاهوتيين الحقيقيين الذينَ يأخذون عِلْم اللاهوت مأخذ الجد في حياتِهِم .

وتأكيداً لدور الإنجيل في الثيولوچيا نجِده يرُد على الهراطِقة الذينَ جعلوا من اللاهوت لا بلوغاً إلى الحق بل مزيداً من الجَدَل :

" نحن نرفُض أن نقبل إيماناً جديداً ، يضعه لنا الآخرون ، ولسنا في جسارة حتى نكرِز بأفكارنا الشخصية ونُحوِّل كلِمة الإيمان إلى كلام بشري لكننا نكرِز بما علَّمنا إياه تقليد الكنيسة ، وكما علَّمنا إياه تقليد الآباء القديسين ، هكذا نتكلَّم ونُعلِن لكل من يسألنا " ، وهو في هذا يربُط بين الثيولوچيا والإنجيل والكنيسة وتفسير الآباء .

ويُوجِه القديس أنظارنا نحو المسيح فيقول :

" ثبِّتوا عيونكم على السماء على شمس البِّر ودعوا وصايا الرب تقودكم ، كما تقود النجوم المُتلألِئة السُّفن " .

اعتبر القديس أنَّ **اللاهوت هو الصَّلاة** :

" الصَّلاة ليست فقط كلِمات نُردِدها ، بل هي اتحاد بالله طوال رحلِة الحياة فتُصبِح حياتك كلها صلاة واحِدة بلا اعاقة ولا انقطاع " .

أمَّا اللاهوت الكامِل في الثَّالوث ، فقد وجدهُ الآباء الكبَّادوك في العهد القديم ، وقد وجد

الشقيقان باسيليوس وغريغوريوس الثَّالوث في كلِمات التكوين (١ : ٢٦) " لنعمل الإنسان .... Let us make man " .

وكما يصيغها القديس باسيليوس القيصري :

" هناك تظهر عقيدة الحق " (١٣)

ثم يُضيف " أنه نور اللاهوت الذي يُشرِق كما من كُوَى (تك ٢٦ : ١) لم يقُل لأعمل الإنسان بصيغة المُفرد بل " لنعمل الإنسان " (١٤) ، يقول ذلك لكي تفهموا معنى السيادة أي لكي لا تجهلوا الابن في معرِفة الآب ولكي تفهموا أنَّ الآب خلق بالابن والابن خلق بمشيئة الآب وهكذا تُمجِّدون الآب في الابن والابن في الروح القدس ، أنتم هكذا عمل مُشترك كي تصيروا أيضاً عابدين مُشتركين في بركِة الثَّالوث ، دون أن تفصِلوا أو تقسِموا العِبادة ، بل تُوحِدون الأُلوهية ولاهوت القُدرة " (١٥) .

ويُؤكِد القديس باسيليوس على قُدرِة الله الخالِق فيقول " الأمر في ذاته عمل " .

ثم يُلاحِظ القديس غريغوريوس أنَّ التَّكوين (١ : ٢٧) لم يقُل :

" " وخلقوا الإنسان " .... ولكن " فخلق الله الإنسان " حتى توحدوا الأُلوهية لكن لا تُوحِدوا الأقانيم فيكون لكم مجد واحِد غير مُنفصلين في العِبادة ودونَ أن تُقسِّموا الله إلى آلِهة مُتعدِدة " (١٦) .

فبالنسبة للآباء الكبَّادوك ، لا يمكن أن يُقرأ العهد الجديد قراءة مُناسِبة وصحيحه بمفرده خارِج سياق ووجدان كنيسة الله الحي ، فالنصان الوارِدان بتكوين (١ : ٢٦ ، ٢٧) هما " كُوَى " تنفتِح على اللاهوت الكامِل للكنيسة الكائِن في الثَّالوث ، ويُوجِز هذا المفهوم على يدي القديس غريغوريوس في نفس العمل كالأتي :

" الآب أُقنوم (شخص) حقيقي مُميز Proper والابن حقيقي مُميز والروح القدس حقيقي مُميز ، لكن يوجد إله واحِد (لاهوت واحِد) هذا هو اللاهوت الذي أراه في الآب ونفسه في الابن ، اللاهوت الذي أراه في الروح القدس ، ونفسه في الابن ، لأنَّ هيئة واحِدة في كلٍ منهم ، وهناك بِدء واحِد (Αρχή) من الآب في الابن ومن ثمَّ توجد بِنية عبادة واحِدة وذُكصولوجية واحِدة ، و(تك ١ : ٢٦) وما بعدها هي بِداية ومُقدمة خِلقتنا

وتكويننا وبداية اللاهوت الحقيقي " [١٧] .

وتوجد نُصوص أخرى في العهد القديم يرى اللاهوتيون الكبَّادوك أنها تكشِف سِر اللاهوت الذي في الثَّالوث [١٨] ، وهنا اللاهوت الكامِل حيث التنبؤ بمجئ المسيح في الجسد [١٩] ، مع أنَّ اللاهوت في العهد القديم قد استُعلِن مُكتنِفاً بالغموض (مستور) كما في مرآة ، لكن بلغ اللاهوت في العهد الجديد كل مِلء قُوَّتِهِ حيث استُعلِن لنا الآب والابن والروح القدس روح الحق ، كما يقول القديس غريغوريوس النزينزي في رسالة مشهورة:

" لقد أخذت على عاتقي هذه المُهمة ، أن أحدِس ما يخُص اللاهوت ، هذا بالنسبة للعهد القديم ، لكننا في العهد الجديد نصِل إلى الكمال من خلال الجمع ، لأنَّ العهد القديم أعلن عن الآب فقط جهراً لكن بشكل مستور عن الابن ، بينما استُعلن الابن في العهد الجديد ونبَّهنا إلى أُلوهِية الروح القدس " [٢٠] .

هكذا يكون العهد الجديد " جديداً " ، في أنه يُستعلن مِلء السِّر الذي كانَ " مكتوماً منذ الدُّهور في الله " (أف ٣ : ٩ & كو ١ : ٢٦) وهو جديد بالقدر الذي يتأسَّس فيه على الاستعلان الفائِض بالنِّعمة لله الواحِد المُثلث الأقانيم Triune God ، فالعهد الجديد " استُعلِن " الابن ، وأوحى وأشار إلى روح الحق وعلَّمنا أن نُوقِر ونُكرِّم الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ... لاهوت واحِد ، مجد واحِد ، جوهر واحِد ، وملكوت واحِد ... [٢١] .

وهذا اللاهوت الكامِل للعهد الجديد علَّمه الإنجيليون والرُّسُل [٢٢] ، لا من الناس ولا بإنسان كما يقول القديس بولس في (غل ١ : ١) بل " بقوة الروح القدس " [٢٣] .

ونجِد أنَّ القديس باسيليوس الكبَّادوكي دافع عن الأُرثوذُكسية النيقاوية وكان لاهوتياً ثالوثياً أي لا يُغفِل عمل أي من الأقانيم الثَّلاثة في تدبير الخلاص فربط **الثيولوچيا الترياداوچية بالإيكونوميا الإلهية** ، ورأى في عقيدة الثَّالوث جوهر العقيدة المسيحية فكما أنَّ الابن تجسَّد ليُكمِل الخلاص للبشرية هكذا الروح القدس يأتي بالتقديس والتثبيت :

" خلاصنا ثابِت على أساس الآب والابن والروح القدس " .

ويُميز الآباء بين الإيكونوميا (التدبير الخلاصي) والثيولوچيا (اللاهوت) [٢٤]

ويتضِح ذلك في تفسير أعمال الروح القدس (الإبركسيس) : " ليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أنَّ الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً " (أع ٢ : ٣٦) ، ويشرح القديس باسيليوس هذا التمييز ، فالابن المُتجسِد لوغُوس (كلِمة) الله هو مركز الإيكونوميا (التدبير) والثَّالوث المُبارك هو **مركز اللاهوت** .

والإيكونوميا تستلزِم الاخلاء Kenosis والاخلاء هو سِر المسيح المُخلِّص ، السِّر الأعظم مخافة ، سِر التجسُّد وميلاده من عذراء وآلامه وموته على الصليب ونزوله إلى الجحيم وقيامته وصعوده إلى السموات ومجيئه الثَّاني الآتي من السموات المخوف المملوء مجداً (الباروسيا Parousia) [٢٥] .

واللاهوت يستلزِم لوغُوس (Λόγοσ) المجد الأبدي ، أي مجد الآب والابن والروح القدس [٢٦] ، وخليق بنا أن نُؤكِد على أنَّ الثيولوچيا والإيكونوميا لا يمكن فصلهِما ، بل على العكس فإنَّ كل سِر الثَّالوث يُستعلن في كل سِر المسيح والعكس صحيح ، ولكن السِّرين لا خلط بينهما أبداً .

ويربُط القديس باسيليوس القيصري بين **الثيولوچيا التريادلوچية وبين الذُّكصولوجيا** فيقول :

" أفضل شئ أن نُشارِك خوارِس السماء ونحن لازِلنا على الأرض ، فليس هناك أفضل من أن نبدأ النهار بالصَّلاة وتمجيد الخالِق بالترانيم [٢٧] " .

ويتكلم القديس عن تسبيح الله الثَّالوث فيقول :

" نُسبِّح الآب والابن وروح الله القدوس " [٢٨] .

وعن عظمِة الثيولوچيا ومجد اللاهوت يقول القديس باسيليوس القيصري :

" تثِق بلا شك أو تُردِّد مُقتنِعاً أنَّ كل كلِمة قالها الله هي حقيقة حتى وإن كانت ضد الطبيعة " [٢٩] .

ويُركِز القديس باسيليوس على الإيمان وكلِمة الله كأساس للثيولوچيا فيقول :

" الإيمان يأتي بالسمع والسمع بكلِمة الله " .

ويذكُر التقليد التاريخي الكنسي أنَّ الآباء الثَّلاثة المُلقبين بالآباء الكبَّادوك التحفوا بالنُّسك وأحبوا الجمال والعِشق الإلهي بلوغاً إلى معرِفة أعمق للثيولوچيا ... حتى أنَّ القديس غريغوريوس النزينزي ، منذ أخذ يعي التمييز بين الخير والشر ، هام بحب التبتُّل بسبب حِلم رأى فيه فتاتين عذراويتين : العِفة والطهارة ، تدعوانه إلى الصعود معهما حتى **بهاء اللاهوت** [٣٠] ، وكلنا يعرِف أنَّ القديس غريغوريوس وهبته أُمُّه للرب ، تلك هي الركائِز التكريسية النُّسكية التي اعتبرها الآباء كل الآباء أساساً ومدخلاً لمعرِفة اللاهوت ... ويشترِك أيضاً معه في هذه الحياة القديس باسيليوس الكبَّادوكي الذي كان بلا زوجة بلا قِنية بلا لحم ، ويكاد يكون بلا دم .

ويرى الآباء الكبَّادوك أنَّ الإنجيل سبيلنا إلى الثيولوچيا لذلك يقول القديس إغريغوريوس النّيصي :

" في فِن الرسم ، من يتأمل صورة تكونت باستخدام الألوان بطريقة ماهِرة لا يقِف بصره عند حدود الألوان ، بل بالحري يتطلع إلى الشكل الذي أوجده الفنان بألوانه ، هكذا يليق بنا في قراءِة الإنجيل ألاَّ نقِف عند مادّة الألوان ، بل ننظُر شكل الملِك (اللاهوت) الذي تُعبِّر عنه مفاهيم الذِهن الطاهِر خلال الكلِمات " .

" لقد بلغ بهاء **اللاهوت** إلى الكنيسة عن طريق الأنبياء أولاً ، وأخيراً بإعلان الإنجيل زالت ظِلال الرموز بتمامِها " .

" سِر اللاهوت تحقَّق خلال رسالة الإنجيل وهو وحده حُلو بالنسبة لله ، ويُحسب أسمى من كل أطايب الشريعة ، فلم يعُد مخفياً وراء رمز أو ظِل ، بل تفوح منه رائِحة إعلان الحق الواضِح والمكشوف أطيب من كل الأطايب " .

وعن كينونِة الله ووجوده يقول القديس غريغوريوس النزينزي :

" الله دائِماً كان ويكون وسوف يكون ، إنه دائِم الكينونة (الوجود) ، جمع في نفسه كل الكينونة ، لأنه ليس له بِداية ولن تكون له نِهاية ، فهو يُشبِه إلى حدٍ ما بحراً عظيماً للكينونة بلا حدود وبلا قيود مُتخطِياً كل مفهوم للزمن والطبيعة " .

ويرتكِز فِكْر الكبَّادوك حول بؤرتين : **وحدِة الأُلوهية** (الجوهر) ، **وتمايُز الأقانيم**

الإلهية الثَّلاثة ، ويختص اللاهوت بالأُلوهية الواحِدة (اللاهوت أو الجوهر الواحِد) الذي (أي الجوهر) يتمايز أُقنومياً [٣١] .

وهذا ما يتحدَّث عنه القديس غريغوريوس مُفسِراً (يو ١ : ٩) :

" " **كان النور الحقيقي** " كان هذا هو النور الحقيقي الذي يُنير كل إنسان أتياً إلى العالم ، أي الآب كان هو النور الذي يُنير ... أي الابن كان هو النور الذي ... أي الروح القدس الباراقليط .. كان هو ، كان هو ، كان هو ، لكن " الواحِد " (كانَ) النور والنور والنور ولكنه نور واحِد ، إله واحِد ، وهذا ما أدركه داود من قبل حينما قال " **بنورك نُعاين النور** " والآن قد رأينا ونُعلِن ، من نور الآب نفهم (نعرِف) الابن نوراً ، وفي نور الروح القدس ، نُعلِن لاهوتاً ثالوثياً واضِحاً [٣٢] " .

فاللاهوت الحقيقي إذن يستلزِم بالضرورة الاعتراف بالأقانيم الثَّلاثة [٣٣] ، وأيضاً الإعلان عن وحدانية الجوهر للأقانيم الثَّلاثة [٣٤] .

وحينما نُشير إلى طبيعة الله الغير مُنقسِمة والتي هي العِلَّة الأُولى ، نتقابل مع الله الواحِد ، وحينما نُشير إلى الثَّلاثة في عِبادتنا الذي فيهم كائِن اللاهوت ، نتقابل مع الثَّالوث [٣٥] .

الآب والِد (لاهوتياً وبدون استقصاء) ، وباثِق (لاهوتياً بدون فحص) .

والابن مولود (بدون هوى ولا شهوة ، ولا زمنياً ولا جِسدانياً) .

والروح القدس مُنبثِق من الآب [٣٦] .

وهناك أسماء مُشتركة للاهوت (الأُلوهية) مثل : الله – الكُلي القُدرة – الرب – المِلك – إلخ ، وأسماء خاصة أو ذاتية لكل أُقنوم Person مثل :

الآب والابن والروح القدس [٣٧] .

واللاهوت كإعلان للأقانيم الثَّلاثة أو كتمجيد وتسبيح لاسم الله الذاتي الآب والابن والروح القدس لا حدود له ، وحق الثَّالوث لا يُعبَّر عنه ولا يُستقصى ولا يُستهلك أو يُستنفذ .

ويستعمِل القديس غريغوريوس النزينزي اللاهوتي قول أفلاطون " من العسير أن نُفكِّر في الله لأنَّ الحديث عنه مُستحيل للغاية وإلى المُنتهى " (٣٨) .

لذلك يحثنا القديس على رؤية كمال المعرِفة العظيم ، لأنَّ الأمور القديمة عبرت ، الحرف انتهى وتقدَّم الروح ، الظِّلال هربت وجاءَ إلينا الحق .

فاللاهوت لا يمكن اختزاله إلى حقائِق ادراكية موضوعية ، ولا يمكن حصره وتحديده في أيَّة تعريفات أو مدلولات ومقولات !! لهذا يتحدَّث الآباء الكبَّادوك عن سِر اللاهوت (٣٩) والسِّر لا يعني هنا شئ غامِضاً ومُبهماً على وجه الاطلاق لكن السِّر يُدلِّل على شئ يسمو فوق محدودية الأفهام ويعلُو على كل المُدركات والمنهجيات ، لذلك يقول النزينزي " لا تنشغِل في تأمُّلك في كيفية اللاهوت ، لأنَّ هذا أمر عالياً وتكريم هذه الحقائِق ينبغي أن يكون في صمت لأنه أمر عظيم فائِق " .

فأن " تعرف الله " هو أن " تتلامس مع " سِرُّه !! لا أن تمسِك هذا السِّر وتُطبِق به في عقلك وذهنك ، ولا أن نُصيغه بلغتنا وأفواهنا البشرية !! لذلك يقول القديس باسيليوس :

" لا تجرِ وراء فحص غير المفحوص ، آمِن فقط بالمكتوب ولا تجرِ وراء ما لم يُكتب " .

ويرى الآباء الكبَّادوك أننا حينما نُريد أن نُخضِع اللاهوت للتساؤُلات والجدالات والمنطِق ، نبعِد عن هذا السِّر بل ونُحوِّل الثيولوچيا إلى تكنولوچيا !!

لذلك نجِد في كِتابات القديس غريغوريوس النِّيصي ضد أُونوميوس الأريوسي ، بخصوص سِر ميلاد الابن الإلهي (التجسُّد الإلهي) :

" يختلِف سِر اللاهوت عن فسيولوچية الأجساد البشرية ، فكيف تمزِج بالكلام تلك الكيانات التي لا تقبل المزج ؟ (أعني التدبير الإيكونوميا الإلهي مع المخلوقات ؟) ، كيف نستطيع أن نتكلَّم بألفاظ رديئة وباهِتة فنُقلِّل من طهارِة ونقاوِة الميلاد الإلهي ؟ كيف تتجاسر يا أُونوميوس وتتحدث بالتقنية الشريرة عن اللاجسداني باستخدام شهوات الجسد ؟ " (٤٠) .

وتحدَّث القديس غريغوريوس النِّيصي في مواضِع مختلفة عن التكنولوچيا بأنها

" كاكوتيكني " أي تقنية شريرة وبأنها " تقنية شريرة أرسطوطالية " ، والمقصود اخضاع الأسرار الإلهية للمنطِق البشري واخضاع تدبير الخلاص للمنطِق الفلسفي الأرسطوطالي [٤١] .

ويقول القديس باسيليوس أنَّ " سِر اللاهوت " يتطلب قبول الإيمان البسيط الغير مُشوش ولا مفحوص لأنَّ الإيمان هو اختبار اليقين بحقائِق منظورة ، لذلك علينا أن لا نرتئي في معرِفة أو مُعاينة ما يقع فوق حدود ادراكنا ولا نجعل من موضوع رجائنا شئ غامِض ومُلتبِس [٤٢] .

ويتحدث القديس باسيليوس عن الاختراعات والابتداعات فيقول :

لقد أهملنا عقائِد الآباء وأضعفنا التقاليد الرسولية ، وصارت ابتداعات الناس واجتهاداتِهم هي المعايير الجديدة في الكنيسة !! لهذا راح الناس يتحدَّثون بتقنية شريرة بدلاً من أن يتأملوا لاهوتياً بحق ، لقد صار لحكمة هذا العالم الأولوية على افتخار الصليب !! [٤٣] .

ويُؤكِد غريغوريوس النزينزي على أنَّ اللاهوت ليس لكل أحد ، فهو ليس مجرد شئ من السهل أن يكون في مُتناول يد كل أحد [٤٤] .

لذلك اكتفى القديس باسيليوس بالصمت مُعترِفاً بأنَّ أفضل شئ أن يعترِف الإنسان بجهله في الأمور اللاهوتية فهذا أقل خطورة من أي شئ آخر ، واعتبر أنَّ التأمُّل الروحي في السِّر الإلهي والذُّكصولوجيا بالتَّسبيح الخاشِع هو الغاية الحقيقية لكل عِلْم لاهوتي .

وكان اللاهوتي الكبَّادوكي باسيليوس القيصري مُشتاق إلى مسيحية أصيلة لها اتصالها بالعلوم اللاهوتية ، ورأى أنَّ ذلك لن يتحقق إلاَّ بالعودة إلى بِدايات المسيحية ، فهي قادرة على التغلُّب على الأخطاء الهرطوقية .

وتبع القديس غريغوريوس – مثل بقية الآباء الكبَّادوك – النهج النُّسكي للتقليد السكندري الذي يعود إلى العلاَّمة أوريجانوس ، فالتطهُر من الشهوات شرط أساسي وجوهري لمعرِفة الله :

" يجب أن ترتفِعوا إلى فوق بحياتكم ، عليكم أن تقتنوا الطاهِر بطهارتكم ، هل

ترغبون في أن تكونوا لاهوتيين مُستحقين للالوهية ؟ احفظوا الوصايا ، اسلُكوا بحسب القوانين الروحية لأنَّ الأعمال الصَّالِحة تقود إلى الرؤيا [٤٥] " .

وفي موضِع آخر في نفس المبحث يكتُب القديس غريغوريوس :

" ... لقد أدركت أنَّ لا أحد يستحِق عطية الله العظيم الذَّبيح والكاهِن الأعظم ، إن لم يكن قد قدَّم نفسه قبلاً ذبيحة حيَّة لله ، أو لم يعُد بعد هيكلاً حياً لله الحي ، فكيف لي أن أنطِق بالكلِمات الخاصة بالله أو كيف أقدِر أن أقبل الذي يتناولها باستعلاء وذات ... ليست الرغبة كل شئ ، لأنَّ النُّطق بالإلهيات أمر مرغوب وعالٍ عن الأفهام !! لهذا أريد أن أتوب وأُطهِّر نفسي لأتمتع بمُعلِّم الطهارة ... إنَّ التطهير ليس أمراً سلبياً تماماً بل هو جِهاد ايجابي لا يقِف عند التحرُّر من الشهوات بل يمتد إلى اقتناء الفضائِل [٤٦] " .

والقديس غريغوريوس يصيغها هكذا :

" الذي انشغل باللاهوت عليه أن يُثبِّت أنَّ حياته مُتفِقة مع الإيمان ، ولا يستطيع أن يفعل ذلك إلاَّ بقمع الجسد واستعباده والنمو في الفضيلة ، والفضيلة توصلنا إلى الشَركَة مع الله ، وبها نصير في استحقاق لزيت المسحة الإلهي [٤٧] " .

وبخلاف التطهُّر (النقاوة) (Κάθαρσισ) يعتبِر القديس غريغوريوس اللاهوتي أنَّ السكينة والخُلوة والانقطاع عن ضجيج العالم الذي صاغته الانشغالات هي ضرورة وشرط لازم للاهوت .

والسَّكينة الداخلية (Σχολή) تعني الانعتاق من الانشغال بالعالم ارادياً لنتمتع بالهيزيكيا ، لأننا نتأمل الإلهيات فقط حينما نركِن إلى السكون والخلوة والصمت المُقدس مُتحررين من حمأة طين الخطية والطياشة والارتباك بالأباطيل الخادِعة .

ليس اللاهوت مجرد واحِد من انشغالاتنا اليومية ، فالإنسان لا يستطيع أن يتأمل أو ينطِق بالإلهيات بنفس الأُسلوب الذي يتحدَّث به عن أمور العالم ، فمن الضروري أن نسكُن ونهدأ عن كل اهتمام بشري ، لكي نعرِف الله ، وعندئذٍ نتأمل الطريق المُؤدي للأَّهوت .

تلكَ السَّكينة وهدوء النَّفْس التي بها نرى مجد اللاهوت هي أهم لنا من أن نتنفس [٤٨] .

يقول القديس باسيليوس إنَّ تذكُّر الله أمر تَقَوِي صانِع للخيرات ، لكنه يعتبِر الكلام عن الله أمراً فيه جسارة ، فكيف نعرِض أُعجوبة اللاهوت للمُخاطرة بالكلمات وقصُور اللغة [٤٩] .

أخيراً يتحدَّث القديس غريغوريوس عن الشَرِكَة (ميتوسيا) بأنها الملمح اللاهوتي الصحيح ، وهو يُعلِّم بأنَّ اللاهوت النقي الغير مُختلط يجعل الإنسان مُرتبِطاً بالله [٥٠] .

ويعرِض القديس غريغوريوس النِّيصي نفس الفِكرة :

المعرِفة من خلال التعمُّق هي الشَرِكَة

فالشَرِكَة هي السبيل لمعرِفة الله واللاهوت ، ولا يقدِر الإنسان أن يدنو إلى أعتاب الإلهيات بعقله ، لأنه لن يجد الله إلاَّ في شَرِكَة الثَّالوث فيستريح المثيل إلى مثيله [٥١] .

ويكتُب القديس غريغوريوس النِّيصي في مبحثه اللاهوتي العميق عن " حياة موسى ":

" اللاهوت حقاً هو جبل صعب المُرتقى ، قلَّما يقدِر الإنسان بلوغه ، ويصِل معظم الناس إلى سفحه فقط " [٥٢] .

ويستعين القديس باسيليوس بمقولِة إشعياء النبي :

" هلُمَّ نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب " (إش ٢ : ٣) فيصِفها قائلاً : هلُمَّ نصعد إلى ارتفاع اللاهوت ... ومع هذا فإنَّ الطريق لبلُوغ ارتفاع أو قمة اللاهوت " ذلك الجبل العالي الصعب المُرتقى " ليس انجازاً بشرياً أو جِهاداً إنسانياً من خلال النُّسك ، بل هو أساساً هِبة من الروح القدس ، فالروح القدس يُنير الطريق لمعرِفة الله ، يُوصي الأنبياء ويُعطي حِكمة للمُشرعين ويقود الكهنة للكمال ، إن قاد العشَّار جعله إنجيلياً ، وإن أرشد صياد السمك جعله لاهوتياً ، وإن وجد مُضطهِداً جعله رسولاً للأُمم وكارِزاً لسان عِطر وإناء مُختار [٥٣] .

لذلك يتحدَّث القديس باسيليوس عن : " اللاهوتيات التي سُلِّمت لنا بالروح القدس " ، فالإنسان الذي يُجاهِد بطهارة واستنارِة الروح القدس يدخل إلى " الخبائية الإلهية " (Θείοσ γνώφοσ) أو السِّر الإلهي المستور والمخفي ، الذي يتطلب التلامُس مع الحضرة الإلهية ومعرِفة الله الغير مُستقصاة .

وبحسب القديس إغريغوريوس النزينزي فإنَّ السِّرية الإلهية تعني :

" ما نسعى إليه يقع خارِج حدود الفهم البشري لأنه مُغطَّى من كل ناحية كما هو دائِماً باللادراك (Ἀκαταληφία) كما بنوع من السَّحاب لهذا فإنَّ المُرتفِع يوحنا ، الذي دخل في عُمق هذه السَّحابة يقول : الله لم يرهُ أحد قط ، فمعرِفة الكيان الإلهي لا يمكن بلوغها (Ανέφικτον) لا من جهة البشر فقط بل لكل الطبيعة الروحانية ، [٥٤] حقاً إنه كلما اقترب الفِكْر من الله بالتأمُّل كلما أدرك أكثر خبائِية ولا منظورية الطبيعة الإلهية [٥٥] " .

وقدَّم القديس غريغوريوس تعبيراً كلاسيكياً عن هذا المبدأ اللاهوتي :

الله بلا حدود ولا يمكن أن يراه أحد والشئ الوحيد الذي يمكن ادراكه عنه هو لامحدوديته ἀπειρία . [٥٦]

وتُؤكِد كِتابات القديس غريغوريوس النِّيصي على أنَّ اتجاهاته اللاهوتية تقِف على صخرة إيمان الكنيسة الأُم ، فركّز على التعليم الايجابي بدلاً من مجرد اثبات العقائِد ، واعتبر أنَّ محور كل تأمُّل هو المسيح .

يرى القديس أسقف نيصُص أنَّ **عِلْم اللاهوت ينتهي عند العِبادة** ، واتحاد الحب مع الله غير المُدرك وغير المفحوص .

انشغل بالوحدة الجوهرية داخِل الثَّالوث والتعليم عن التجسُّد والفِداء في كِتابه " التعليم العظيم " .

ربط القديس بين عِلْم اللاهوت والحياة فَسَدْ الفجوة بين عِلْم اللاهوت النظري وقضايا الإنسان .

ركّز على التطهير والتقديس الإلهي للنَّفْس كأساس للمعرِفة الثيولوچية ، مُستنِداً على اهتمام الأسفار بايضاح هذه التداريب الروحية ، ففي حياة موسى النبي كما وفي حياة وكِتابات الرسول بولس في العهد الجديد نجِد هذا التعليم : " سِفر النشيد وثيقة مُفعمة بالتقوى السِّرية ، فالتطويبات التي فاه بها الرب تكمُن ليس في المعرِفة عن الله ، بل في أن يكون الله داخِل النَّفْس " [٥٧] .

فالنَّفْس مُرتحِلة دائِماً في رحلة طوباوية إلى الله لا يمكن أن تنتهي ، وستصِل إلى

وحدة من أعجب ما يمكن بين السَّلام والحركة ، والنَّفْس المُنطلِقة تُشبِه مياهاً تنساب نحو الله ، فيها عُمق الينبوع وجريان النهر ، إنها مُمتلِئة من الله كما من دفق دائِم ومُشتعِلة بنور كما من شُعلة ومحمولة عالياً بالروح كما على مركبة ، وكل من اختبر هذا سوف ينقِل ما تعلَّمه .

ونلمس من تعليم القديس إغريغوريوس النِّيصي ، أنَّ البنية العامة لعِلْم اللاهوت ترتكِز على **معرِفة الحياة** معرِفة المحبة معرِفة الشَرِكَة لا على **المعرِفة النظرية** ، ففي هذا الصدد يقول :

" إنَّ خلاصنا يستمِد كفاءته من شئ أكثر من التعليم ، إنه يستمِد كفاءته من ذاك الذي دخل في شَرِكَة مع الناس " .

ورأى القديس أنَّ الثَّلاثة تقديسات ، وتكرار كلِمة " قدوس " ثلاث مرَّات ، إنما تُعلِن عن مجد الثَّالوث .. وفي هذا المنهج تتأكد **رابِطة الثيولوچيا الثَّالوثية بالذُّكصولوجية** ، فبواسِطة السيرافيم أعلن سِر الثَّالوث بوضوح ، عندما نطقوا بتسبيح كل أُقنوم من الثَّالوث .

يُؤكِد القديس إغريغوريوس النِّيصي على أنَّ الله يُدرِك في ذاته كل الخليقة العاقِلة لكي تبقى موجودة مضبوطة بقُوته التي تضُم الكل .

واللاهوت عند الآباء الكبَّادوك يتميَّز بمنهجه الخاص الذي يتفِق وطبيعته ، فهو يتضمن خبرة الإنسان الروحي الذي يُوهِب نِعمة الشَرِكَة السامية العالية .

واللاهوت يتسِم بخاصيته الجموعية ، فيجِب أن نكرِز بإنجيل الخلاص للأرض كلها ، فالثيولوچيا هي **إنجيل الخلاص** ، وللاهوت خاصية الجموعية لأنه لاهوت الكنيسة الجامِعة التي تمتد من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها [٥٨] ، فهو يشمل كل الناس كل الشعوب وكل القُطعان ، الذينَ يجدون راحتهم على وجه الخصوص في تلك الهِبة العظيمة [٥٩] ذلك اللاهوت الذي يجمع البشر مع الملائِكة معاً في رباط وشَرِكَة واحِدة [٦٠] .

إنه المفهوم الذُّكصولوچي ، أي استعلان مجد الله الذي يُشارِك فيه الإنسان بالتَّسبيح والعِبادة الليتورچية ، وفي هذا المضمون هناك :

الحياة والمعرِفة

الله والإنسان

السماء والأرض

الزمان والأبدية

هناك المِلء – البليروما ، الذي يتجاوز كل تجزأة وتفريق ليصِل إلى الانقضائية (باروسيا) ، بلوغاً لتأسيس ملكوت الله الأبدي بين الناس .

مراجِع الفصل

1) On Isaiah 1, P.G. 30, 169 C.

2) P.G. 29, 284 C – 285 A.

3) Orat. 38 On Theophania, P.G. 36, 320 B, cf. also Orat. 45, On Holy Easter, P.G. 36, 628 C.

4) Sermon 8.

5) From Glory to Glory, N.Y. 1977. ch. 1 : 10.

6) Answer to Eunomins`s Second Book N.P. Frs, Series 2, vol 5, p. 293.

7) Orat. 38 On Theophania, P.G. 36, 320, B, p. 172.

8) P.G. 44, 260 D.

9) That there are not three Gods. P.G. 45, 125 C.

10)On the Song of Songs, Orat. 10 P.G. 44, 985 A B.

11)Ibid., P. 39.

12)Ibid. P. 40 cf. J. Danielou: Platonisme et Theologie Mystique, Paris 1944, P. 10.

13)Basil, On the Exaemeron, 9 P.G. 29, 205 A & Hom. In Mam. Mart. 4, Ep. 140, 2 ad. Eccl. Ant.

14)Ibid. , P.G. 29, 204 C.

15)Gregory Of Nyssa, On the "Let us make man … " P.G. 44, 260 C.

16)P.G. 44, 260 D, cf also St Basil, Ibid. P.G. 29, 208 A.

17)P.G. 44, 260 D.

18)CF. Basil on Ps. 1, P.G. 29, 213 B.

19)Gregory Naz. Or, 31, 3, P.G. 36, 136 B C. Gregory Nyssa Ag. Eunom Or. 5 ed. By W. Jaeger, vol II, P. 110, 1 – 5 or P.G. 45, 684 A.

20)Gregory Naz. Or, 31: 26 P.G. 36, 161 C.

21)Gregory Naz. Or, 28, P.G. 36: 164 C D.

22)CF. Basil`s Statement about St. John Hom. 16, P.G. 31, 477 C D, & P.G. 31, 473 A, 480 A, Or Greg. Nys. Ag. Eunom. IV, P.G. 45, 624 A etc.

23)CF. Basil`s Statement in Anatreptikos, P.G. 29, 601 B C.

24)Basil, P.G. 29, 577 A, cf. Acts 2 : 36.

25)CF. Plagnieux, P. 176 FF.

26)Greg. Naz. Or, 28, 1. P.G. 36, 25 CD.

27)St. Basil, Letter 11 : 2.

28)St. Basil, On Holy Spirit, ch. XXIX: 73.

29)St. Basil, The Morals 8 : 1.

30)Carmen IV. V, or, 1, 77 – Greg. Naz. or. 19.

31)To Thalassius, P.G. 36, 28 A.

32)Or 31: 3, P.G. 36, 136 B C, cf. also Or. 23, 11, P.G. 35, 1161 C.

33)CF. Basil Ep. 258, P.G. 32, 124 D.

34)CF. Greg. Nyss. P.G. 45, 124 D.

35)Greg. Naz, Or. , 31, 14 P.G. 36, 144 A.

36)Or. , 28, 2, P.G. 36, 76 B.

37)Or, 30 – 19, P.G. 36, 128 B C, cf. Greg. Of Nyssa, P.G. 45, 144 A B, 756 B C, etc.

38)P.G. 36, 29. & on the Theophany, Or. 38: 2.

39)CF.Basil P.G. 30, 105 A, 621 A, or Gregory of Nyssa P.G. 45, 625 B.

40)P.G. 45, 625 C D and 300 D and Greg. Naz. Or., 31, 18 P.G. 36, 153 A.

41)P.G. 42, 265 B.

42)P.G. 30, 105 A B.

43)Epistl 90, P.G. 32, 473 B.

44)Theology Or., 1, 27, chapter 3 & Contra Sab. et Ar. 24, 6.

45)CF. Gregory Naz. Or. 20, 12.

46)Ibid., ch. 4.

47)On the inscription of the Psalms. P.G. 44, 577 D.

48)Or. 27, 4, P.G. 36, 16 B. cf. also 16 B C.

49)Hom. 15, P.G. 31, 464 B.

50)Gregory Naz. Orat. 21, 2, P.G. 35, 1084 C.

51)Orat. 28, 17, P.G. 36, 48 C.

52)P.G. 44, 373 DF.

53)Hom. 15, P.G. 31, 169 C.

54)On the life of Moses, P.G. 44, 377 A.

55)Ibid. 376 D.

56)Orat. 55, 3. P.G. 36, 628 A.

57)Or. De Beat. 6, Hom. In Cant. 12.

58)P.G. 36, 48 B.

59)P.G. 44, 437 DF.

60)P.G. 46, 600 B.

المُصطلحات

الأنچيلوچيا : عِلْم الملائِكة	Angelology
أنثروبوسنتريك : التمركُز حول الإنسان – المُتمركِز حول الإنسان (فِكْر – نظرية ...)	Anthropocentric
الأنثروبولوچي : عِلْم الدراسات الإنسانية – إنساني – خاص بالدراسات الإنسانية	Anthropology
أنثروبومورفيزم : إطلاق الصِفات الإنسانية البشرية على الله	Anthropomorfism
كاثاراسيس : الطهارة - النقاوة	Catharasis

كريستوسنتريك : التمركُز حول السيّد المسيح	Christocentric
الكريستولوچي : العِلْم الذي يدرِس طبيعِة السيّد المسيح	Christology
كوزموجونيا ميثولوچية : أصل الكون في الفِكْر الأُسطوري	Cosmogonical Methology
كوزمولوچي : عِلْم الكون - كوني	Cosmology
ديالكتيكي : جَدَلي - ثُنائي	Dialectic
الذُّكصولوجيا : التَّسبيح والتَّمجيد	Doxology
هوموؤسيوس : مُساوي في الجوهر	Homoousios
الهيمنولوچيا : التَّسبيح - الترنُم	Hymnology
هيبوستاسيس : أُقنوم	Hypostasis
ميثودولوچية : منهجية – نهج – طريقة – أُسلوب – منهج مُتبع	Methodology
الموديليزم : بِدعة مُؤداها أنَّ الآب والابن والروح القدس ثلاث مظاهِر أو أشكال لإله واحِد (البِدعة السبليانية)	Modelism
مُوناد : واحِد	Monad
ميثولوچي : عِلْم الأساطير – الأساطير (الوثنية)	Mythology

إيكونوميا : تدبير مثل : إيكونوميا الخلاص = تدبير الخلاص	Oikonomia
أنطولوچي : وُجودي	Ontological
أنطولوچيا : وجود – عِلْم الوجود	Ontology
أوسيا : جوهر	Ousia
باترولوچي : عِلْم الآباء (دراسة أقوالِهِم وكِتاباتِهِم وسِيَرِهِم الذَّاتية ومنهجياتِهِم الفِكرية والروحية)	Patrology
لاهوت تعدُّدي جموعي : مثل الفلسفة الهيلينية التي تخلِط بين الله وعناصِر العالم فينشأ من هذا الخلط " تأليه الكون " وهو مذهب وحدِة الوجود (أي أنَّ الله والطبيعة شئ واحِد)	Pluralistic Theology
رواقي : أحد أتباع مذهب فلسفي أنشأه زينون حوالي عام ٣٠٠ ق . م . والذي يُقال فيه أنَّ الرجل الحكيم يجب أن يتحرَّر من الانفعال ولا يتأثر بالحزن أو الفرح وأن يخضع من غير تذمُر لحكم الضرورة القاهِرة	Stoic
سينرچي : عمل مُشترك فيه التعاون والاستجابة مثل : تقابُل الجِهاد والإرادة البشرية مع النِّعمة الإلهية	Synergy

ثيوجونيا : تزاوج وسُلالات الآلِهة وعائِلاتِهِم وأصلِهِم	Theogony
يُلهوِت : يتأمل لاهوتياً في – يسبغ على ... السِمة اللاهوتية – ينطِق بالإلهيات	Theologize
ثيولوچيا : لاهوت	Theology
تريادولوچي : ثالوثي	Triadologic ; al
تريادولوچية : عِلْم الثَّالوث	Triadology
ثالوثي : مُتمركِز حول الثَّالوث	Trinitarian
أباثيا : التحرُّر من الأهواء والشهوات - اللاهوى	Ἀπάθεια
إنرچيا : وحدِة العمل	Ἐνέργεια
هلبيس : رجاء	Ελπίσ
هوموؤسيوس : مُساوي في الجوهر	Ὁμοούσιοσ
كاثارسيس : الطهارة - النقاوة	Κάθαρσισ
براكتيكي : نُسك	Πρακτική

المراجِع

- George D. Dragas: The Meaning of Theology.
An Essay in Greek Patristics. 1980 – Darlington.

- كِتابات الأب المُوقر القُمُص تادرُس يعقوب ملَطِي .

صدر حديثاً بالمكتبات من هذه السِلسلة :

- الكنيسة في فِكْر الآباء .
- الاستشهاد في فِكْر الآباء .
- رحلِة الكنيسة في الصوم الكبير .
- اللاهوت في فِكْر الآباء .

- صلاة يسوع " تحت الطبع " .

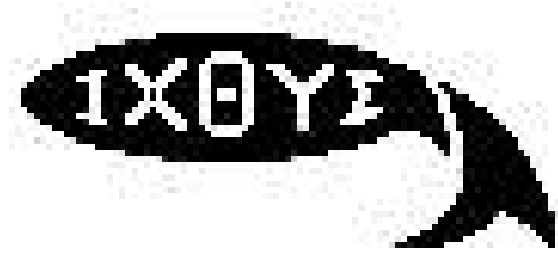

ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ θΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ

يسوع المسيح ابن الله مُخلِّص

عِلْم اللاهوت الآبائي

- يتناول هذا البحث فحص مبدئي يغوص في المعنى والمفهوم الشامِل للفظِة " ثيولوچيا " .
- وهذا العِلْم الثيولوچي لا يبحث عن اثبات وجود الله وطبيعته وسِماته وأعماله بطريقة مُجردة وإنما كخبرة حياة ، فلن يُعرف اللاهوت بالدراسة بل بالعِبادة ، لأنه نِعمة (نِعمة الثَّالوث) وهو تلمذة غالية وأساس الكرازة وركيزة الليتورچيا والذُّكصولوجيا .
- ولِنُصلِّي معاً كما تُعلِّمنا الكنيسة :

" تعال إلينا اليوم يا سيِّدنا المسيح

جمع على الكمبيوتر
وكِتابِة يوناني
مجدي إسحق خليل إبراهيم
٠١٨ - ٢٧٨٧٣٣٢